

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة وهران



قسم علم الاجتماع

كلية العلوم الاجتماعية

رسالة لنيل شهادة دكتوراه علوم في علم الاجتماع

العادات الاجتماعية و التقاليد في الوسط الحضري بين

التقليد و الحداثة

مقاربة سوسيو – أنثربولوجية لعادات الزواج والختان مدينتي

وهران و ندرومة نموذجاً

بإشراف: أ. حجيج الجنيد

إعداد: إسعد فايزة

أعضاء لجنة المناقشة:

يزلي بن عمر... رئيساً... أستاذ... جامعة وهران

حجيج الجنيد... مقرر... أستاذ... جامعة وهران

مولاي حاج مراد... مناقشاً... أ. محاضر... جامعة وهران

حمداوي محمد... مناقشاً... أ. محاضر... جامعة مستغانم

إبراهيم أحمد... مناقشاً... أ. محاضر... جامعة مستغانم

بشير محمد... مناقشاً... أستاذ... جامعة تلمسان

السنة الجامعية 2011-2012

الإهداء

إلى روح والدتي الغالية

إلى الوالد الكريم

إلى زوجي وأبنائي

إلى زميلة الدرب وأختي

أهدي هذا العمل

الشكر

أشكر كل من ساهم من قريب أو من بعيد في إعداد هذا العمل
و على رأسهم المشرف القدير الدكتور حجيج الجنيد
كما أتقدم بالشكر إلى كل العائلات التي إستضافتني في بيتها
لإنجاز هذا العمل ، وأخص بالشكر السيد شنيقة دريس على
مساعدته في مدينة ندرومة .

كما أشكر السيد ميهوبي محمد الذي لم يبخل بمساعدته في
إنجاز هذا البحث.

وأوجه شكرا خاصا لأعضاء لجنة المناقشة على قبولهم قراءة
و مناقشة هذا العمل .

الفهرس

- مقدمة عامة 01
- منهجية البحث 21
- الفصل الأول: العادات الإجتماعية و التقاليد الأصول ، المفهوم و النشأة.... 28
- تمهيد 29
- المبحث الأول: جدلية العادات و التقاليد بين الثقافة و التراث 31
- I - الثقافة 32
- 1- مفاهيم الثقافة 32
- 2 - مكونات الثقافة..... 44
- 3 - الثقافة و العادات 45
- 4 - الثقافة و المجتمع..... 46
- 5- تكامل الثقافة و تخلفها 54
- 6 - أشكال الثقافة..... 56
- 7 - الثقافة الشعبية وخصائصها 58
- II- التراث..... 63
- 1 - مفهوم التراث 63
- 2- التراث الشعبي..... 67
- 3- حملة التراث الشعبي..... 70
- 4- حركة التراث الشعبي داخل المجتمع 71
- 5- التراث الشعبي في عالم متغير..... 74
- 6- الهوية الثقافية بين الأصالة و التجديد 77
- المبحث الثاني: العادات و التقاليد و النسق المعياري 79

80.....	I- المعايير الإجتماعية
80.....	1 - العرف
84.....	2- العادات الإجتماعية نشأتها وأهميتها
91.....	3- البناء المعياري في المجتمع
94.....	4- روافد العادات الإجتماعية و أقسامها
99.....	5- خصائص العادات الإجتماعية ووظائفها
106.....	6 - العادات الإجتماعية و المجتمع
111.....	7- العادات و المعتقدات
112.....	II- التقاليد
112.....	1- مفهوم التقاليد
114.....	2- أهمية التقاليد
116.....	3- خصائص التقاليد
118.....	4 - التقاليد و الجماعات
119.....	5- الفرق بين العادات و التقاليد
121.....	6 - الفرق بين الأعراف و التقاليد
122.....	7 - رمزية العادات و التقاليد في الأسرة الجزائرية
125.....	- خلاصة الفصل
126.....	- <u>الفصل الثاني</u> : الأسرة و منظومة المعايير بين التباث والتغير
127.....	- تمهيد
128.....	- <u>المبحث الأول</u> : الأسرة و منظومة المعايير و عملية التنشئة
129.....	I - الأسرة

- 1- مفهوم الأسرة وتطورها 129
- 2 - مفهوم الأسرة أم مفهوم العائلة 135
- 3 - وظائف الأسرة و أنماطها 137
- 4 - العلاقة الوظيفية بين الفرد و العائلة و المجتمع 142
- 5- مقومات التواصل في العائلة من خلال التراتبية الأسرية 145
- 6 - خصائص العائلة العربية و الجزائرية في المرحلة التقليدية 153
- 7- مفهوم الضمير الجمعي و علاقته بالسلطة الأسرية 157
- II- الأسرة و منظومة القيم و المعايير الإجتماعية 163
- 1 - مفهوم التنشئة الإجتماعية 163
- 2 - أهداف التنشئة الإجتماعية و عناصرها 166
- 3- التنشئة الإجتماعية و الثقافية 168
- 4- الأسرة ، التنشئة الإجتماعية و الضبط 169
- 5- المعايير و القيم بين التحديث و التقليد 174
- المبحث الثاني : العائلة و التحولات الإجتماعية و الثقافية 176
- I- العائلة الجزائرية في المجتمع المتغير 177
- 1- الأسرة الجزائرية و التغير الإجتماعي 177
- 2- مفهوم التغير الإجتماعي و نظرياته 179
- 3- نظرة الدين الإسلامي للتغير 187
- 4 - العوامل المؤثرة في تغير الأسرة الجزائرية 188
- II- الأسرة الحضرية 197
- 1- الأسرة و المقومات الحضرية 197

209.....	2- المدينة العربية الإسلامية و تراثها
212.....	3-المدينة العربية و مفهوم التحضر
215.....	4- الأسرة الحضرية و منظومة المعايير
219.....	- خلاصة الفصل
220.....	- <u>الفصل الثالث</u> : عادات الزواج و الختان بين التباث و التغير
221.....	- تمهيد
222.....	- <u>المبحث الأول</u> : الزواج و الختان المفهوم و الرمز
223.....	- I- الختان
223.....	1- الختان لغة و إصطلاحا
224.....	2- السيرورة و الدلالة التاريخية-الثقافية للختان
232.....	3- الختان في الديانات السماوية
233.....	4- المقاربة المفاهيمية للختان
249.....	5- الطفل و الختان
251.....	6 – المفهوم السيميائي للختان في العائلة الجزائرية
254.....	- II- الزواج
254.....	1- مفهوم الزواج لغة و شرعا
256.....	2 – معايير تفسير الزواج في علم الإجتماع
258.....	3- الزواج في الشرائع الدينية
261.....	4- الغرض من الزواج في الإسلام
262.....	5 - أنماط الزواج
269.....	6 – أشكال الزواج
	- <u>المبحث الثاني</u> : عادات الختان و الزواج في مجتمع البحث بين التباث

272.....	و التغيير.
273.....	I- عادات الزواج والختان
273.....	1- عادة الزغاريد في المجتمعات
276.....	2- طقوس الإحتفال بالختان وعاداته
276.....	3- طرق الختان في مجتمعي البحث بين الماضي و الحاضر
284.....	4- أشكال الختان في مجتمع البحث
	5- الطقوس الإحتفالية في الختان بمجتمع البحث بين الماضي و
290	الحاضر
306.....	II - الطقوس الإحتفالية بالزواج في مجتمعي البحث
306.....	1- الإختيار للزواج وأساليبه
329.....	2- الخطبة
338.....	3- المهر
347.....	4- تجهيز العروس
353.....	5- ليلة الحناء
371.....	6- يوم الزفاف
387.....	أ- الدخلة
397.....	ب- المحضر
404.....	- خلاصة الفصل
405.....	- خاتمة عامة
409.....	- المراجع
422.....	- الملاحق

مقدمة عامة :

إن المجتمع في حركية مستمرة و حركيته هذه تفرز ظواهر إجتماعية مختلفة، من بين هذه الظواهر العادات و التقاليد .تعتبر العادات و التقاليد الإرث الثقافي العام لأي مجتمع، بها يحافظ على تواصله و إستمراره و تتوارثها الأجيال كلغة رمزية تمكنهم من الإتصال على مر العصور و تعبر عن هويتهم الجماعية ، ورغم أنها تختلف من مجتمع لآخر باختلاف الثقافات، إلا أنها تشكل في جوهرها عاملا أساسيا لتوحيد الذهنيات حول مبدأ المحافظة على التراث و الإتصال بالماضي ، لأن سيميائيا يرتبط مفهوم العادات و التقاليد بالماضي والأجداد، لذلك لا يمكن الحديث عن أي مجتمع دون الحديث عن عاداته و تقاليده و أعرافه التي يمارسها الأفراد خاصة و العائلات عامة، كعناصر فاعلة و أحد التركيبات الأساسية التي يقوم عليها أي مجتمع إنساني ، لأن العائلة هي التي تعمل على حركيته مادامت الخلية القاعدية المنتجة للمجتمع و لكيانه الروحي و المادي.

" إن العائلة مرتبطة بالمجتمع في علاقة جدلية (ديالكتيكية) فهي تدعم المجتمع"1، ومن بين ماتفرزه حركية الأفراد و العائلات داخل المجتمع العادات و التقاليد كممارسات ناتجة عن الوجدان الشعبي لتلبية رغباته المعيشية، لذلك هي قائمة مع قيام المجتمع تتحرك بحركات أفراده الثقافية و الاجتماعية تحاول أن تحافظ عليها الذاكرة الجمعية من خلال إحيائها في كل فترة و مناسبة، لأنها تترجم نمط تفكير و فلسفة شعبية و تدابير مادية و معنوية من أجل مجابهة متطلبات الحياة .

1- هشام شرابي ، مقدمات لدراسة المجتمع العربي ، الأهلية للنشر و التوزيع ، بيروت ،

ويظهر جليا على مستوى الحياة الإجتماعية وجود رباط روحي يربط حركية العائلة بعاداتها و تقاليدھا على مرّ الزمن ، إذ تشكل العائلة النواة الأولى التي يقوم عليها المجتمع ذلك لأنها تلقن أفرادھا ثقافة المجتمع و معاييرھ و قيمه، و قد إعتبرت الأسرة منذ القدم نظاما إجتماعيا مصغرا توجه سلوك الأفراد و تنظمه داخلھا في إطار محدّد، يعتمد على إحترام معاييرھا و قيمھا و عاداتھا و تقاليدھا، و قد شكل هذا الرباط الروحي بين العائلة في حركيتها و بين عاداتھا ملجأ يعود إليه الأفراد ليجدوا فيه الأمن و الإستقرار و الإطمئنان، و ذلك لقيامهم بها و تبنيھا خوفا من الإغتراب الثقافي التي تعرفه جلّ المجتمعات نتيجة الحداثة و تطبيقا للدستور الشفهي للمجتمع و أحكامه هذا من جهة ، و من جهة أخرى الهروب من سخط و إستهجان العائلة في حال الخروج عن قواعد المجتمع و أحكامه، لأن ما العادات و التقاليد إلا عناصر من الدستور الشفهي الذي تصوغه الثقافة الشعبية لأي مجتمع ، و ما هي إلا وسيلة يستعملھا المجتمع كقوة ضابطة فيه لسلوكيات أفرادھ ، و التي يستخدمھا الفرد كوسيلة لحماية ذاته و هويته الثقافية و الإجتماعية، و التي تهزّها هزّات عنيفة من داخل المجتمع و خارجه نتيجة التغير الإجتماعي و الثقافي المستمر ، و ما تحدّثه العولمة و الحداثة. و هنا تظهر كيف تهندس العادات الإجتماعية و التقاليد الهوية الفردية و الإجتماعية في المجتمع التي تسعى العائلة جاهدة للحفاظ عليها .

و في إطار هذه المكانة التي تحتلھا العائلة، تبقى العادات الإجتماعية و التقاليد أحد العناصر الأساسية التي تعمل العائلة جاهدة للحفاظ عليها و حمايتها ، باعتبارھا وسيلة للحفاظ على ثراتھا الثقافي و إبتاث هويتھا الإجتماعية ، لأنها تعتبرھا ساترا لشخصيتها و رمزا مهما في خضم المعارك و التغيرات الإجتماعية و الثقافية التي تواجهھا العائلة يوميا، أمام الممارسات الجديدة القائمة على التضاد و التناقض ، و بما أن العادات و التقاليد هي أحد المنتجات الثقافية التي تفرزھا تفاعلات العائلة و حركيتها الدائمة داخل المجتمع، فهي تفرض على

الأفراد إحترامها و التقيد بها ، و تمارس عليهم سلطة و رقيب إجتماعي إذ من يعارض هذه السلطة أو يخرج عن ممارسة هذه العادات يعاقب ، و ما هذا الحرص من العائلة على قيام أفرادها بعادات و تقاليد الأجداد إلا رغبة الجماعة في جعل أعمالها مشتركة لحفظ وحدة المجتمع ، لذلك فالعائلة تمارس سلطة روحية و إجتماعية على أفرادها فهي بمثابة الضمير الجمعي الذي يجب على الأفراد الخضوع له .

فسلطة الضمير الجمعي تجعل الأفراد يخضعون لها ، ذلك لأن العائلة هي التي توجه سلوك الأفراد و طريقة حياتهم ، وهذا ما عبر عنه دوركايم عندما رأى أن الجماعة تمارس قوة على الأفراد و تسيطر عليهم ، حيث يخضعون لها كامل الخضوع بحيث كل مجتمع يتضمن سلطة جماعية خلقية على الفرد، و ذلك عندما أكد أولوية المجتمع على الفرد و يظهر حسبه ذلك في الضمير الجمعي الذي يسيطر على الأفراد "يوجد بالنسبة إليه في كل مجتمع و عي جمعي يتشكل من التمثلات الجماعية و المثل و القيم و المشاعر المشتركة بين كل أفراد ذلك المجتمع " 1، فنتيجة المجتمع تكون الوعي الجمعي ، الذي تمارس من خلاله الجماعة سلطانها على الأفراد بطريقة غير مباشرة من خلال القيم و الأعراف و العادات و التقاليد هذه السلطة هي سلطة جماعية خلقية .

إن المجتمع دائم الحاجة إلى ممارسات، يقوم بها أفرادها لتنظيم أحوالهم و التعبير عن أفكارهم و مشاعرهم، فيكررون القيام بها كي تترسخ جذورها في المجتمع

1- دنيس كوش، ترجمة منير السعيداني ، مفهوم الثقافة في العلوم الإجتماعية ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، 2007، ص48 .

و تصبح عادات ،فيصبح لها دور في الضبط الإجتماعي و التنظيم ،و تتدخل كموجود في سائر نواحي الحياة الإجتماعية فتمارس بذلك سلطة رمزية على أفراد المجتمع، و يخضعون لها فهي بمثابة دستور دنيوي إجتماعي ينبغي التقيد به و إتباع أحكامه ،لأنها تضمن الإنتماء إلى الجماعة بإتباعها فهي المحرك الأساسي للمجتمع ،وعليه فهي " تعبر عن حالات معنوية ذات علاقة روحية عميقة الجذور، بنفسيات الناس و قيمهم الثقافية و الإجتماعية ،فهي ساكنة في ضمائرهم و منعكسة في أساليب سلوكهم"1، و بالتالي فهي تترجم بوضوح عقليات الناس و أفكارهم مما يجعلها تختلف من مجتمع لآخر.

ومن هنا فإن المجتمع هو الذي ينتج الأفراد ،بإعتباره المسير لسلوكهم و الملحق لعاداته و تقاليده عن طريق العائلة ويرى دوركايم " أن المجتمع هو الذي يخلق الفرد عن طريق التربية الخلقية " 2. و لكن مع ذلك كله فإن عملية التطبيع الإجتماعي التي تقوم بها العائلة على عادات المجتمع و تقاليده ،تصطدم بمفهوم الحداثة و التغيير ، ليجد الفرد نفسه داخل حلقة تاريخية بين ماسماه مولود قاسم أصالية و إنفصالية في ظل جدل بيو ثقافي "الفرد معرض لحركة ذهاب و إياب مستمرة ، تؤرجحه بين العودة المستحيلة إلى الماضي و الوجود المستحيل في هذا الزمن المعاش للتقدم المستهدف جماعيا " 3.

إذ قد تتخلل هذه العادات و التقاليد مكتسبات جديدة، لذلك فالعائلة في أي

1- محمد سعيدي ، العائلة عاداتها و تقاليدها بين الماضي و الحاضر ظاهرة الإحتفالية بالأعياد نموذجا ، مجلة إنسانيات ، وهران ، العدد 4 ، جانفي - أبريل 1998 ، ص45

2-حسين عبد الحميد أحمد رشوان ، المجتمع ، دراسة في علم الإجتماع ، المكتب الجامعي الحديث ، ط4 ، 2005 ، الإسكندرية، ص24 .

3- مصطفى لشرف ، الجزائر، الأمة ، المجتمع ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1983 ، ص318 .

مجتمع ، خصوصا المدني منه لأن المدينة هي الأكثر تعرضا لمقومات الحداثة و عناصرها لإتصالها بمفهوم الحضرية و المدنية، كأساسين تقوم عليهما الحداثة ،فتجد العائلة نفسها في مرحلة إنتقالية من نمط تقليدي يخضع لضوابط و قواعد يملئها القدم و التقليد، إلى نمط جديد يريد أن يتبنى لنفسه الحداثة و العصريةفكريا و سلوكيا ،سواء إجتماعيا أو ثقافيا أو إقتصاديا، لذلك هذا الإنتقال جعل العائلة تعيش صراعات نفسية و ثقافية و إجتماعية ،و تعيش تغريب ثقافي زعزع وحدتها و تماسك أفرادها ومسها في ذاتها و كيانها و في جسدها الإجتماعي و الثقافي ،حيث كثيرا ما ولدت صراعات عنيفة بين الفرد و العائلة و المجتمع ، صراعات بيو- ثقافية و صراعات أجيال بين المحافظة على التقليد و معاشة التحديث و التغير ، حيث تشكل العادات الإجتماعية قوانين دستورية في المجتمع ، و أي خروج عنها يعرض الفرد إلى سلطان الضمير الجمعي الذي يمتاز به المجتمع ،إذ تصبح العائلة تشكل محكمة إجتماعية بممارستها سلطة على الأفراد و أي خروج عن عاداتها و تقاليدها يعرض الفرد إلى تهيش و تحقير من قبل المجتمع . و الممارسات اليومية التي نعيشها أكبر دليل على هذه الصراعات داخل كيان المجتمع العربي عامة والجزائري خاصة و عليه فالبحت عن علاقة العائلة بعاداتها و تقاليدها ،في ظل هذه الصراعات أصبح يشكل حتمية و ضرورة في الدراسات الإجتماعية و الأنثربولوجية .

فما علاقة العائلة الجزائرية حاليا بالعادات و التقاليد بالوسط الحضري ؟

وقد عرف مجال العادات و التقاليد العديد من الدراسات التي ألفت بحقيقة الموضوع و جوهره ،و التي نظرت إلى الموضوع من زوايا أخرى أغلبها فلكلورية .

و أهم هذه الدراسات منها الغربية 1:

- دراسة مانهاردت w. Manhardt و الذي درس فيها الإنتشار الجغرافي لعناصر التراث الشعبي، و ذلك بدافع إستكمال نواحي القصور في المنهج التاريخي و المصادر التاريخية، فوضع كشف أسئلة فلكوري بلغات مختلفة و إستعمل طريقة عرض التراث الشعبي بالخرائط.

دراسة العالم الإنجليزي إدوارد ويليام لين E.W. Lane و الذي درس فيها المصريون المحدثون عاداتهم و شمائلهم، و إهتم فيها بدراسة العادات و الممارسات الشعبية و المعتقدات .

- دراسة بوكلار Buckler و التي إهتم فيها بالمجتمعات الشرقية في مقابل المجتمعات الغربية على إعتبارها وحدة واحدة تتميز بخصائص ثقافية متميزة مثل الذوق .

- دراسة ريتشارد فايس و بويكارت Peweckart و لاوفر Lauffer حول تصنيف لمواد التراث الشعبي، و من ثم دراسة العادات و التقاليد كصنف منها حيث ركز كل من بويكارت و لاوفر على تقديم صورة شاملة عن ميدان الفلكلور و نشاط البحث العلمي.

ولا يمكن تحديد الدراسات السابقة عن الموضوع دون عرض أهم الإتجاهات التي تناولت الموضوع :

1 – أنظر :محمد الجوهري ، دراسات في الأنثروبولوجيا الثقافية ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1988

- الإتجاه التاريخي : ويعتبر قديماً عني بدراسة التراث الشعبي، وهو يقوم على محاولة الكشف عن أصول التراث بمراحله التاريخية المختلفة، وذلك لإعتبار التراث الشعبي علم تاريخي يهدف إلى إستكمال الصورة الثقافية و الحضارية لماضي شعب و ماضي الإنسان، و يهدف الإتجاه التاريخي في دراسة التراث الشعبي إلى الكشف عن المنشأ التاريخي لمختلف عناصر التراث الشعبي وصولاً إلى فهم التطور الذي طرأ على كل عنصر .

- الإتجاه الجغرافي : وقد حاول رواد هذا الإتجاه إستكمال النظرة التاريخية التي تحدد البعد الزمني للظاهرة الشعبية المدروسة بالإتجاه الجغرافي، الذي يعنى بالبعد المكاني و الظروف الجيولوجية و المناخية وغيرها، ويستند في ذلك على أن العادات و الممارسات المرتبطة بالعمل و النشاط الإقتصادي تتصل إتصالاً وثيقاً بالبيئة الطبيعية و الظروف الجغرافية .

- الإتجاه التاريخي الجغرافي : وقد جمع بين البعدين الزماني و المكاني .

- الإتجاه السيكولوجي : وركز على الموقف العقلي النفسي للإنسان كحامل للتراث الشعبي، و ينصب إهتمام رواده على محاولة الإلمام بالعوامل النفسية التي ساهمت في صياغة عناصر التراث الشعبي لذلك فهو يعتمد على وحدة النفس البشرية .

- الإتجاه السوسبيولوجي : و الذي إهتم بتحديد البعد الإجتماعي لعناصر التراث و للإنسان حامل التراث الشعبي، ذلك أن التراث الشعبي لا يتصل بالفردية أو الذاتية و إنما هو عقل جمعي و مشاعر جمعية ، فهذا الإتجاه يعبر عن عادات الجماعة و أدابها و تقاليدها و طقوسها و كل ما يرتبط بحياة الإنسان فيها، و تؤثر في الإنسان و يتناول هذا الإتجاه المجتمعات البدائية مقابل المتحضرة و يشير إلى نصيب كل جماعة من المجتمعات الإجتماعية من التراث الشعبي

و الإسهام الذي تقدمه كل جماعة إلى التراث الشعبي أي توضيح الأصل الاجتماعي للتراث الشعبي .

ومن الدراسات العربية ما قام بها العديد من علماء الفلكلور مثل دراسات محمد الجوهري ، وعلياء شكري اللذان اهتمتا بدراسة التراث الشعبي عندما تطرقا لدراسة العادات و التقاليد الشعبية " عادات دورة الحياة " التي أخذت منحى سوسولوجي عن مجالات التراث الشعبي 1.

دراسة فوزية ذياب عن المجتمع المصري بعاداته و تقاليده في مواسم الزواج و الختان و الموت ، أي دراسة بعض عادات دورة الحياة و هناك من الدراسات السوسولوجية ما كانت تأخذ منحى أنثربولوجي لأنها كانت تركز على دراسة ثقافة المجتمعات و حياتهم و من ثم دراسة عناصر الثقافة(العادات و التقاليد). 2

و هناك من دمج النظرة الفلكلورية بالنظرة السوسولوجية في دراسة عناصر الثقافة وبالتالي التراث الشعبي بتحديد البعد الاجتماعي لعناصر التراث و دراسة حملة التراث الشعبي .

ومن الدراسات العربية كذلك والتي درست موضوع الزواج في العديد من المناطق ، في سوريا دراسة عدنان العطار "تقاليد الزواج الدمشقي ، البدوي ، الريفية و الحضري " تضمنت عرضا لعادات الزواج و تقاليده في المجتمع

-
- 1- أنظر في ذلك : محمد الجوهري ، علياء شكري ، الدراسة العلمية للعادات و التقاليد الشعبية (دورة الحياة) ، الجزء الثالث من دليل العمل الميداني الجامعي التراث الشعبي ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1993
 - 2- أنظر في ذلك : فوزية ذياب ، القيم و العادات الإجتماعية مع بحث ميداني لبعض العادات ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1980

الدمشقي و التي بينت تفاصيل طقوس الزواج و إحتفالات العرس و تقدم عرضا لعادات الزواج في مجتمعات مختلفة في نمط المعيشة و مكان الإقامة وبذلك تقدم ذخيرة من التراث و تحافظ عليه مكتوبا .

و دراسة فريال سليمة الشويكي " تراثنا الساحلي الزمن السعيد" تناولت عادات الزواج و مراحلها بطريقة وصفية .

أما في الكويت هناك دراسة صفوت كمال "عادات وتقاليد الزواج في الكويت" وتناولت عادات الزواج و طقوسه و بينت الخصوصية التي تتمتع بها كل فئة من فئات المجتمع الكويتي المتعلقة بعادات الزواج و تقاليده .

وفي لبنان الدراسة التي قام بها حسن أمين البعيني والتي تناولت عادات الزواج و تقاليده في نشأتها و تطورها فأبرزت بعض أوجه التطور و الإختلاف و التشابه بين منطقة و أخرى 1

أما في الجزائر فقد تناول العديد من الدارسين هذا الموضوع من خلال دراسات علمية أكاديمية مختلفة مثل دراسة محمد سعدي " العائلة ، عاداتها و تقاليدها بين الماضي و الحاضر : الظاهرة الإحتفالية بالأعياد نموذجاً" والذي حاول من خلالها أن يقف بالعائلة في علاقتها بعاداتها و تقاليدها ووقفه زمنية بين الماضي و الحاضر، و ذلك بهدف الكشف عن ما تغطيه بنية العادات و التقاليد الداخلية من رموز و علامات ذات الصلة بالهوية الثقافية و الإجتماعية للعائلة وبذلك دراسة ظاهرة الإحتفال بالأعياد 2.

1- أنظر : حسن أمين البعيني ، عادات الزواج و تقاليده في لبنان ، بيسان للنشر ، بيروت 1998،

2- محمد السعدي ، العائلة عاداتها و تقاليدها بين الماضي و الحاضر ، مرجع سبق ذكره ص41

ودراسة كمال كاتب حول الزواج التقليدي في الجزائر بين 1876- 1998 ركز من خلالها على متغيرات السن و الجنس التحضر الإستعمار ، الأصل، تقسيم العمل ، القوانين الوضعية في زوال الزواج التقليدي 1.

أما فيما يخص الختان هناك دراسة نور الدين طوالي التي تطرق فيها إلى عادات الختان في الجزائر من خلال دراسة الختان جرح نرجسي أو ترقية إجتماعية أي معرفة وظيفة الختان في المجتمع 2. و الدراسة الحالية هي محاولة لدراسة مدى تكييف العائلة لعاداتها و تقاليدها في الزواج و الختان بين الماضي و الحاضر، أو بين التقليد و الحداثة من خلال دراسة مظاهر الثبات و التغيير في عادات الزواج و الختان و تقاليدها في العائلة بالوسط الحضري الندرومي و الوهراني .

فالمجتمع الجزائري، يعتبر من المجتمعات التي عرفت تغييرات هامة و إجتريتها عناصر الحداثة الفكرية و الإجتماعية، لذلك فالعائلة الجزائرية مدفوعة إلى التعامل مع نمطين للممارسات الثقافية و الإجتماعية، عادات قديمة معبرة عن هويتها و عادات جديدة معبرة عن التغيير و الحداثة خصوصا مع بروز صراعات تولدت نتيجة ظهور إتجاهين : - إتجاه يدعي الأصالة و التراث و الهوية ،و التي لا تتحقق إلا بالمحافظة على القديم و إحياء العادات و التقاليد القديمة ، كتعبير عن نفسيات الناس و قيمهم الثقافية و الإجتماعية و كنتاج المجتمع ذاته تؤثر به و يؤثر فيها .

1-cf:Kamel Kateb, La fin du mariage traditionnel en Algérie 1876-1998 une exigence d'Egalite de sexes , éd Bouchene , Alger , 2001

2-: cf : Nouredine Toualbi , La circoncision blessure narcissique ou promotion sociale , , entreprise nationale du livre , Alger , 1983

- "إتجاه آخر يدعي العصرية و الحداثة و التجديد"¹، ينظر إلى هذه العادات و التقاليد على أنها من القدم و قد مرّ عليها الزمن، و لم تعد تخدم الحاضر لأنها تراث مضي، ولكن مع ذلك لازالت تمارس داخل المجتمع الجزائري، عادات و تقاليد حافظ عليها الأجيال، فتراها تتجدد في مناسبات كالزواج والختان و إن إختلفت هذه العادات من منطقة لأخرى، و من المدينة إلى الريف، إلا أنها تلتقي في مجملها لتكوّن وحدة المجتمع و هويته، حتى ولو ينظر إليها بعض علماء الاجتماع و الأنثربولوجيا و علم النفس، أنها تشكل الوشاح الذي يعود إليه الفرد عند كل أزمة، ليجد فيه الاطمئنان و الحماية لذاته و هويته الثقافية و الإجتماعية، التي تشهد رجعات قوية في عصر العولمة. كما يجد فيها الهروب من عقوبة المجتمع، الناتجة عن إهمال العادات و التقاليد الخاصة بالأجداد . و تعتبر عادات و تقاليد الزواج و الختان أكثر العادات تعرضا إلى هذا التناقض، الذي وقعت فيه العائلة الجزائرية نظرا لما يمثله الزواج و الختان في ذهنية العربي خاصة، وفي الشريعة الإسلامية عامة، خصوصا إذا كانت هذه العادات تمارس في وسطين مختلفين وسط حضري تأسر كثيرا بمجريات الحداثة، و عرف له تاريخا سياسيا و ثقافيا متنوعا، و نزوحا كبيرا للسكان على مر الزمن من مناطق أخرى ، أثر و بشكل كبير على ذهنية أفرادها، و من ثم على سلوكياتهم و أفكارهم، و هو الوسط الحضري الوهراني، ووسط

1- محمد السعيد، مرجع سبق ذكره ، ص46

عرف بعاداته و تقاليده العريقة و أصالته و تراثه الثقافي الكبير، الذي تحدث عنه المؤرخون و المفكرون و الذي عرف بذهنية خاصة لأفراده، و بنية عائلية مختلفة عن بنية و تركيبة المجتمع الوهراني، ألا وهو الوسط الحضري الندرومي. و بما أن العائلة هي الخلية القاعدية المنتجة للمجتمع و لكيانه الروحي و المادي، و العائلة داخل المجتمع الجزائري تعيش بين إعتبارين متناقضين، بين الأصالة و ضرورة الحفاظ عليها، و التجديد و محاولة التثبيت به و مواكبته و الخوف منه، أي بين ما سماه مولود قاسم أصالية و إنفصالية، لتجد نفسها في صراع بيو ثقافي، و بما أن العادات و التقاليد تشكل النواة الأساسية التي تحافظ بها الأسرة على كيانها الثقافي و الإجتماعي وهويتها، وفي ظلّ التناقضات المختلفة، تبقى عادات الزواج و الختان داخل العائلة، في الوسط الحضري الوهراني و الوسط الحضري الندرومي تتأرجح بين الثبات و التغيير. و العائلة في ظلّ ذلك تبحث عن طرق لتكييف الماضي و الحاضر، في مجال العادات و التقاليد المتعلقة بالزواج و الختان، في وسط أصبح يحدث تأثيرا على وظيفة الأسرة في نقل العادات و التقاليد بين الأجيال، وفق معايير و ظوابط تتحكم في ممارسة هذه العادات و التقاليد داخل العائلة في الوسط الحضري الوهراني و الوسط الحضري الندرومي في مناسبات الزواج و الختان .

الفرضيات :

تتجلى فرضيات دراستنا كمايلي :

- 1- تنبثق العادات الإجتماعية و التقاليد من حاجات الناس الطبيعية الحيوية .وحركية العائلة داخل المجتمع تفرز العديد من العادات و التقاليد، لذلك العائلة في الوسط الحضري الوهراني و الوسط الحضري الندرومي مازالت تحافظ على عاداتها وتقاليدها و مازالت علاقتها بها قائمة في مناسبات الزواج و الختان .
- 2- تعتبر العادات و التقاليد المكونات الأساسية للثقافة و جزء لا يتجزء من التراث الإجتماعي – الثقافي، لذلك العائلة في الوسط الحضري الوهراني و الوسط الحضري الندرومي تمكنت من تكييف الماضي و الحاضر في مجال عادات و تقاليد الزواج و الختان .
- 3- تتحكم في ممارسة العادات و التقاليد عند العائلات بالوسط الحضري عدة متغيرات فكرية و مادية كالإنتقال من منطقة لأخرى ، المستوى المعيشي ، المستوى الثقافي ، بنية العائلة، السن ، الجنس .

الهدف من الدراسة :

مادامت الحياة مستمرة ،فإن المجتمع في حركية مستمرة و حركيته تفرز ظواهر إجتماعية، تتطلب من الباحث في العلوم الإجتماعية أن يكون حاضرا لتحليلها ، و دراسة أسباب حدوثها و إستمرارها، حتى يتمكن من معرفة كنه هذه الظواهر،ويستطيع تحديد صورة عامة عن التغيرات و المستجدات التي تحدث في المجتمع .

و لأنه يتميز بحب الإطلاع و الإدراك، لما يمتلكه من ملكات تساعد على تفسير الظواهر، ووضعها في إطارها المحدد . و لأن العادات الإجتماعية و التقاليد تعتبر أحد الظواهر التي يفرزها المجتمع، و التي تحتاج إلى دراسة و تفسير من قبل علماء الإجتماع ،و التي كان إلى وقت قريب يعنى بدراستها علم الفلكور، و لكن مع ربط السوسولوجيا الحديثة بالدراسات الفلكورية،من طرف العديد من العلماء ، أصبحت دراسة العادات الإجتماعية و التقاليد من المواضيع الهامة في علم الإجتماع ، خصوصا مع التغيرات الثقافية ، و الإجتماعية ، التي تعرفها المجتمعات بمدينتي وهران و ندرومة ، و ذلك محاولة لدراسة هذه العادات بين مدينتين مختلفتين ، في ذهنية الأفراد ، وبنية العائلة و غير ذلك .

كما أن هذه الظاهرة تعتبر أحد الظواهر الإجتماعية، التي تشدّ الجماعة إليها، فتوجه سلوك الأفراد، وتضبط تصرفاتهم، وتشكل هويتهم الفردية و الجماعية، فتكون مركز تجمعهم و إختلافهم . وعند دراسة العادات و التقاليد و علاقة العائلة بها، نقف على طبيعة العائلة ثقافيا و إجتماعيا، بين زمني الماضي والحاضر، خصوصا و أن العائلة تعتبر مجتمعا صغيرا يخضع أفراده إلى تنظيمات مكتسبة

توجّه سلوكهم، و تفكيرهم ، و المعروفة بالتراث الإجتماعي الذي يضمّ العادات و التقاليد . هذا التراث يحدّد الإطار الذي يتحرك داخله أفراد العائلة .

كما أن عالم الإجتماع ،يدرس السلوك الإجتماعي في كلية المجتمع، ذلك أن علم الإجتماع ،هو العلة الأولى في تحويل الإنسان من كائن بيولوجي أو كائن عضوي حيواني، إلى الإنسان ككائن مثقف ، كما أن عالم الإجتماع يحاول دراسة القواعد و المعايير التي تحدد سلوك الإنسان،وعلاقات الناس ببعضهم البعض ،من عادات وتقاليد و أعراف و قيم، أي يدرس الظواهر الإجتماعية الناشئة عن وجود الإنسان في المجتمع .

و يكمن هدف الدراسة في كونها نحاول من خلالها معرفة مدى ثبات العادات الإجتماعية وتغيرها، بين مدينتي وهران وندرومة. مدينة ندرومة المعروفة بذهنية سكانها ،و نمط الحياة بها وبنية أسرها ومدينة وهران المعروفة بالتغيرات الإجتماعية و الثقافية ، كما أن هدف الدراسة هو معرفة مدى تكيف العائلة الجزائرية بين الماضي و الحاضر،في مجال العادات و التقاليد ،مقابل الحداثة والتغيرات التي تصاحبها في مختلف المجالات الإجتماعية .

وقد إختارنا مدينة وهران ،لأننا نقطن بها و مدينة ندرومة ،لأننا ننتمي إليها ومعجبين بعاداتها و تقاليدها ،في ظاهرتي الزواج و الختان ،مما سهل علينا عملية الإتصال بالعائلات و مقابلتهم ،كما أننا ركزنا في الدراسة على عادات الزواج و الختان لأن هاتان الظاهرتان من الظواهر التي تحظى بأهمية في المجتمعات العربية لما لها من مرجعية دينية و إجتماعية و ثقافية .

وللبحث أهمية كبيرة، إذ حاولنا من خلاله إدخال أضواء جديدة إلى حقل المعرفة الإجتماعية، لأن هدفه سوسيولوجي يحاول البحث وراء إستمرارية العادات الإجتماعية و التقاليد المتوارثة عبرالعصور و الأجيال، ومن ثمّ الكشف عن حقائق متعلقة بالمجتمع. ذلك الإرث الثقافي و الإجتماعي هو بمثابة ثروة يحتفظ بها الأجيال وبالتالي زيادة رؤيتنا لواقعنا الحضاري .

تحديد المفاهيم :

العادات الإجتماعية :

هي مجموعة من الأفعال و الأساليب و السلوكات المكتسبة التي يتوارثها الخلف عن السلف، وترتبط بزمان و مكان معينين، يقول ريل "Rihl" السلوك يتحول إلى عادة عندما يتبث من خلال عدة أجيال و يتوسع و ينمو و من ثم يكتسب سلطاناً" 1

التقاليد:

هي كل ما يرتبط بالماضي و تداولت عليه الأيام و أصبح قديماً، وهي محاكاة للأولين وموروث عنهم فهي "عادات مقتبسة رأسياً أي من الماضي إلى الحاضر ، ثم من الحاضر إلى المستقبل فهي تنتقل وتورث من جيل إلى جيل و من السلف إلى الخلف على مرّ الزمان" 2

الطقس:

يشمل الطقس كل العادات و التقاليد التي تنتجها ثقافة مجتمع ، ما بناء على معتقدات دينية أو مرجعية ثقافية و يعرفه علماء الأنثربولوجيا الإجتماعية بأنه " مجموعة حركات سلوكية متكررة يتفق

1-محمد الجوهري ، علم الفلكلور ،دراسات في الأنثربولوجيا الثقافية ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1988 ، ص68

2- فوزية ذياب ، القيم والعادات الإجتماعية مع بحث ميداني لبعض العادات ،مرجع سبق ذكره ،ص122

عليها أبناء المجتمع" 1

إن كلمة طقس (RITE) يشتق من الكلمة اللاتينية (RITUS) وهي عبارة عن عادات و تقاليد مجتمع معين كما تعني " كل أنواع الإحتفالات التي تستدعي معتقدات تكون خارج الإطار التجريبي "2

العرف :

هو نوع من العادات التقليدية ،يشبه التقاليد لأنه عريق وتقليدي ومتوارث وملزم " العرف هو ذلك النوع من العادات الواسعة النطاق في إنتشارها، التي ليست في مصلحة جماعة بالذات بل في مصلحة الجماعات كلها، متلاقية في وحدة واحدة هي المجتمع أو الأمة "3 لذلك العرف هو بمثابة القانون .

راسب ثقافي :

كل الأفكار و الأنماط السلوكية والعادات التي كانت سائدة في المجتمع ،ولازال يحافظ عليها و يتمسك بها بعد إنتقاله من حالته القديمة إلى حالة جديدة ظروفها مختلفة عن الأولى التي أدت إلى ظهور تلك العادات .

1- دينكن ميتشل ، معجم علم الإجتماع ، دار الطليعة للطباعة و النشر ،بيروت ،ط1

1981، ص176

2 – نور الدين طواليبي، ترجمة وجيه البعيني ، الدين و المقدس و التغييرات ، منشورات المطبوعات الجامعية ،ط1 ، الجزائر ، 1988 ،ص34

3- فوزية ذياب ، مرجع سبق ذكره ، ص186

تغير ثقافي :

تغير يمس جانبا معينا من جوانب الثقافة المادية و اللامادية سواء عن طريق الإضافة أو الحذف ويحدث نتيجة الإتصال بثقافات أخرى .

ثقافة شعبية :

تظهر في أنماط السلوك، تتميز بالتقليد وتخضع لضوابط غير رسمية، وتركز على النظام الأخلاقي و التراث الشفهي، وهي متماسكة و متكاملة يرى رادفيلد R.Redfield "أن الثقافة الشعبية هي نموذج مثالي ، أو بناء عقلي ، لايمكن أن نجده في صورته الخالصة وإنما تقترب منه تلك المجتمعات التي يهتم بدراستها علماء الأنثروبولوجيا "1

الأسرة : مجموعة من العلاقات الدائمة و المتشابكة بين أشخاص يشغلون مكانات إجتماعية إكتسبوها من خلال الزواج والإنجاب .2

العائلة :

يطلق على الأسرة الممتدة التي تتكون من أسرتين أو أكثر تفرعتا عن العلاقة أباء – أبناء ، أو هما إمتداد لهذه العلاقة أكثر من تفرعها

1- محمد السويدي ، مفاهيم علم الإجتماع الثقافي و مصطلحاته ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1991 ، ص239

2- نخبة من المتخصصين ، علم الإجتماع الأسري ، الشركة العربية المتحدة للتسويق و التوريدات ، القاهرة ، 2008 ، ص20 نقلا عن :سناء الخولي ، الأسرة و الحياة العائلية ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1987 ص56

عن العلاقة الزوجية ، أو هي إجتماع أسرة شخصين (رجل و امرأة)
مع أسرة أهلهم (أب الزوج و أمه) 1

الزواج:

يعرف الزواج إجتماعيا على أنه " مؤسسة إجتماعية أو مركب
من المعايير الإجتماعية يحدد العلاقة بين رجل و امرأة ويفرض
عليها نسقا من الإلتزامات و الحقوق المتبادلة الضرورية لإستمرار
الحياة الأسرية " 2

الختان :

هو عملية الإنتقال إلى الرجولة و ذلك بقطع الجلد التي على
رأس الذكر وهو رمز من رموز الإنتماء إلى الدين الإسلامي

الموروث الشعبي :

وهو كل ما خلفه لنا الأباء و الأجداد من تراث سواء من الجانب
الفكري أو الجانب المادي .

1- نخبة من المتخصصين ، علم الإجتماع الأسري ،مرجع سبق ذكره ،ص53

2- فاتن محمد شريف ، الثقافة و الفلكلور ، دار الوفاء للطباعة و النشر ، الإسكندرية ،ط1
،2008 ،ص338 .

منهجية البحث :

كلّ بحث يتطلب منهجية خاصة لدراسته، و التي تساعد على بلوغ غايته، و طبيعة الموضوع هي التي تحدد نوعية المنهج الذي يعتمد عليه، و يقوم بحثنا على أساس دراسة ميدانية محضة، لدراسة العادات الإجتماعية و التقاليد الخاصة بالزواج و الختان، في وسطين مختلفين حضريين و التغيرات التي طرأت عليها، لذلك أعتبرت دراستنا بمثابة دراسة حالة لأنها إختصت :

- بمجتمع معين (الحضري بمدينتي وهران و ندرومة)

- مدّة زمنية معينة.

- معرفة العادات و التقاليد و درجة التباث فيها و التغير بين الماضي و الحاضر و الإنتقال بهذه العادات و التقاليد من الفكرة إلى التجسيد في الواقع .

فإعتمدنا بذلك في دراستنا على أربع نظرات :

النظرة الأولى: تاريخية بتحديد البعد الزمني للعنصر الشعبي المدروس، وذلك إثر دراسة تاريخية عبر الزمن وما حدث عليه من تغيرات إثر التغيرات الإجتماعية و الثقافية للمجتمع المدروس.

النظرة الثانية: جغرافية بتحديد البعد المكاني للعنصر المدروس

النظرة الثالثة : سوسولوجية وذلك بتحديد البعد الإجتماعي لعناصر

الثرات (البعد الإجتماعي للعادات و التقاليد)

النظرة الرابعة : بسيكولوجية أي الموقف العقلي النفسي لحامل

الثرات الشعبي أي موقف الناس من هذه العادات و ما يرتبط بممارستها.

وإعتمدنا في دراستنا على عدة مناهج :

- المنهج الوصفي :

وذلك قصد إعطاء صورة عن العادات الإجتماعية و التقاليد الخاصة بالزواج والختان في مدينتي وهران و ندرومة ومعرفة شكلها في الماضي و الحاضر و أهم التغيرات الطارئة عليها .

- المنهج التحليلي : وتمثل في تحليل مضمون المقابلات و تحديد العلاقات القائمة بين مختلف المتغيرات .

- المنهج الوظيفي :

لقد إعتبرت الوظيفية من وسائل التحليل، التي تطبق على المجتمعات التي تعيش حالات إنتقالية أو تغيرات إجتماعية، كمجتمعنا و الذي يعرف هذه الحالات من خلال الحداثة .وقد إستعمل العديد من الباحثين هذا المنهج في الدراسات الأنثربولوجية و السوسيولوجية ،وقد إستعنا بهذا المنهج لدراسة وظيفة العادات الإجتماعية و التقاليد كعناصر للضبط الإجتماعي ووظيفة الأسرة في الحفاظ على هذه العادات و التقاليد .

- المنهج المقارن :

للمقارنة بين ماضي الأسرة في ممارستها للعادات و التقاليد بحاضرها في وسطين حضريين مختلفين .

وقمنا بدراستنا في وسطين حضريين مختلفين مدينة وهران وتقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط في أقصى غرب الجزائر داخل الخليج الذي يحمل إسمها على خطي عرض 35° و 38° غربا .

وهران خصوصا كباقي المدن الجزائرية ،التي عرفت الحماية العثمانية فقد ذاقت من كل هذه الحضارات، و بذلك عرفت عادات و تقاليد عثمانية مختلفة ،أسهمت في بناء ذهنية الفرد. و لأن المدينة وكما سنرى لاحقا في نظر الأنثروبولوجيا الحضرية تشكل وحدة ثقافية ،و الحضارة تمثل تراثا من القيم و العادات ،فإنها تؤثر و تتأثر و هذه العوامل كلها ساعدت مدينة وهران على أن تعرف تحولا إجتماعيا و ثقافيا و تغييرا في معالمها الثقافية و التاريخية خلال تلك الفترات و بعدها ،لذلك فثقافة سكان مدينة وهران هي مزيج من الثقافات الدخيلة على المدينة و نجد هذه العوامل كلها لها التأثير في تغيير بعض الممارسات و الطقوس، و خلق عادات و إندثار عادات أخرى ، كما كان لها التأثير على الذهنيات الفردية و بالتالي على الذاكرة الجماعية كما أثرت على البنية الإجتماعية و الثقافية و الدينية للمجتمع.

و مدينة ندرومة في الغرب الجزائري ، قرب مدينة تلمسان و إحدى الولايات التابعة لها ،ويؤكد التاريخ على قدم مدينة ندرومة كما تؤكد ذلك أسوارها، التي تعود إلى عهد الأمير عبد المؤمن بن علي مؤسس الدولة الموحدية وشبيه نمط هندستها ، المعمارية شكل المدن القديمة الجزائرية، و التي يغلب عليها الطابع الإسلامي و أبرز ما يميز المدينة الساحة الموجودة في وسطها ، و التي يطلق عليها سكان المدينة إسم التربيعة كما يوجد بها الجامع الكبير، و أزقتها ضيقة ملتوية و منازلها عتيقة وواسعة من الداخل وبها أسطح. و عرفت منذ الإستقلال توسعا جغرافيا على طول طريق الغزوات و جباله حيث أنشئت أحياء جديدة تتميز بأنهج عريضة وواسعة كما بنيت منازل عصرية ولكن تمكنت مدينة ندرومة من المحافظة على طرازها المعماري الإسلامي بالنسبة للأحياء السكانية القديمة و أسلوب البناء للكثير من المنازل الفردية الحديثة .

وإنطلقنا في دراستنا هذه من الملاحظة المباشرة، بما أن بحثنا كفي، وذلك بملاحظة الطقوس التي تقام في حفلات الزواج و الختان و العادات المصاحبة لها، و المشاركة فيها. كما قمنا بدراسة إستطلاعية ساعدتنا في صياغة إشكالية الدراسة و الفرضيات، هذه الدراسة التي كانت في صائفة سنة 2010 حيث تكثرت في هذا الوقت من السنة حفلات الزفاف و الختان وذلك بعد الملاحظة المباشرة .

ودامت الدراسة الإستطلاعية قرابة ثلاثة أشهر قضيناها بين مدينتي وهران وندرومة، مما ساعدنا على تغيير عدد من التساؤلات التي كانت مطروحة، وصياغة دليل المقابلة كما إعتدنا على مجموعة من الصور الفوتوغرافية و الأفلام المصورة عن هذه الإحتفالات، والتي ساعدتنا في ملاحظة العديد من العادات وتحليلها .

وتتوقف القيمة الموضوعية إلى حدّ كبير لنتائج البحث على طبيعة التقنية أو الأداة المستخدمة في جمع البيانات، لذلك إستخدمنا تقنية المقابلة والتي تعتبر "محادثة بين شخصين أحدهما الباحث و الآخر المبحوث"¹ لجمع المعلومات بدقة وفعالية، و إختارنا المقابلة نصف موجهة تفاديا لخروج المبحوثين عن الموضوع، وقد تمت المقابلات في البيوت عند العائلات التي إستضافتنا، وقد ساعدنا وجود العائلة في مدينة ندرومة من التقرب إلى المبحوثين

1- جودت عزت عطوي، أساليب البحث العلمي، مفاهيمه، أدواته و طرقه الإحصائية الدار

العلمية الدولية ودار الثقافة للنشر و التوزيع، عمان، ط1، 2000، ص110

وإكتساب ثقتهم ،كما ساعدنا أننا نقطن مدينة وهران وتعرفنا على العديد من العائلات بحكم الجيرة أو بحكم الصداقة ، من القيام بالمقابلات المعمقة و التحدث إلى العائلات وبالتالي إكتساب ثقتهم .وقد إستغرقت المقابلات من ساعة إلى ساعتين، وتم تسجيلها بالمسجل الصوتي . وتم تركيب عينة متنوعة من 20 مبحوثا1 مراعين في ذلك المتغيرات التي إعتدناها في الدراسة السن ،الجنس ، الأصل الجغرافي ، المستوى الدراسي ومن خلال هذه المتغيرات قسما هذه العينة إلى ثلاث فئات من حيث السن و فئتين من حيث الجنس :

فئات السن :

-الفئة الأولى من25إلى 40سنة

- الفئة الثانية من 41إلى 50سنة

- الفئة الثالثة من 50سنة فما فوق

فئات الجنس ذكور و إناث .

1- أنظر جدول معطيات المقابلات الميدانية ضمن الملاحق .

وتشمل خطة البحث على ثلاثة فصول :

الفصل الأول العادات الإجتماعية و التقاليد الأصول المفهوم و النشأة

ويحوي هذا الفصل على مبحثين :

المبحث الأول : جدلية العادات و التقاليد بين الثقافة و الثرات و تطرقنا في هذا المبحث إلى علاقة العادات و التقاليد بالثقافة و الثرات و موقعها منهما .

المبحث الثاني : ويتطرق إلى مفهوم العادات و التقاليد نشأتها وعلاقتها بالمعتقدات إضافة إلى دورها في الضبط الإجتماعي .

الفصل الثاني: الأسرة و منظومة المعايير بين التباث و التغير

ويشمل على مبحثين :

المبحث الأول : الأسرة و منظومة القيم و المعايير و تطرقنا فيه إلى مفهوم الأسرة و العائلة و دورها في نقل المعايير عن طريق التنشئة الإجتماعية .

المبحث الثاني : العائلة و التحولات الإجتماعية و الحضرية و نعرض فيه تأثير هذه التحولات على دور الأسرة في نقل المعايير الإجتماعية في ظل التغير و التحضر .

الفصل الثالث : عادات الزواج و الختان بين التباث و التغير و تطرقنا

فيه إلى عادات الزواج و الختان بين الماضي و الحاضر .

المبحث الأول : و تعرضنا فيه إلى الزواج و الختان المفهوم و الرمز .

المبحث الثاني : وتعرضنا فيه إلى واقع عادات الزواج والختان بين ما كانت عليه في الماضي و ما أصبحت عليه في الحاضر وذلك للوصول إلى مظاهر التباث و التغير لهذه العادات في مجتمع البحث .

الفصل الأول

العادات الإجتماعية و التقاليد

الأصول ، المفهوم ،النشأة

تمهيد :

يرى العالم تورنوالد أن الثقافة "تشمل على مجموع الأشياء و العادات و الأفكار التي تبدو في المجتمعات و تكون مرتبطة بها"¹ وإنطلاقاً من هذا التعريف لا يمكننا أن نتحدث عن العادات و التقاليد دون التطرق إلى الثقافة و التراث، كأحد المبادئ الأساسية لدراسة موضوع العادات و التقاليد، إذ أنه لكل جماعة إجتماعية ثقافة خاصة بها، وبالتالي عادات و تقاليد وطرق خاصة بحياتها وقد كيفت نفسها لتراثها الثقافي ، إذ تمثل هذه الثقافة جزءاً لا يتجزأ من كيان المجتمع ، و أحد المقومات الأساسية للهوية الجماعية، كما أنها عنصر هام في تكوين تراث أي مجتمع، هذا التراث الذي يعتبره الأفراد ثروة يحافظون عليها من جيل لآخر، كما إعتبره المفكرون أنه وسيط بين الماضي و الحاضر، إذ يشكل علاقة حركية ، هذه العلاقة في جوهرها هي علاقة تفاعل بين حركتين من تاريخ أي أمة ، حركة أنتجت إنجازات الماضي، و حركة هي في طريق الصيرورة لإنتاج إنجازات الحاضر. كما أن هذا التراث يشكل نمط حياة موروث عن الأجداد يشمل مجموع العادات و التقاليد .و من هنا يظهر جليا العلاقة الكامنة بين التراث و الثقافة و العادات و التقاليد لأي أمة ، إذ علاقة الثقافة بالتراث هي حفظ التراث الثقافي و نقله من جيل لآخر .

و الحتمية تجعل من العادات و التقاليد من بين ما تنتجه هذه العلاقة ، وفي إطار هذه العلاقة تنتقل العادات من جيل إلى جيل

1-محمد السويدي ، مفاهيم علم الإجتماع الثقافي ، مرجع سبق ذكره ، ص22

وتعتبر الثقافة عاملا مهما في تصنيف المجتمعات والأمم، وتمييز بعضها عن بعض، و ذلك بالنظر لما تحمله مضمونات الثقافة من خصائص ودلالات ذات أبعاد فكرية و إجتماعية و إنسانية ، وقد تعددت تعريفات الثقافة منها ما أخذ بالجوانب المعنوية / الفكرية، ومنهم من أخذ بالجوانب الموضوعية /المادية أو كليهما معا، بإعتبار الثقافة في إطارها العام تمثل سيرورة المجتمع الإنساني، و إبداعاته الفكرية و العلمية، مما يجعل العادات و التقاليد جزءا لا يتجزء من ثقافة المجتمع. و هذا ما نتطرق إليه في هذا الفصل الذي خصصناه لدراسة الثقافة عامة، كالرحم الذي تتولد عنه العادات و التقاليد و علاقتها بالتراث عموما ، و تناولنا في المبحث الثاني منه مفهوم العادات الإجتماعية و التقاليد و النسق المعياري و علاقته بالمجتمع و الدين .

المبحث الأول

جدلية العادات و التقاليد بين الثقافة

و التراث

1-الثقافة :

1- مفاهيم الثقافة :

ينطلق كل المفكرين الإجماعيين أو غيرهم من مسلمة أن الثقافة هي المخزون الحي في الذاكرة، متكونة من العلوم و المعتقدات و الأعراف و التقاليد ، لذلك فإن الثقافة تشكل المضمون الفكري الذي يجعل لكل مجتمع سماته المميزة، لذلك فهي تحمل بين طياتها السمات الإجتماعية المتوارثة و المستجدة، كما أنها تشمل أساليب التفكير ، و الشعور ، و السلوك التي يعبر عنها الناس في مجتمع معين عن طريق عاداتهم و تقاليدهم . وقد اختلفت مجمل التعاريف للثقافة، ولكن إتفقت معظمها حول مفهوم واحد ، هو الذي يجعل منها الأساس المكون لعادات و تقاليد المجتمع و بالتالي لتراثه العام . ويمكن إدراج هذه التعريفات كالتالي :

أ- تعريف الثقافة عند السوسيولوجيين و الأنثربولوجيين:

يرى العلماء أتباع هذا الإتجاه أن الثقافة تمثل كل ما يبدو في المجتمعات، من عادات ، و أفكار و غيرها، كما يعتبرونها مرادفا للحضارة ، و على أنها مجمل المظاهر الفكرية للحياة الإجتماعية. فالثقافة من الناحية السوسيولوجية، تتضمن كل أساليب السلوك التي لها علاقة بمجالات النشاط البشري ، أما أنثربولوجيا فترتبط بطرق الحياة، و تكون في حد ذاتها طرقا للحياة لدى جماعة معينة، و بالتالي الميراث الإجتماعي الذي يحصل عليه الفرد من مجموعته التي يعيش فيها .

ويمكن تحديد تعاريف الثقافة من خلال الإتجاهات التالية :

- التعريف الوصفي :

ومن أتباعه فرانز بواس Boas¹، وهو يتضمن عنصرين للثقافة المادية و اللامادية، و يعتبر هذا الإتجاه أن الثقافة تشمل كل مظاهر العادات الإجتماعية، وردود أفعال الأفراد و سلوكياتهم، كما تنطوي على جميع الأنشطة الإنسانية التي أفرزها المجتمع . وإذا أمعنا النظر في هذه الواجهة نجدها تركز على إتجاهي الثقافة المادية و اللامادية، لذلك هي تشير إلى جانب من جوانب الحضارة و المدنية، مادامت الحضارة تعنى بالجوانب اللامادية. إذ كانت ولوقت قريب ملازمة لمفهوم الثقافة، وتعنى المدنية بالثقافة المادية مادامت تشمل وسائل التطور التكنولوجي، و على إعتبار أنها تمس الجانب العقلي للإنسان .

- التعريف التاريخي :

ويرى أصحاب هذا الإتجاه أن الثقافة تعبر عن كل ما يورثه الجنس البشري، ومن أتباعه رالف لينتون R. Linton الذي يجعل من الثقافة المصطلح الملائم لتعيين المجموعة المنظمة من العادات و الأفكار و المواقف، التي تكون مشتركة بين جميع أعضاء المجتمع. كما إعتبرها أصحاب هذا الإتجاه أنها تشير إلى مجمل العمليات ذات الأصل التاريخي، و التي تتراكم على مر العصور، و من خلال السياق الحضاري وتترسب داخل الزمن التاريخي، فتتمو وتتطور و تنتقل عبر الأجيال، لذلك إعتبر لينتون الثقافة معبرة عن كل ما تشترك فيه الجماعة من عادات وأفكار " الثقافة هي طريقة مميزة و ثابتة نسبيا و أسلوب للحياة تتسم

1- فاتن محمد شريف، الثقافة و الفلكلور، مرجع سبق ذكره، ص22

بالصفة العامة للتفكير، و هي تتكون من مجموعة من الأفكار و العادات و التقاليد التي تعلمها الأفراد خلال حياتهم الإجتماعية، وهذا ما يميز المجتمع البشري، فالعادات و التقاليد التي يشارك فيها أفراد المجتمع الواحد، يتسم بها الجنس البشري، و يستخدمها المجتمع الإنساني عبر التاريخ جيلا بعد جيل، و يتناقضون بها كثرات إجتماعي "1 لذلك يمكن القول بأن لينتون عادل الثقافة بالوراثة الإجتماعية، و التي جعلها مجموعة من الإستجابات المكتسبة التي يتميز بها المجتمع .

-الإتجاه السيكولوجي :

لقد أبرز أصحاب هذا الإتجاه جوانب التكيف و التعلم والعادات، وذلك على إعتبار أن الثقافة تشكل مجموعة من الأساليب التي تحقق إشباع الحاجات و حلّ المشكلات و التكيف مع البيئة . فالثقافة عندهم تركز على كلّ المشكلات التقليدية، النابعة عن العمليات الفردية، غرضها إشباع حاجات الأفراد قصد تكيفهم مع بيئتهم الخارجية . من أصحاب هذا الإتجاه فورد Ford الذي يعتبر الثقافة " مجموع الطرق التقليدية المتبعة في حلّ المشكلات"2

-التعريف المعياري :

يعتبر هذا الإتجاه الثقافة أسلوب مميز للحياة بإعتبارها أساس

1 -حسين عبد الحميد أحمد رشوان ، الثقافة دراسة في علم الإجتماع الثقافي ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ،2006،ص 25

2 -فاتن محمد شريف ، الثقافة و الفلكلور ، مرجع سبق ذكره ، ص20

الأفكار الإنسانية ، من ممثلي هذا الإتجاه كلينبرج 1Klinberg الذي جعل من الثقافة أسلوب من الحياة، حددته الجماعة وهذا ما يجعل منها نتاج الجماعة و ليست نتاج الفرد، لأن الجماعة هي التي تختار سلوك الأفراد ، وهذا حال العادات الإجتماعية والتقاليد التي تفرضها الجماعة على الفرد ، وعليه فإن الثقافة مرغمة على الفرد و ليست مختارة إذ لايمكن للفرد أن يختار الثقافة التي يريد لها لنفسه ، بل عليه أن يتشرب ثقافة مجتمعه.

- التعريف النشوئي التطوري :

هذا الإتجاه ينظر إلى الثقافة بإعتبارها نتاج متراكم من السلوك ، قابل للتحويل من الماضي إلى الحاضر أي أنها تنتقل من جيل لآخر، من أتباعه كار Carr ، فالثقافة عندهم وراثثة إجتماعية يصنعها الإنسان بإعتباره عضوا في المجتمع، ويورثها و ينقلها إلى خلفه، و يحرص على ذلك ومثل ذلك العادات و التقاليد التي يرثها الخلف عن السلف، و يعمل السلف و يحرص على أن يحافظ عليها من طرف الخلف ، كما أن مبدأ هذا الإتجاه قائم على أنه هناك مراحل تطورية واحدة في جوانب الحياة الإجتماعية و الثقافية، لذلك إهتموا بنشأة الثقافة و عوامل نموها ، و هم يركزون على أصول الثقافات و مصادرها و إعتبر كار الثقافة "إنتاج تراكمي منقول للسلوك السائد في المجتمعات "2.

1- محمد السويدي ، مفاهيم علم الإجتماع الثقافي و مصطلحاته، مرجع سبق ذكره ، ص47

2 – حسين عبد الحميد أحمد رشوان ، الثقافة دراسة في علم الإجتماع الثقافي ،مرجع سبق ذكره ،ص26

- التعريف الإنتشاري :

يرجع الإتجاه الإنتشاري التفاعل بين الثقافات إلى إنتشار السمات الثقافية من مجتمع للآخر ،نتيجة لإتصال تلك المجتمعات بعضها ببعض ، عن طريق الحروب و الغزوات ، أو الهجرة وهذا ما يجعل إنتشار سمات ثقافية لمجتمع معين في مجتمع آخر ،مثلا هجرة عائلة من الريف إلى المدينة حاملة لعناصر ثقافية معينة، أو بالأحرى عادات معينة فإنتشرت بعض ملامح هذه العادات في ذلك المجتمع، مما يؤدي إلى إمتزاج العادات و دخول عادات جديدة على المجتمع. وهذا مانراه في حفلات الزفاف في اللباس ،حيث أصبحت العروس ترتدي أنواع مختلفة من الألبسة الخليجية ، المغربية ، الهندية و غيرها ،وحتى الأطعمة تنوعت من تركي و سوري و مغربي وغيره،وذلك نتيجة إنتشار سمات ثقافية في المجتمع الجزائري من خلال التبادل الثقافي الناتج عن الإحتكاك بالمجتمعات الأخرى أو بفضل وسائل الإعلام .

و مما سبق يمكن رصد إتجاهين في دراسة الثقافة :

- إتجاه واقعي إعتبر الثقافة كل يتكون من أشكال السلوك المكتسب الخاص بمجتمع معين . أي أن الثقافة تهتم بالسلوك البشري الإجتماعي، ويتحدد مفهوم الثقافة في ضوء العادات و قواعد العرف و التقاليد المكتسبة ،حيث إعتبر هذا الإتجاه الثقافة أنماط أساسية محددة من السلوك الإجتماعي من رواده سابير ، تايلور ، مالمينوفسكي ، بواس
- إتجاه تجريدي يعتبر الثقافة مجموع أفكار مجردة ،و العادة الإجتماعية هي أنماط مثالية للسلوك، المرتبطة بطرق الإختراع فهي شئ مجرد تمثل فكرة ما فوق العضوي و هذا ما عبر عنه رالف لينتون و كروبير .

ويستخدم علماء الأنثروبولوجيا مفهوم الثقافة ليشيروا إلى كل ما هو من
نتاج الإنسان، لذلك تعتبر بمثابة التراث الإجتماعي الذي ينتقل من جيل
لآخر وهذا ما ينطبق على العادات .

ب- الثقافة في الفكر الغربي و العربي :

تعريف كلوكهون للثقافة :

لقد إعتبر كلوكهون الثقافة جميع مشاريع الحياة و مخططاتها، التي تكونت مع التاريخ العام لأي مجتمع، سواء كان ذلك فكري أو لافكري ، موجودة في كل الأوقات كوسيلة للضبط الإجتماعي ، و موجه للسلوك حيث يشترك في هذه المشاريع جميع أعضاء المجتمع كفاعلين، تتنوع سلوكياتهم ،مما يجعل لكل مجتمع ثقافة خاصة به. وحسب كلوكهون الثقافة " هي ذلك الجزء من السلوك الذي يتعلمه أفراد المجموعة الثقافية و يشتركون فيه فهي ميراثنا الإجتماعي "1 . هذه الثقافة التي يجعل منها كلوكهون أحد أدوات الضبط الإجتماعي في المجتمع، و مهما كانت بنيته ،لأنها تنظم حياتنا حيث يعيش الإنسان في مجتمعه تحت ضغط مستمر ، إذ هو مكره لإتباع أنماط سلوكية معينة يفرضها عليه أفراد قد سبقوه و تركوها له ،ضمن إرث إجتماعي يتوارثه الأجيال فيما بينهم و يتناقلونه ، و ما على الفرد إلا أن يتتبع هذه الأنماط راغبا لأنه لا يجد لها بديلا في حين يخرج عن بعضها مكرها . وقد حلل كروبر و كلوكهون مفاهيم الثقافة المتعددة ،ووجدوا أن السمة المشتركة بينها هي أنها تشير إلى أن الثقافة تكتسب بالتعلم، و تعدل نتيجة ذلك فيضاف إليها و يلغى منها ، و هذا ما ينطبق على عناصرها كالعادات و التقاليد حيث يهذب التعلم من بعضها أو يعدلها أو يلغيها مع مرور الزمن.

1-محمد السويدي ، مفاهيم علم الإجتماع الثقافي و مصطلحاته، مرجع سبق ذكره ،ص49

تعريف ألفريد فيبر للثقافة :

جعل فيبر الثقافة مهتمة بالأشكال الروحية للإنسان، بما تشمله من عادات و قيم مختلفة من مجتمع لآخر، و من زمن لآخر، لذلك يعتبر الثقافة " جملة من العناصر الروحية و المشاعر و المثل المشتركة، التي ترتبط في خصوصيتها بمجموعة و زمن معينين "1 لذلك نجد أن فيبر إعتبر العادات جزءا لا يتجزأ من الثقافة .

تعريف الثقافة عند إدوارد تايلور :

يعتبر تايلور الثقافة "ذلك الكل المعقد الذي يشمل المعارف و العقيدة و الفن و القيم الأخلاقية و القانون و التقاليد الإجتماعية، و كل القدرات و العادات التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضوا في المجتمع "2 لذلك نجده أبرز في تعريفه العناصر اللامادية لحياة الناس، كالقانون والعرف، و التي تنشأ عن طريق التفاعل الإجتماعي و تأخذ بالتالي طابعا إلزاميا . أي ركز على العناصر المتكونة من تفاعل الإنسان مع غيره، أي كل ما يصنعه المجتمع .ومن خلال هذا التعريف نقل الثقافة إلى مستوى الوقائع الإجتماعية التي يمكن ملاحظتها خلال فترة زمنية محددة ويمكن تتبع تطورها .

1- الطاهر لبيب ، سوسيلوجية الثقافة ،دار محمد علي الحامي للنشر ، صفاقس ،ط5، 1988، ص7،

2- عفت الشرقاوي ، في فلسفة الحضارة الإسلامية ،ط4، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، 1985 ، ص11 .

تعريف غي روشيه :

يرى غي روشيه أن الثقافة "هي مجموعة من العناصر لها علاقة بطرق التفكير و الشعور و الفعل، و هي طرق صيغت تقريبا في قواعد واضحة و التي إكتسبها وتعلمها و شارك فيها جمع من الأشخاص .تستخدم بصورة موضوعية ورمزية في أن معا من أجل تكوين هؤلاء الأشخاص في جماعة خاصة مميزة "1 ويشير تعريف غي روشيه إلى أن الثقافة تمثل كل ما هو فكري ،أو عقلي وكل ما أنتجه الإنسان كفاعل إجتماعي ، بحيث يمثل قانون أو قاعدة يتعلمها الأفراد، و يستخدمونها في حياتهم ،و الملاحظ من تعريف غي للثقافة و تعريف تايلور أنهما يعطيان للثقافة مفهوما واحدا ،بما أنهما جعلهاا تشمل كل ما ينتجه الفرد داخل الجماعة .أي كل ما ينتج عن طريق التفاعل الإجتماعي لذلك ربطها بالفكر و العقل أي بما هو لامادي .

التعريف الماركسي :

تعتبر الماركسية الثقافة كائن إجتماعي متغير، يتطور مع تطور أسلوب الإنتاج ، حيث يعتمد في أدائه لوظائفه الحيوية على ذلك . و أسلوب الإنتاج هو الذي يتحكم في التغيرات التي تحدث في النظام السياسي و المعنوي ،وذلك لأن ماركس يعتبر أن النسق الإجتماعي يتكون من بنية تحتية و بنية فوقية (الثقافة)، فإن أسلوب الإنتاج يحدد تحول الأنظمة الإجتماعية و الثقافية من حالة لأخرى ، و عليه فإن نمو الثقافة المادية و الروحية للمجتمع مقرون بنمو أساليب الإنتاج ،ومنه

1-غي روشيه ، مقدمة في علم الإجتماع العام ، الفعل الإجتماعي ، ترجمة مصطفى

دندشلي،ج1 ، مكتبة الفقيه ، بيروت ، 2002 ، ص198

نرى أنه ماركس ربط مفهوم الثقافة بالإنتاج الذي إعتبره شرط التطور الثقافي .

تعريف مالك بن نابي للثقافة :

إن مالك بن نابي لا ينظر إلى الثقافة من زاوية واحدة، بل يعتبرها تعنى بالجانب الفكري كما تعنى بالجانب الفعلي، والذي يهتم بأسلوب الحياة في المجتمع و طريقة العيش و السلوك العام الإجتماعي. لأنها إنعكاس للواقع الموضوعي لكل مجتمع بما فيه من ماديات ومعنويات فيعرفها على أنها " مجموعة من الصفات الخلقية و القيم الإجتماعية، التي تؤثر في الفرد منذ ولادته لتصبح لاشعوريا تلك العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه ، فهي على هذا، المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه و شخصيته "1 وهو بذلك يعتبر الثقافة المؤثر الأساسي في حياة الأفراد و الجماعات .

تعريف الجابري للثقافة :

إعتبر الجابري الثقافة "أنها ذلك الكل المركب المتجانس من الذكريات و التصورات، و القيم و الرموز، و التغيرات و الإبداعات و التطلعات التي تحتفظ بها جماعة بشرية "2 فالجابري جعل من الثقافة كل ما

1-مالك بن نابي،مشكلة الثقافة ، ترجمة عبد الصبور شاهين ، مطبعة الجهاد ، القاهرة ، 1959 ،ص 73 .

2-خالد محمد أبو شعيرة ، نائر أحمد غباري ، الثقافة و عناصرها ، مكتبة المجتمع العربي للنشر و التوزيع ، عمان ، 2008 ،ص18

يخلفه الإنسان و يتركه للجيل الذي يليه، فدمج فيه ذكريات الإنسان و تصوراته و قيمه ورموزه ، و قد أضاف إلى ذلك حتى التغير و الإبداعات التي يعرفها المجتمع، فبذلك دمج في تعريفه للثقافة بين جانبها المعنوي و المادي .إذلك فإن التغير بالنسبة للجابري ليس عائقا للثقافة بل هو أحد أسسها، لأن هذا التغير يحتفظ به جيل بعد جيل و يضيفون إليه و هكذا تدور الحلقة .

تعريف ابن خلدون للثقافة :

عرف ابن خلدون الثقافة على أنها " العمران الذي هو من صنع الإنسان، بما قام به من جهد و فكر و نشاط ليسد به النقص بين طبيعته الأولى و خاصة في بيئته، حتى يعيش معيشة عامرة زاخرة بالأدوات و الصناعات " 1 فقد تصور ابن خلدون الثقافة على أن الإنسان و نتيجة النقص الذي أصابه في حالته الأولى، و نتيجة لإزدياد حاجاته تعددت طرق إشباعها على مرّ العصور، فتمكن من كشف العمران من خلال تفكيره و جهده، الذي إستطاع من خلاله أن يعيش حياة يريدتها و يطمع فيها ،ملبية بالأدوات و الصناعات التي إستطاع بها تلبية رغباته المعيشية وفقا لما تتطلبه بيئته و طبيعته، حيث نشأت الثقافة عندما بدأ الإنسان يفهم بيئته ،وتمكن من إختراع ما يساعده على التكيف مع ظروف هذه البيئة الصعبة .

و بتمعن هذه التعاريف السابقة للثقافة، يظهر جليا أنه رغم إختلاف النظرات حول الثقافة و مفاهيمها بين وجهة نظر غربية،

1-خالد محمد أبو شعيرة ، المرجع السابق ، ص18

وعربية ،أو بين وجهة نظر سوسولوجية التي تعتبرها كل أساليب السلوك التي يكتسبها الفرد من مجالات النشاط البشري المتنوعة ،أو وجهة النظر الأنثربولوجية التي تجعل منها مجموعة طرائق الحياة لدى شعب معين ، أي الميراث الإجتماعي الذي يحصل عليه الفرد من الجماعة التي يعيش فيها " الثقافة تشير إلى الإرث الإجتماعي عند كل من النوع الإنساني ففي مفهومها الواسع ثقافة تعني نوع معين من الإرث الإجتماعي "1، ولكن تتفق جميع وجهات النظر لتجعل من الثقافة شيئاً مكتسباً، يأخذه الفرد عن محيطه و بيئته التي يعيش فيها لكي يتطبع عليه و يسير من خلاله حياته .

1- Ralph Linton , De L' homme , sens commun ,traduction d'Yvette Delsant ,les éditions de Minuit ,Paris ,1967,P99

2-مكونات الثقافة :

لقد قسم رالف لينتون المكونات الثقافية إلى ثلاثة أقسام :

أ- العموميات : وهي التي تشترك فيها الغالبية العظمى من أفراد المجتمع، أي موجودة عند كل أعضاء المجتمع، تختلف من ثقافة لأخرى و تشمل طرق اللبس،الشعائر الدينية ، طقوس الأفراح و غيرها وهي الوسيلة التي ينتسب بها الإنسان إلى مجتمعه، و بها تتحدد سمات المجتمع و ملامح شخصيته ، وهذه العموميات هي التي تؤدي إلى ظهور الشعور الجمعي و تكون روح الجماعة، لأنها وسيلة لتوحيد المجتمع و ضمان تماسكه حيث ينتظم في ظلها أفراد الجماعة تحت السلوك العام الذي يرتضيه المجتمع .

ب-الخصوصيات :

وهي عناصر الثقافة المشتركة بين مجموعة من الأفراد و ليس جميع أفراد المجتمع، مثل الأشياء التي تقوم بها جماعة في المجتمع ولا تقوم بها جماعة أخرى،وهذا ما يفسر العادات المختلفة في المجتمع إذ مثلا في طقس الزواج عادات تقوم بها طبقة معينة لا تقوم بها طبقة أخرى في نفس المجتمع، أو إختلافات الطقوس العقائدية بين المسلمين و المسيح في منطقة واحدة .

ج-المتغيرات أو البدائل :

هي عناصر الثقافة التي توجد عند أفراد معينين، أي لا تكون موجودة عند أفراد المجتمع جميعهم .

3-الثقافة و العادات :

من تعاريف الثقافة السابقة يظهر جليا للعيان أنها الوعاء الذي يحمل بين جنباته مجمل أفكار المجتمع و سلوكياته، و بالتالي هو الرحم المولد للعادات و التقاليد، وهو الوسيلة المثلى لنقل هذه العادات و التقاليد من جيل لآخر مادامت تشمل جانبيين مادي و لامادي ، وبناء على ذلك فإعتبار تاييلور العادات و التقاليد جزءا لا يتجزء من ثقافة أي مجتمع، يجعل العلاقة بين الثقافة و العادات علاقة تلازمية مرتبطة. و إذا كانت الثقافة في معناها الأنثروبولوجي هي الأسلوب العام لحياة الجماعة في مكان و زمان محددين ، و الأسلوب العام هو كل ما يرتبط من الحياة الإجتماعية أو الفردية بالبيئة الإجتماعية، هذا ما يجعل العادات على علاقة بالثقافة، ما دامت تمس الجانب العقلي للمجتمع. و الجانب العقلي هو كل ما هو نتاج عقل الإنسان، و العادات هي نتاج عقل الإنسان كسلوكيات يتخذها في حياته . و تنقل العادات مع إنتقال الثقافة بفضل خاصيتها و هي الإنتقالية و التراكمية، ذلك أن الثقافة تنتقل من جيل لآخر بواسطة عملية التنشئة الإجتماعية، و من جماعة لأخرى بواسطة التثقاف، هذا ما يجعلها تنقل معها عادات و تقاليد الأجيال إلى أجيال أخرى ، هذا ما جعل مفهوم الثقافة مفهوم محوري يتضمن الأفكار و التصورات الموروثة ، و العادات و القيم السائدة في مجتمع هذا ما عبر عنه العلماء و المفكرين و على رأسهم روث بينيديكت . و تتجلى علاقة الثقافة بالعادات و التقاليد ضمن مفهومها الأنثروبولوجي، الذي جعل منها أسلوب أو طريقة حياة لشعب ما بما تعنيه من عادات و تقاليد و أعراف و تاريخ و عقائد و قيم .

4-الثقافة و المجتمع:

على مرالعصور تنوعت الدراسات عن العلاقة بين الثقافة و المجتمع إذ إعتبر لينتون Linton الثقافة و المجتمع شيئان متلازمان، رغم كونهما ظاهرتان مختلفتان وما يربطهما هو الأفراد الذين يكونون المجتمع. حيث يعبر سلوكهم عن نوع ثقافتهم، ويمارسون هذه الثقافة مجتمعين، ولكن فليس كيسنجKeessing يرى أن المجتمع و الثقافة مختلفان ، ويميز بينهما " الثقافة تركز على البؤرة التي تجتمع فيها عادات الشعب، بينما يركز المجتمع على الشعب الذي يشارك في العادات "1 وهنا يكمن الإختلاف بين الثقافة و المجتمع حسب رأيه، ذلك أن الثقافة تهتم بعادات الأفراد في المجتمع بينما المجتمع يركز على الأفراد الذين يمارسون هذه العادات ،و لكن مهما كان الإختلاف بينهما إلا أنهما يشتركان في أمر واحد، هو الأفراد كحاملين للتراث و الثقافة. و لكن هناك من العلماء من يرى أن هناك إختلاف في دراسة الثقافة و المجتمع ذلك أن الإهتمام بدراسة ملامح الثقافة في المجتمع، معناه الإكتفاء بدراسة العادات و العرف و التقاليد و الظواهر الثقافية، دون دراسة المجتمع و النظم الإجتماعية، و الإهتمام بتحليل العلاقات القائمة في المجتمع، و الإعتماد على التغيرات التاريخية و السيكلوجية، و محاولة ردّ العادات و الأفعال إلى أصولها . ذلك أن دراسة الثقافة و المجتمع ينبغي أن تكون متلازمة، لأنه لا يمكن التغافل على التأثيرات التي تحدثها الثقافة في المجتمع ، و علاقة الثقافة بالمجتمع تظهر في أن الثقافة توحد الأفراد و سلوكهم، لأنهم يشتركون في أهم السمات الثقافية ،مما يؤدي إلى ظهور الإهتمامات المشتركة التي تجمع بين هؤلاء الأفراد وتوحد ذهنياتهم و أهدافهم لأنهم يجتمعون حول شيء

1 -محمد السويدي ، مفاهيم علم الإجتماع الثقافي ، مرجع سبق ذكره ،ص30

واحد يتعلقون به حيث يصبح رأسمال رمزي لديهم capital symbolique حسب تعبير Bourdieu وهو ما يكون لديهم ويكسبهم ما سماه لينتون روح الجماعة L'esprit du corps الذي يكتسبونه من خلال إشتراكهم في عناصر الثقافة .

كما أنها تكسب أفراد الجماعة الضمير الذي ينبثق من الإجماع ،ذلك أن التأثير بقيم الجماعة و تبنيتها يؤدي إلى إمتزاجها في شخصية أفرادها، مما يجعل كل واحد منهم يشعر بالندم عند مخالفته هذه القيم .كما أنها تشعر الأفراد بالإنتماء و العضوية، لأنها تربط أعضاء المجتمع الواحد ليكونوا كيانا واحدا لذلك المجتمع . فالمجتمع هو الذي يحدد الثقافة و يحدد سماتها ويعمل على أن يتقيد بها الأفراد، و بذلك يعتبر السلطة القاهرة و الرادعة ،و يجعل من الثقافة إلزامية و ذلك ضمن فاعلية التنشئة الإجتماعية، و هذا ما عبر عنه ماكيفر و بيج اللذان إستخدما مفهوم الثقافة للدلالة على " كل ما صنعه شعب من الشعوب أو أوجده لنفسه على أنه مجمل التراث الإجتماعي " 1 .

وإذا كان المجتمع جامعا، للأفراد فالثقافة هي كيان السلوك المكتسب للأفراد جيلا بعد جيل ،و لكل مجتمع طريقه الخاصة التي يتعلمها أفرادها للتفكير و يسلك سلوكا مختلفا عن المجتمعات الأخرى. الشيء الذي يكون الثقافة التي يتميز بها مجتمع دون الآخر، وثقافة المجتمع تساهم في تكوين ثقافة الفرد و ثقافة الأسرة، لذلك تعتبر الثقافة الأم فهي نتاج تراكمي لعدة قرون لمجتمع معين لذلك تتصف بكونها عملا إنسانيا جماعيا،يتضمن عمليات التدخل و التفاعل و التعديل

1-حسين عبد الحميد أحمد رشوان ، المجتمع دراسة في علم الإجتماع ، مرجع سبق ذكره
ص78،

حيث إعتبرها كيل باتريك Kil Patric أنها "ما صنعتها يد الإنسان

و عقله من أشياء ومظاهر في البيئة الإجتماعية "1

أي كل ما إختراعه الإنسان أو إكتشفه و كان له دور في العملية الإجتماعية ،
فالثقافة تساهم في التكيف، لذلك تعني الجانب الفكري و الروحي لمجتمع
ما . و عليه لا يمكن للثقافة أن توجد دون وجود المجتمع، و المجتمع لا يقوم إلا
بالثقافة، و داخله تتكون شخصية الإنسان وتحمل سماته لذلك تعتبر الثقافة وسيلة
متميزة لحياة الجماعة، و نمط متوازن لحياة الأفراد ، و بذلك تعتمد على
وجود المجتمع و بالتالي تمده بالأدوات اللازمة لمتابعة الحياة فيه سواء هذه
الحياة كانت بدائية أو حديثة .

وحسب لينتون هناك إختلاف بين الثقافة و المجتمع و الفرد، فالمجتمع جماعة
منظمة من الأفراد، و الثقافة طائفة منظمة من الإستجابات المكتسبة يتميز بها
المجتمع و الفرد ككائن حي، قادر على التفكير و الشعور و الفعل بذاته، لكن
إستقلاله الذاتي هذا مفيد و إستجابته يشكلها تشكيلا جذريا بالإحتكاك بالمجتمع
و الثقافة اللذين ينمو فيهما .2 فالفرد هو حامل للثقافة في المجتمع ، و هذه هي
العلاقة القائمة بين الفرد و الثقافة و المجتمع كمارس للأفعال ، ففي الثقافة
يلتقي المجتمع و الفرد و يساهم كل منهما بنصيبه فيها ، فالمجتمع يعلم الفرد
الثقافة من خلال التنشئة الإجتماعية ، و الفرد يمارس ما تعلمه من المجتمع في
شكل سلوكيات عامة، فالثقافة لها قدرة التأثير على أفراد المجتمع ويساهم

1- فاتن محمد شريف ، الثقافة و الفولكلور ، مرجع سبق ذكره ، ص16

2- كمال الدسوقي ، الإجتماع ودراسة المجتمع ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة

، 1976 ص69

المجتمع في هذا التأثير لأنها تعمل على السيطرة على شخصيات الأفراد الذين يقعون تحت تأثيرها، لأنهم لما ولدوا وجدوا أنفسهم داخل مجتمع له ثقافة خاصة فعاشوا في ظلها، و سيطرت عليهم و أترث بهم لذلك فهي لها القدرة على البقاء رغم إختفاء الشخصيات التي أوجدتها ، وكما يساهم المجتمع في تكوين شخصية الأفراد تساهم الثقافة في تكوين هذه الشخصية، و يعتبر المجتمع المكون الأساسي للفرد حيث أكد دوركايم على أولوية المجتمع على الفرد ، حيث طور نظريته في الوعي الجمعي و أكد على أنه داخل كل مجتمع يوجد وعي جمعي ، و الذي يتشكل من التمثلات و المثل و القيم و المشاعر المشتركة بين الأفراد، هذا الوعي هو سابق على الفرد و يفرض عليه و هو خارجي و متعال لأن الوعي الجمعي أعلى من الوعي الفردي و بفضلته تتأسس وحدة المجتمع و يتحقق تماسكه، لذلك الفرد خاضع للمجتمع و ثقافته مما يجعله في تبعية كلية للمجتمع الذي وجد فيه . إذا المجتمع يعلو على الأفراد ويسبقهم في الوجود، و يفرض عليهم إلزاما معيناً و يحدد أنماط سلوكياتهم وذلك خلال عملية التنشئة الإجتماعية . فالمجتمع و الثقافة مظهران لعملة واحدة ، ذلك لأنه الحاجات الإنسانية يمكن تفسيرها إجتماعيا وطرق إشباعها تكون عن طريق الثقافة ، فعلاقة الفرد بالثقافة و المجتمع هي علاقة جدلية حيث المجتمع يكسب الفرد ثقافة يفرضها عليه ، هذه الثقافة التي تساهم في تكوين شخصية الفرد من خلال خضوع هذا الأخير للمجتمع ، الذي يكون رقيبا على سلوكيات الأفراد و على سيرورة الثقافة، لذلك فالفرد بحاجة دائمة إلى المجتمع في تكوين ذاته و وعيه الفردي الخاضع للوعي الجماعي، هذا الوعي الذي يتكون نتيجة علاقات الفرد بأقرانه "الوعي الفردي يتأسس تدريجيا و يتطور عند الفرد نتيجة العلاقات التي يكونها هذا الأخير مع مجموع الأنساق الإجتماعية

processus ومع من يشاركون معه في ذلك "1 وهذا ما يجعل من المجتمع الأساس الأول لتكوين وعي الفرد وشخصيته، التي تنمو و تتطور داخل الإطار الثقافي الذي تنشأ فيه و تتفاعل معه، حتى تتكامل و تكتسب الأنماط الفكرية و السلوكية التي تسهل تكيف الفرد ومحيطه . فالطفل يكتسب بثقافة مجتمعه وهذه الأخيرة تساهم في تكوين شخصيته من خلال خلق فيها مجموعة من القيم العاطفية، و العادات فيصبح جزءا من بيئته تنمو فيها شخصيات جديدة و يقوم بدوره بنقل هذا المركب الثقافي إليها .

لذلك تلعب الثقافة دورا كبيرا في تكوين شخصية الأفراد من خلال عملية التنشئة، الذي ماهو إلا سياق شعوري أو لاشعوري يجري ضمن الحدود التي تعنيها مجموعة من العادات، و ينجم عن هذه العملية التلاؤم مع الحياة الإجتماعية القائمة. إذ أن الثقافة تساهم في نقل الفرد من كائن عضوي إلى كائن إجتماعي، من خلال غرس فيه القيم الإجتماعية و أفكار مجتمعه و سلوكياته، حيث تجعله يذوب في مجتمعه و يندغم فيه فتساعده على تأكيد إنتمائه الإجتماعي في المجتمع . وقد أكد سابير Sapir أن هناك علاقة بين الثقافة و الشخصية، من خلال توفير الثقافة للفرد السلوك و التفكير اللذان ينبغي أن يكون عليهما . حيث ينشأ على قيم وعادات تؤثر في حياته ، كما توفر له المعايير التي تمكنه من تمييز الصواب عن الخطأ ، فالتعمق في الشخصية يجعلنا نعتبرها أنها تعبر عن المكنون الإجتماعي للإنسان لذلك تحمل

1- Bernadette Bawin Bergros ,JeanFrançois Stassen , Sociologie de la famille ,le lien familial sous questions, Deboeck Université ouvertures sociologiques ,Paris, 1996 ,P47

في طياتها التعبير عن الوصف الإجتماعي للإنسان، الذي يشمل جملة من الصفات تتكون عند الفرد نتيجة التفاعل مع بيئته و التعامل مع أفراد مجتمعه . وهذا ما يجعل للثقافة دور في تكوين شخصية الفرد، خصوصا و أنها تكون لديه ضميرا يصبح بعد ذلك رقبيا على سلوكاته و أفعاله، وتنمي فيه حب الجماعة ، وتجعله يختار السلوك المناسب في إطار السلوك العام للجماعة . فالشخصية هي نتاج للعوامل الثقافية التي تريدها الجماعة أن تكون في الفرد ومن خلال خاصية الثقافة التي تجعل منها أداة لتكيف الفرد بالمجتمع، فإنه يمكن للفرد تكوين شخصية ملائمة مع ثقافة مجتمعه حتى يتكيف مع هذا المجتمع . و هنا تكمن العلاقة بين الفرد و الثقافة و المجتمع بحيث تعمل الثقافة على تكوين شخصيات الأفراد ،و يعمل المجتمع على ترسيخ قواعد هذه الثقافة في هذه الشخصية ،و عليه فإن الثقافة تكسب الفرد الأسس و القواعد القيمة للحياة الإجتماعية و من بينها العادات و التقاليد . و عليه فإن شخصية الفرد تتحدد إنطلاقا من بيئته الإجتماعية، و تساهم الثقافة السائدة في بناء و تكوين هذه الشخصية لأنه يتأسس الوعي الفردي و شخصية الإنسان و هويته إنطلاقا من الهوية العامة للمجموعة .

ومن هنا تظهر وظائف الثقافة بصفاتها وسيلة أساسية تضمن للفرد التكيف مع مجتمعه ،كما أنها تساعد على تماسك الجماعة الإجتماعية و تعمل كقوة ظابطة لسلوك الأفراد، لذلك تعتبر الثقافة مهمة بالنسبة للفرد و الجماعة كما سبق ذكره لذلك تتعدد وظائف الثقافة ويمكن تقسيمها إلى :

وظيفة الثقافة بالنسبة للفرد :

إن الثقافة لها دور كبير في حياة الفرد بصفاتها وسيلة للضبط الإجتماعي، كما أنها تساهم و بقدر كبير في تزويده بسلوكيات مجتمعه ،كما تعمل على تكوين شخصيته وتدعيمة بالأنماط السلوكية التي يريدها له مجتمعه ، في إطار

إشباع حاجات الإنسان ، لذلك يمكن إعتبار الثقافة الوسيلة المثلى التي تسهل وبقدر كبير على التكيف مع البيئة، عن طريق توفير النماذج الإجتماعية و المادية و الفكرية . ووظيفة الثقافة الأساسية هي تشكيل شخصية الفرد وفق ما يرتضيه المجتمع من قيم ومعايير ، لأن الوليد الجديد في الجماعة الإجتماعية يجد أمامه إطارا ثقافيا يتفاعل معه و يتعلم منه ،وبالتالي يكتسب على أساسه مجموعة من الأنماط السلوكية عن طريق المحاكاة و التقليد، أو التشرب للقيم و الموجهات السلوكية، وبذلك يتبنى الفرد طريقة الحياة السائدة في مجتمعه عن طريق إكتساب مقومات ثقافية و ما تنطوي عليه من قيم و معاني ومعايير ومن خلال ذلك تتشكل شخصية الأفراد .1

وظيفة الثقافة بالنسبة للمجتمع :

يتجسد الدور الوظيفي للثقافة بالنسبة للمجتمع فيما تحققه من إشباع لحاجات المجتمع الأساسية ، و خاصة منها ما يتمثل في تكيف المجتمع مع البيئة من خلال ما تحققه الأنظمة المتنوعة من إقتصادي و سياسي و عائلي ، و النظام التربوي التعليمي و النظام الديني، و إشباع تلك الإحتياجات الأساسية للمجتمع يضمن إستمراره و بقاء ثقافته وتحقيقها يتم من خلال تحقيق المجتمع لإحتياجات أعضائه .

كما أن الثقافة لها وظيفة كبيرة وهي أنها توفر للمجتمع ما يحتاجه من وسائل الضبط الإجتماعي ، و تنظيم السلوك للأفراد، فهي التي تعطي للمجتمع قانونه الشفهي الذي يمكنه من التحكم في سلوكيات الأفراد من عادات وتقاليد و معايير و أعراف ، و هي التي تساعد على تماسك الجماعة فتكون بذلك روح الجماعة .

1- السيد علي شتا ، البناء الثقافي للمجتمع ، ج5 ، مؤسسة شباب الجامعة ،

الإسكندرية ، 1995 ، ص51

كما تكسب الثقافة أفراد الجماعة الضمير الذي ينبثق من الإجماع، ذلك أن إستبطان قيم الجماعة و مستوياتها يؤدي في العادة إلى إمتزاجها في شخصية كل واحد من أفرادها، الأمر الذي يؤدي إلى شعور كل واحد منهم بالذنب و الندم عند مخالفته هذه القيم .1

فالثقافة تجعل أفراد الجماعة يرتبطون ببعضهم البعض، و تنمي داخلهم روح الوحدة و الشعور بالإنتماء، و يظهر ذلك في ممارسة العادات حيث ممارسة الفرد لعادات منطقتة يدل على إنتمائه لها .

فوظائف الثقافة متداخلة فيما بينها بين تكوين الشخصية الفردية و الجماعية و تحديد الهوية في أي مجتمع .

1-محمد السويدي ، مفاهيم علم الإجتماع الثقافي ومصطلحاته ، مرجع سبق ذكره ، ص91

5- تكامل الثقافة و تخلفها :

يعمل كل من النمو الثقافي و التغيير الثقافي على تحقيق النموذج الثقافي الجديد و التخلف الثقافي لأن كلاهما يؤثران على الثقافة . فالثقافة في سيرورتها ، تعمل على حفظ كيانها و نمطها من خلال محاولة إدماج ما يعرفه المجتمع من تغيرات في كيانها لكي تتمكن من أن تستمر و تبقى و تحافظ على ذاتها و هويتها، من خلال التكامل الثقافي الذي بفضلته يتحقق الإنسجام و التوافق الداخلي بين عناصر الثقافة المختلفة ، الشيء الذي يحفظ إنحلالها ، ومع ذلك فإن هذا التكامل لا يجعل الثقافة شيئاً جامداً و ثابتاً لأنها يمكنها أن تعرف تغييراً ، و في إطار هذا التغيير يمر التكامل بثلاث مراحل :

- مرحلة يتم فيها تقديم عناصر ثقافية جديدة للمجتمع

- مرحلة قبول هذه العناصر الجديدة أو رفضها

- مرحلة التكامل و الإندماج .

فالثقافة كغيرها تعرف تغيرات مستمرة في عناصرها ، ذلك لأن التغيير حاجة ضرورية في حياة المجتمعات يرى Hiraclitus هيراقليطس " أن التغيير قانون الوجود و أن الإستقرار موت و عدم "1 لذلك التغيير يضمن إستمرار الحياة و يبعد جمودها و تخلفها ، وقد يكون هذا التغيير ثقافياً أو إجتماعياً، و في مقابل التغيير يوجد التخلف الثقافي الذي يواكبه وهو ينجم عن عوامل متعددة أهمها، محافظة بعض أفراد المجتمع على القديم و الأصيل و تشبثهم به

1 - عبد الباسط محمد حسن ، علم الإجتماع ، مكتبة غريب ، القاهرة ، 1982 ، ص

و سرعة التغيير في عناصر الثقافة لأن العناصر المادية تعرف التغيير السريع أكثر من العناصر اللامادية، إذ أن بطء التغيير في هذه العناصر قد يؤدي إلى التخلف، و عند عدم توفر التكامل الثقافي، يحدث ما يعرف بالمواجهة و الصدام بين ما هو قديم و ما هو جديد فيختل توازن المجتمع، مما يؤدي إلى فقدان المجتمع لعناصره الأساسية المكونة لثقافته الثقافي .

6- أشكال الثقافة :

لقد سبق و أن رأينا أن الثقافة شكلين مادية و لامادية، حيث تشمل الثقافة المادية كل الأشياء التي يصنعها الإنسان و التي عبر عنها المفكرون بالحضارة أو المدنية، أي كل ما ينتجه الإنسان من منتوجات حسية، و الثقافة اللامادية تمثل كل خواص الثقافة التي يمارسها الفرد في حياته، أي ما يكتسبه الإنسان من بيئته و يتوارثه و يؤثر على كافة جوانب حياته. و المتمثلة في عاداته و تقاليده و أعرافه، أي عناصر سلوكية ذلك لأنها تعبر عن وجدان الناس، و عليه فإن الثقافة اللامادية و بعبارة أخرى الشعبية، لأنها من نتاج الشعب لها علاقة بوجودان الناس لأنها تعبر عما يشعرون به، و قد أعتبرت الثقافة اللامادية مهمة جدا في التنوع الثقافي بعدما أقرت ذلك إتفاقية اليونيسكو الصادرة في باريس سنة 2003 حول حماية التراث الثقافي غير المادي، التي إعتبرت هذا النوع من الثقافة ذو أهمية بالغة يجب الإهتمام به، و ذلك بوصفه بوتقة التنوع الثقافي و عاملا أساسيا لضمان التنمية المستدامة، و إعتبرته تراثا متناقلا بين الأجيال ممنيا لديهم الإحساس و الإعتزاز بالهوية، و قد حددت هذه الإتفاقية مواد التراث الثقافي غير المادي إلى :

- التقاليد و أشكال التعبير الشفهي .

- الممارسات الإجتماعية و الطقوس الإحتفالية .

- المعارف و الممارسات المتعلقة بالكون و الطبيعة

- المهارات المرتبطة بالفنون الحرفية التقليدية .

و عند التمعن في هذه المواد نلاحظ أنها مرتبطة مباشرة بالفلكلور و ما هو فلكلوري، لذلك الثقافة اللامادية يمكن أن يفترن مفهومها بمفهوم الفلكلور، بما أن هذا الأخير هو معارف الناس أو الإبداع الشعبي و يرتبط بحياة الشعب

و ذاكرتهم الجمعية إرتباطا وثيقا بطقوسه و عاداته و تقاليدہ . و على صفحاته
تنعكس خصائص مختلف المراحل التاريخية التي مر بها المجتمع ، و
يرتبط بالتراث الشعبي حيث يرى هنري غلاسي HENRYGLASSIE
"أن الشرط في الأشياء غير المادية حتى تعتبر فلكلورية " تراث شعبي " هو
أن تكون متوارثة و أن تعبر عن وجدان الناس و أن تكون مجهولة المؤلف
أو المنشأ" 1

1-فاتن محمد شريف ، الثقافة و الفلكلور ، مرجع سبق ذكره ، ص73 .

7- الثقافة الشعبية وخصائصها:

ينطوي الحقل الثقافي على ثنائية عميقة الثقافة الشعبية / الثقافة العالمية ، و تمثل الثقافة العالمية كل ما تزخر به الأمة من علوم و فنون و غيرها و الثقافة الشعبية تمثل تجارب المجتمعات الشعبية المتراكمة عبر التاريخ ذات الطابع الشفهي و العضوي التلقائي المتوارث، لذلك هي في الواقع تعبر عن تمثلات تنتجها الجماعة و تركز أساسا على التراث الشعبي الفلكلوري الذي يعتبر الروح المغذية لها . و تعتبر الثقافة الشعبية ظاهرة تاريخية نشأت من خلال تفاعل عناصر المجتمع خلال فترات تاريخية متعددة، و بذلك هي ثقافة عامة الناس و ليست الخاصة، تنتشر على جميع المستويات الإجتماعية و تشمل مختلف جوانب الحياة اليومية ، تقوم على تجارب الناس و خبراتهم التي تراكمت عبر العصور و ليست لها مصدر معين بل هي ملك لعامة الناس، إذ لا توجهها مؤسسة خاصة لذلك هي غير رسمية وهي نتاج إجتماعي وقد إتفق وليام جراهم سمنر SUMNER ومالينوفسكي على ذلك بإعتبار أنها تولد من طرف الجماعة ويتلقاها الأفراد عن طريق التعلم و المحاكاة ، فيشتركون فيها لذلك تصبح أفعالهم جماعية فيتشابهون داخل الثقافة الواحدة في ممارستهم لبعض عناصرها . فالعادات و الطرائق المشتركة هي التي تشكل أنماط السلوك وتميزه عن غيره، وقد رأى سمنر " أن الثقافة الشعبية هي بمثابة الطرق و الأساليب التي يتكيف الناس بها طبقا لظروف حياتهم الإجتماعية و الثقافية ، و من هنا تأتي الثقافة الشعبية في نظره بطرقها و ممارساتها لتحقيق الإشباع و الرضا للحاجات الضرورية لأعضاء المجتمع الواحد و الثقافة الواحدة " 1.

1-عباس إبراهيم ، التحديث و التغيير في المجتمع القروي ، دار المعرفة الجامعية،

الإسكندرية ، 2006 ، ص 161

والثقافة الشعبية هي من نتاج مجتمع معين تتطور و تنمو من خلال مقومات هذا المجتمع ، ويلعب التفاعل الحضاري و الديني دوراً أساسياً في صياغة الثقافة الشعبية و مكوناتها و عناصرها، و كل ما يتصل بها من أقوال و أفعال و أنماط للتصرف و تعتبر موجّهات للسلوك و القيم و عادات و تقاليد دورة الحياة . كما تعمل الثقافة الشعبية على تحقيق الترابط بين أعضاء المجتمع كما أنها تحقق تماسكه و وحدته و تكوّن روح الجماعة داخله ، و تسهل عملية التبادل بين تجارب الماضي و الحاضر . و إذا رجعنا إلى مفهوم الشعبية فهو يدلّ على ما ينتجه الشعب من معارف و معتقدات و عادات النابعة من الوجدان الشعبي أي من شعور الأفراد و أحاسيسهم .

وتتميز الثقافة الشعبية بعدة خصائص :

أ-الزامية : للثقافة الشعبية نفوذ كبير يصل إلى درجة الإلزام، لأن أثناء عملية التنشئة الإجتماعية يلقن الأفراد مجموعة من المعايير التي تجعلهم يميزون ما هو صواب عن ما هو خطأ، و خلال هذه العملية تتوحد كل الجوانب النفسية و العقلية للعادات و طرق التصرف و يحاول الفرد مقاومة هذه التعاليم إلا أنه لا ينجح في ذلك بسبب قوة النظام الذي تنبعث منه هذه التعاليم، لذلك لا يمكنهم تعدي الثقافة السائدة حولهم أو الخروج عنها، و هذا ما أشار إليه دوركايم في تعبيره عن خاصية القهر هذه و الإلزام، بما سماه الضمير الجمعي الذي جعل منه فكرة قاهرة متحققة بذاتها خارجة عن إرادة الأفراد و مرتبطة بفكرة القداسة، و هذا ما يجعل الثقافة الشعبية لها من القداسة و الإحترام ما يمكنها من السيطرة و الإلزام في ظلّ ما اكتسبته من خاصية المحرمات و النواهي، خصوصاً إذا تعلق الأمر بالجوانب الدينية و الإجتماعية و الأخلاقية، و هذا ما يؤدي إلى شدة خاصية التفاعل بين عناصر الثقافة الشعبية و ممارستها من أعضاء المجتمع .

و الضمير الجمعي عند دوركايم يتميز بأنه يمارس سيطرة فعالية على ضمائر

الأفراد يتمتع بقدرة الإلزام و النهي الأخلاقي هذا ما يجعل الفرد خاضعا له ، فالإزامية الضمير الجمعي تجعل الفرد يقوم مثلا بعبادات أجداده حيث أن خروجه عنها أو تجاهلها يجعله محلّ سخط من المجتمع، و بالتالي يحاسبه العقل الجمعي حتى ولو أدخل العديد من التعديلات على هذه العادات فالمهم أنه يمارسها و لا يتجاهلها ، كما أن العقل الجمعي يتصف بالعموم فأحكامه تخص جميع الفئات الإجتماعية، و يستمد هذه القوة و السيطرة مما يتمتع به من قداسة و تبحيل و هو القوة المحركة للفاعليات الإجتماعية و الضابطة للتصرفات السلوكية للفرد و الجماعة فهو يمارس الضبط الإجتماعي على الأفراد و المنظم لسلوكهم في الجماعة . وأشكال الإلزام تختلف من مجتمع لآخر، حيث يشعر الفرد في الجماعة أنه يواجه قوى كامنة وراء عادات المجتمع و تقاليده و أعرافه و موروثاته يخشى مخالفتها كي لا يتعرض للنبد، وهذا الشعور بالإلزام يأتي من إدراك الأفراد و الجماعات لوجود سلطة ما، لها القدرة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة على أن تصنع ضوابط للسلوك و توقع العقوبات على من يعمل بها .

ب-التلقائية : تأتي الثقافة الشعبية بصفة تلقائية غير واعية كمحاولة عشوائية في سد الحاجات الطبيعية الضرورية و إشباعها،و التي تتحول مع مرور الوقت إلى عادات فردية و جماعية و التي إعتبرها دوركايم من نتاج العقل الجمعي، و أنها مستقلة عن غيرها من الظواهر الإجتماعية لأنها من صنع الأجيال السابقة، و التي شبهها سمنر بالمخلوقات العضوية لأنها تنمو و تبلغ ثم تهرم و تتداعى و تفنى .و لا يوجد أي سلطة رسمية تتولى حماية عناصر الثقافة الشعبية بل أنها مقبولة من طرف الجميع و لا يمكن رفضها، لذلك تعتبر من قواعد الضبط الإجتماعي الأكثر تلقائية و أشملها إلزاما لأنها صادرة عن روح الجماعة حيث هذه القوة للثقافة الشعبية تجعلها مسيطرة،و يندمج فيها الفرد تماما و يمتزج بها لدرجة أنه لا يشعر بالحاجة إلى تغييرها أو رفضها أو معرفة أسباب تحكمها فيه فهو يمثل لها كلية ودون نقاش .

ج-غير مدونة : لأنها تأتي بطريقة عفوية، لاشعورية غير واعية فإن المجتمع لا يعمل على تدوينها بل هي محفوظة في الذاكرة الجماعية و تنتقلها الأجيال بدقة لذلك، هي بمثابة الدستور غير مكتوب أي شفهي .

د-الإستمرارية و الثبات : ويتم ذلك من خلال الانتقال بالثقافة من جيل لآخر دون تغيير في الأسلوب العام مع قبول نسبي للتعديل نتيجة الظروف الجديدة ، هذا ما جعل العادات و التقاليد تنحدر إلينا من القديم ولم يتغير فيها إلا ظاهرها العام، نتيجة التطور العام لذلك، هي تعتبر مرنة و صلبة في الوقت ذاته حيث إعتبرها سمنر تمثل نظاما ضخما من العادات يشمل كل الحياة ، لأنها تحمل في طبيعتها عناصر تبريرها من تقليد و إستعمال، و تحميها روادع روحية تنمي مبادئها العميقة لتصبح قابلة للصواب . لذلك هي تفرض على الأجيال الجديدة و تحدد تصرفاتها ، وبذلك ليست مستعدة لتتقح لأنها نتائج نهائية غير قابلة للتغيير ، وبذلك فإن عناصر الثقافة الشعبية تبعث على الإرتياح حين تكون مشتركة بين جميع الناس بصفة تلقائية .

هـ – الجاذبية : رغم أن الثقافة الشعبية هي إلزامية و قهرية، فإنها مقبولة من طرف الجميع لأنها تنطوي على ما إتفق عليه أفراد الجماعة الواحدة من سلوكات، و هذا ما يفسر إختلاف الثقافات بإختلاف الجماعات ، و هذا ما يقوي التمسك بالموروثات الثقافية و مقاومة كل ما هو جديد. وينشأ من ذلك التعلق بالعادات الجمعية و التمسك بها كإمتداد للثقافة الشعبية ،مما يدفع بالمجتمع إلى تقديس عاداته و التمسك بها و تجليلها، و هذا ما يفسر على أنه تمركز حول الذات الجمعية الذي ينتج عن تمسك الجماعة بالعناصر الثقافية التي تتمتع بسلطة إجتماعية قاهرة و ينشأ عن ذلك مفهوم capital symbolique الرأسمال الرمزي حسب بورديو P.Bourdieu حيث نتيجة التمسك الشديد بها

فإنها تصبح الرأسمال الرمزي الذي تلتف حوله الجماعة، حيث أن العادات أو ما أطلق عليه بورديو "الهابيتوس Habitus" ويقول أن الهابيتوس " يشغل بوصفه تجسيدا ماديا للذاكرة الجماعية معيدا في الخلف إنتاج ما إكتسبه السلف" ¹ يكتسبها الفرد من مجتمعه و تصبح بمثابة القواعد المولدة للممارسات و التيتشكل بعد ذلك رأسمال رمزي .

الذي تحتضنه الذاكرة الجمعية و تغديه ، هذه الذاكرة التي تبني التصورات التي تجسد العادات و التقاليد لمجتمع ما و تعمل على تناقلها و بالتالي على حفظ لحمة المجتمع لأن ما هذه الذاكرة إلا تعبير عن الجماعة و ما تحمله في ثناياها من الماضي " الذاكرة الجمعية تمثل للجماعة صورة عن نفسها و التي حتما تتبلور خلال الوقت ، بما أنه يتعلق بماضي الجماعة " ² لذلك تعتبر الذاكرة الجمعية مصدر العادات و التقاليد و مقر لتخزينها .

وهذا ما يجعل من الثقافة الشعبية وسيلة لدمج الفرد في مجتمعه و تزيد من التمسك الاجتماعي فبرغم الإلزام و أنها طريقة من طرق الضبط الاجتماعي إلا أنها تكسب الجماعة تجانسا و تكاملا إجتماعيا و الشعور بالذات الجماعية . ومما سبق يمكن التأكيد على أن الثقافة الشعبية لها وظيفة الضبط الاجتماعي التي من خلالها يتطابق النظام الإجماعي كله و يحفظ بالتالي هيكله العام لأنها تضمن للمجتمع خضوع الفرد له في أنماط سلوكه و مواقفه بإعتبارها تتصل بالضمير الجمعي و تحمل السلوك الأمثل للمجتمع.

1- دنييس كوش ، مفهوم الثقافة في العلوم الإجتماعية، ترجمة منير السعيداني، مرجع سبق ذكره ، ص14

2- Maurice Halbwachs , La mémoire collective , 2eme édition, presse universitaires de France , Paris , 1968,p78

II - التراث :

1- مفهوم التراث :

يشكل تراث الشعوب الإطار التاريخي الذي تنطلق منه حضارة أي شعب ، فهو بمثابة الوعاء الذي يجمع بين جنباته الحصيلة الإنسانية لكافة جوانب تطور هذه الشعوب و نموها . و عليه فإن التراث بما يتضمنه من عناصر يعمل على ربط الماضي بالحاضر، فهو الوسيط الذي ينقل مخلفات الأجيال الماضية إلى الأجيال اللاحقة. و الدراسة في ميدان التراث إنما تعني البحث في حياة المجتمع على اختلاف صنوفه و نشاطه و عاداته و تقاليده ، و إضافة إلى فهم العلاقات و مكوناتها الأساسية و إنعكاسها على المواقف الأخلاقية حيث أن أي صورة من تراثنا و خصوصا الشعبي منه إنما هي صورة حية صادقة ، مصدرها الوجدان الشعبي بعيدة عن أي كلفة بل هي طبيعية ، و تظهر شخصية الأمة وهويتها من خلال هذا التراث الذي ينقله لنا التاريخ و الزمن اللامتناهي، كما أنها تتبلور من خلال ربط القيم و أنماط السلوك الإجتماعي و العادات و التقاليد بمواقف محددة (كالزواج ، العلاقات الإنسانية ...) و مجالات معينة لذلك هو يعتبر حافظا للأمة لبعث ماضيها و حافظا لأصالتها .

إن كلمة تراث من الكلمات الشائعة في اللغة العربية و تراث مأخوذة من الفعل ورث يرث نقول ورث فلانا أي إنتقل إليه مال فلان بعد وفاته 1 ، وبذلك فهي تعني حصول الفرد على مخلفات مادية ممن سبقه وبمعنى آخر كل ما يخلفه الخلف للسلف ويبقى متوارث و قابل للتوارث من بعد بحكم التقادم و الإنتقال .

1-فؤاد إفرام البستاني ، منجد الطلاب ، دار المشرق ، بيروت، لبنان ، 1973 ،ص911

و أصل الكلمة يعود إلى أقدم النصوص الدينية حيث وردت هذه الكلمة في القرآن بمعنى الميراث، و ذلك في قوله تعالى " و تأكلون التراث أكلاً لما و تحبون المال حباً جماً" 1 و قوله تعالى " ثم أورثنا الكتاب الذين إصطفينا من عبادنا " 2 ويظهر أن للتراث معنيان معنى مادي كما ورد في الآية الأولى ، و معنى روحي فكري كما ورد في الآية الثانية كما وردت هذه الكلمة في أقوال الرسول (ص) و أقوال الصحابة و المحدثين . ووردت الكلمة في عصر الجاهلية حيث ردها الكثير من الشعراء حيث جاءت في معلقة عمرو بن كلثوم :

ورثنا مجد علقمة بن سيف	أباح لنا حصون المجد دينا
وثت مهلهلا و الخير منه	زهيرا نعم دخر الذاخرينا
و عتابا و كلثوما جمعيا	بهم نلنا تراث الأكرميننا

و المفاهيم التي تعكسها هذه الأبيات تتصل مباشرة بما أثر الأبناء و الأجداد من صفات، و قد ظل عبر العصور التغني بأولئك الأمجاد و الترويج لروح العشيرة و القبيلة وقيم التضامن و الإتحاد المرتبطة بهما حيث كان ذلك من الميزات التي تضمنها التراث رغم أنها في العصور القديمة إتصفت بروح العصبية . ولكن مفهوم التراث لم يقتصر على الجوانب القيمية التي تتصل بمآثر الأبناء و الأجداد بل تعدتها لتشمل الجوانب المادية، حيث وصف الله حال العرب في فجر الإسلام تكالبهم على المال من غير الإهتمام بمصدره و هذا ما بين أنهم باقون في عيشهم على روح الجاهلية و هذا ما جاء في سورة الفجر . و بعد ذلك توالى إستخدامات التراث خلال العصور الإسلامية و لكن مدلولات الكلمة تعدت

1-سورة الفجر الآية 19-20

2-سورة فاطر الآية 32

ما كانت تشير إليه في عصور الجاهلية من عصبية قبلية حيث قال الشاعر الإسلامي سعد بن ناشب :

فإن تهدموا بالغدر داري فإنها تراث كريم لا يبالي العواقبا .

و يتضح مما سبق أن كلمة تراث كلمة أصلية مستمدة من ينبوع الحضارة العربية الإسلامية . أما على الصعيد الثقافي فالتراث يعني كل ما أنتجته الحضارات و تراكم عبر التاريخ وتم نقله من السلف إلى الخلف، ويشمل بذلك نتاج تجارب الإنسان و أحاسيسه، أي أنه مجموع التاريخ المادي و المعنوي لحضارة معينة ، لذلك وجد فيه محمد أركون، سنة و طريقة الأباء التي يخلفونها بما تحمله من أحكام و شرائع و معلومات شعبية من خبرات و تجارب و غيرها و عليه يمكن إعتبار التراث يحمل بين طياته موروثات مادية ملموسة تظهر في أسلوب الحياة و أدوات و أساليب الإنتاج ، و في غيرها من الأشياء المحسوسة و موروثات فكرية و جدانية متجسدة في القيم و العادات و التقاليد .

وقد إستعملت كلمة HERITAGE بالفرنسية بمعنى مجازي للدلالة على المعتقدات و العادات الخاصة بحضارة ما، أي التراث الروحي و لكن رغم ذلك يبقى معناها محدود مقارنة بمعناها في اللغة العربية ، إذ تعدد النظرات حول مفهوم التراث، فيراه البعض أنه كل ما هو قديم ، والبعض الآخر يعتبره قيما عالية موروثه من الأجداد ، و فريق آخر يجعله مجموعة من التقاليد و المعارف الشعبية و العادات المتشابهة في المنطقة ولكن مهما اختلفت الآراء فإنها كلها تتفق على أن التراث، هو ما ينتقل من الأجداد بما يشمل من عادات و تقاليد و فنون، وبالتالي كل ما يتصل بالماضي و لازال يؤثر تأثيرا فعالا في معتقداتنا و يسيطر على أسلوب عيشنا و لأن التراث هو جزء من الثقافة ، أو بالأحرى هو الثقافة المتوارثة عبر الأجيال، فهو ينطبق عليه ما ينطبق على الثقافة إذ التراث هويتنا الحضارية مادام له دور في تشكيل الواقع الإجتماعي للشعوب ، و يعتبر

المكون الأساسي للثقافة عموماً و الثقافة الشعبية خصوصاً ، و هو أساس الشخصية الجمعية لأنه متعلق بالماضي و يرمز له لذلك ، يبقى دائماً راسخاً في الذاكرة الجماعية و تتمسك به المجتمعات في جميع مراحل تطورها . كما أن التراث هو جزء لا يتجزأ من الثقافة بل هو المكمل للثقافة لأنها لا تكتمل بالجانب الفكري بل بالجانب الروحي و المعنوي .

2- التراث الشعبي :

إن مفهوم الشعبي متعلق بما هو متصل بالشعب و الناس . ولكن التراث الشعبي شأنه شأن معظم المصطلحات في العلوم الإجتماعية لا يوجد إتفاق واحد على تفسيره ، و لكن مع ذلك هناك شبه إجماع أكاديمي على أهم ملامح و أسس موضوعات التراث الشعبي ، لأنه يهتم عموما بالعادات و التقاليد و القيم و الفنون و مختلف المعارف الشعبية التي أنتجها المجتمع على مر العصور، من خلال تجاربه و خبراته الحياتية المتعددة ، حيث يتداولها و يتناقلها الأفراد و يتعلمونها بطريقة عفوية ، و لكنهم ملزمون بالقيام بها في سلوكياتهم و تفاعلاتهم اليومية مع غيرهم لأنها تمثل أنماطا ثقافية خاصة تجعل الفرد يرتبط بالجماعة و يخضع لها و تجعل بالمقابل الجماعة تسيطر على الفرد، كما أنها تساعده على تكوين شخصية متوازنة تتكيف مع المجتمع و تجعل الفرد يشعر بالإنتماء داخل جماعته كما تصل الحاضر بالماضي . ويرتبط مفهوم التراث الشعبي عند معظم المفكرين بالثقافة الشعبية ، التي تعتبر لدى العديد منهم القاعدة الأساسية في أي مجتمع لأنها هي المرآة العاكسة لتصورات هذا المجتمع و سلوكياته وذهنيته عموما . ويرى رادفيلد Redfield أن الثقافة الشعبية هي من نتاج عقل الإنسان و النموذج الأمثل في المجتمع " الثقافة الشعبية هي نموذج مثالي أو بناء عقلي لا يمكن أن نجده في صورته الخالصة و إنما تقترب منه تلك المجتمعات التي يهتم بدراستها علماء الأنثربولوجيا " 1

هذه الثقافة الشعبية مادامت نتاج العقل الجمعي، فهي ثقافة غالبية مسيطرة تقيد

1-محمد السويدي ، مفاهيم علم الإجتماع الثقافي و مصطلحاته ، مرجع سبق ذكره ،

الفرد في المجتمع و تجعله خاضعا لسلطتها و سلطة التراث الشعبي و العام يرى ريتشارد فايس R.Weiss "توجد الحياة الشعبية، الثقافة الشعبية دائما حيث يخضع الإنسان كحامل للثقافة في تفكيره و شعوره أو تصرفاته لسلطة المجتمع و التراث "1، لتصبح بذلك الثقافة الشعبية الموجه الرئيسي لسلوكيات أفراد المجتمع، و من ثم التراث الشعبي كأحد العناصر الأساسية و المقومات الرئيسية للثقافة الشعبية. إذ أن هذا الأخير نتج لتلبية حاجيات المجتمع لحفظ عاداته و تقاليد و غرسها في نفوس الأجيال القادمة، حرصا من المجتمع على نقل معارفه و غرس قيمه في نفوس و أذهان أجياله. و للتراث الشعبي عدة مجالات صنفها المفكرون و على رأسهم محمد الجوهري :

1- الأدب الشعبي .

2- العادات و التقاليد

3- المعتقدات و المعارف الشعبية .

4- الثقافة المادية و الفنون الشعبية

ومن هذا التقسيم لعناصر التراث الشعبي نجد أنه لا يمكن الحديث عن العادات و التقاليد لأي أمة دون الحديث عن الرحم المولد لهذه العادات .

و يعتبر التراث الشعبي مهم جدا عند الأمم لأنه يمثل ماضيها الذي لا تستطيع الإستغناء عنه كما أنه يساعدها على بناء حاضرها بنقله ما قدمته الأسلاف.

1- محمد الجوهري ، علم الفلكلور ، مرجع سبق ذكره ، ص291

لذلك يبقى التراث جزءاً من الثقافة " التراث الشعبي يدرس من خلال أنه جزء من التراث الإنساني المتناقل من جيل إلى آخر ، أنه التقاليد و العادات أنه الميراث الثقافي الذي له تأثيراته على الجوانب الثقافية "1.

1-فاروق أحمد مصطفى ، الأنثروبولوجيا و دراسة التراث الشعبي ، دراسة ميدانية ، دار المعرفة الجامعية ، الأسكندرية ، 2008 ، ص16-17

3- حملة التراث الشعبي :

يقول ريشارد فايس Weiss " يوجد في داخل كل إنسان شدّ و جذب دائما بين السلوك الشعبي و غير الشعبي "1، فكل فرد في أي مجتمع له موقفان مختلفان، أحدهما فردي و الثاني جماعي كما يوجد إختلاف في كثافة العنصر الشعبي أو شدته . وحملة التراث الشعبي هم الأفراد يعيشون هذا التناقض و الإختلاف ، فلا يوجد إنسان يعرف كيف يحافظ على ذاتيته الفردية المتميزة، دون أن يتأثر بمعايير السلوك الكثيرة المعقدة التي تنص عليها التقاليد، و لا يستطيع أي فرد متعلق بالأصالة في أي ثقافة الهروب من هذا التأثير كما أنه لا يمكن لأي إنسان أن يعدم مشاركته في التقاليد، لذلك درجة التأثير بالتراث تختلف من حامل له لآخر و يعود هذا الإختلاف إلى البيئة الثقافية التي وجد فيها هذا الفرد (الحامل) و فعالية الأسرة التي نشأ فيها ، و لكن من حملة التراث الأكثر تشددا و تعلقا به من يرتبطون به إرتباطا و ثقيا ،حيث يمثل هذا الإرتباط موقفا نفسيا عقليا عندهم حيث يجعلون هذا التراث يصل إلى درجة التقديس . ولكن مهما كانت شدة التعامل مع التراث، إلا أنه حامل التراث يبقى دائما هو الناقل للتراث عبر الزمان و الناشر له عبر المكان، خصوصا في مجال العادات و التقاليد فهو بمثابة الوسيلة التي بها تتم عملية نقل التراث من جيل لآخر .

1-محمد الجوهري ، علم الفلكلور ، مرجع سبق ذكره ، ص291

4-حركة التراث الشعبي داخل المجتمع :

إن ظاهرة تبادل التراث بين جماعات الكيان الواحد جد منتشرة حيث كثيرا ما نلاحظ أن التراث الذي أبدعته جماعة إجتماعية يصادف قبولا لدى جماعات أخرى فبذلك يتجاوز الجماعة التي أنشأته إلى جماعات أخرى . من خلال عملية الإلتشار الثقافي ، فنجد أن تراث فئة محدودة يكون خاصا بها في الأول ثم ينتقل بعد ذلك من هذه الفئة المحدودة إلى فئات أوسع متصلة بها و تكون حركة التراث داخل المجتمع كالتالي :

- من الكبار إلى الصغار :

إذ أحيانا ما تخلى عنه الكبار في المجتمع منذ فترة طويلة قد يصبح مقصورا على الأطفال وحدهم مثل الخرافات التي يرددونها الأفراد .

- الحركة من طبقة أعلى إلى طبقة أدنى :

إن حركة التراث من أعلى إلى أسفل تعتبر أهم مظاهر حركة التراث الثقافي داخل الكيان الإجتماعي و هي ما يعرف عند الغرب بنزول التراث من الطبقة المثقفة إلى الطبقة الدنيا للشعب و قد لخص ريل Riehl هذه الحركة في ثلاث مراحل : 1

- إختفاء التراث الثقافي الفردي من فئة محدودة من القادة هي الصفوة المثقفة
- إعتناقها من طرف فئة أخرى هي الطبقة الوسطى المثقفة
- نزولها إلى دوائر أوسع إلى الطبقة الشعبية .

لأن هناك عادات نزلت من طبقات عليا أرسنقراطية إلى طبقات شعبية عادية

مثل ظاهرة كراء الصلات المخصصة للأعراس في المجتمع الجزائري .

- الحركة من أسفل إلى أعلى :

يرى فوستر FOSTER أن هناك علاقة دائرية يفسرها " إننا هنا بصدد دراسة ظاهرة دائرية تتعرض، فيها الثقافة الشعبية للإثراء و الإخصاب من خلال الإتصال بمنتجات الطبقات الإجتماعية الفكرية و العلمية كما تقدم الثقافة الشعبية بصفة مستمرة و لكن بدرجات أقل مساهمات لهذه المجتمعات غير الشعبية "1. ويرى بعض الدارسين مدى التأثيرات المتبادلة التي تتم في عملية الإخصاب و التلاحم هذه و الذي أطلق عليه Wolfram التراث البدائي الصاعد 2 .

وذلك من خلال تحسيس بعض الطبقات الدنيا الطبقات العليا بمدى فعالية بعض تراثها و بعض عناصره الشعبية رغم أن العصور التاريخية لا تشجع هذا النوع من الحركة مثل ظاهرة الإعتقاد في الأولياء و كراماتهم قد تنتقل من الأسفل إلى الأعلى نتيجة الحكايات، حيث تحكي إنسانة لأخرى قدرات الولي الصالح و كراماته في بعض الأعمال مما ،يؤثر عليها و يجعلها تتردد عليه في حل مشاكلها ،و عليه فحركة التراث داخل المجتمع قد تكون من الكبار للصغار حيث ينتقل التراث من الأجداد إلى الأحفاد، كما ينتقل من الطبقات العليا إلى الطبقات السفلى و هذا ما يدخل من باب التقليد حيث يقلد العديد من الأفراد في الطبقات السفلى أقرانهم في الطبقات العليا .

1-محمد الجوهري ،علم الفولكلور، المرجع السابق ، ص317

2-نفس المرجع ص317

كما ينتقل من الأسفل إلى الأعلى عن طريق المحاكاة و التقليد حيث بفعل الإحتكاك بأفراد من هذه الطبقات قد يتأثر بهم الإنسان من الطبقات العليا و ببعض عاداتهم .

5- التراث الشعبي في عالم متغير :

إن دوام الحال من المحال كما يقال، حيث أن الإستمرار في الشيء قد يعيقه التغير الذي يسير طبقاً لطبيعة المجتمع و تياراته الإجتماعية و الإقتصادية، حيث أن الإنسان يتحرك نحو التغيير فيأخذ عناصر ثقافية من مجتمعات أخرى يقول هيراقليطس " التغير قانون الوجود و الإستقرار موت و عدم "1 كما أنه يعتبره جون ديوي حقيقة إجتماعية و يظهر هذا التغيير في المجتمع بين عاداته و تقاليده القديمة و الحديثة و يكون هذا التغيير أسرع في محتواه في جانب الثقافة المادية و التكنولوجيا و أبطأ منه في كل ما يمس التقاليد أي التراث أو الثقافة اللامادية و لا يمكن للتغيير أن يقضي تماماً على التراث الشعبي حيث أن هذا التراث و نظراً لما يتمتع به من مرونة و قدرة على إعادة التكيف مع كل ظرف إنساني جديد يستطيع أن يبقى و يحفظ بعض عناصره و يضمن لها الإستمرار و مقابل ذلك يستطيع أن يخلق عناصر جديدة .

و التراث الشعبي يتعرض لشدة التبديلات الناتجة عن تبني المجتمع لأساليب حياتية حديثة، أوجدها تطور الوسائل التكنولوجية و تأثير وسائل الإتصال الجماهيري الحديثة على سلوكيات الناس و أفكارهم ، و المتأثرة بتغيير البنية الإقتصادية و الإجتماعية و الثقافية التي أوجدها التحضر . و أثناء عملية التغيير هذه يحافظ المجتمع على بعض العناصر التراثية و قد يتخلى عن بعضها و قد يأتي بالبدل عنها ، لأن المأثورات الشعبية يحكمها قانوني الإستمرار و قانون ظهور البدائل . فالإستمرار يجعل من المجتمع يحتفظ بمأثوره و كل ما يحمله من

1-حسين عبد الحميد أحمد رشوان ، المجتمع دراسة في علم الإجتماع ، مرجع سبق ذكره

قول وفعل، و ضوابط سلوكية و أخلاقية و يوظفها حتى يحقق حاجياته الضرورية في الحياة و يتناقله من جيل لآخر ، أما البدائل فالناس دائما يبتدعون مما يعمل على موت عناصر و ولادة أخرى و إختفاء نماذج و ظهور أخرى مما يكون قانون البدائل الذي يواكب قانون الإستمرار ، لذلك فإن التراث كيان متغير و ليس مستمر كما أن له طبع متميزا بإعادة الإنتاج و التوظيف .
وتتحكم في إعادة الإنتاج هذه عدة متغيرات :

* هناك فئات تميل إلى التخلي عن القديم و تبني الجديد، منها الشباب لأن هناك فارق نفسي -عقلي بين الشباب و الشيوخ يلعب دورا في التمييز بين تراث كل فئة، ويعود ذلك إلى إرتباط الشيوخ بالماضي أو كما يسمونه زمن "بكري" و إندفاع الشباب نحو المستقبل و الإعجاب بالجديد .

* سكان المدن (الحضر) في مقابل الريفيين هم الناس الذين يميلون أكثر للتجديد لأن هناك إختلاف بين ثقافة سكان المدن ، و ثقافة سكان الأرياف و تباين من حيث التراث الشعبي حيث إذ تخلى سكان المدن عن جانب كبير من تراثهم بفعل التغير و التفاعل مع الثقافات الجديدة، لكنهم لم يتخلوا عنه بأكمله و إبتكروا فيه أشكالاً جديدة تحمل في أعماقها دلالات معبرة عن واقع حضري تفاعلوا معه و تحمل في الوقت ذاته معاني مرتبطة بما كانت توحى إليه في الماضي أي رغم كونها جديدة ومبتكرة إلا أنها معبرة عن الماضي. و قد يحدث العكس فيحافظ سكان المدن على جوانب من التراث التي قد تختفي في الريف و عند سكانه حيث يرى باخ Bach "يحدث في بعض الأحيان أن تكون إحدى العادات الشعبية القديمة قد إختفت بين الطبقات الريفية منذ وقت بعيد بينما

ما زالت معروفة بشكل جزئي بين الطبقات العمالية في المدينة"1

1-مجموعة من الباحثين و بإشراف محمد الجوهري ، التراث الشعبي في عالم متغير ،
دراسات في إعادة إنتاج التراث ، عن الدراسات و البحوث الإنسانية و الإجتماعية ، ط1 ،
الإسكندرية، 2007 ، ص18

6-الهوية الثقافية بين الأصالة و التجديد :

لقد أصبح مصطلح التراث من بين المصطلحات التي تكتسي أهمية في الخطاب العربي المعاصر، و ذلك لما يلعبه من دور في ربط الماضي بالحاضر " إن الأصل ليس هو كل التراث ذلك أن التراث، هو الماضي الثقافي كله و الأصل هو الجانب الناضج من هذا التراث، القادر على التأثير في مجرى الحياة الحاضرة" 1 و بالنظر إلى الأصالة في الفكر الأنثروبولوجي نجدها تعبر عن قيمة إجتماعية حيث تشير إلى هوية الأفراد في المجتمع الذين يتميزون عن غيرهم من أفراد المجتمع " يعني التراث في أي أمة من الأمم مكوناتها التاريخية بكل محتوياتها في الماضي و كلما إشتد هذا التراث عمقا في التاريخ ترسخ وجود هذه الأمة و ترسخت طبيعيا كينونتها و هويتها " 2، فأصالة الهوية تشير إلى الشخصية الأساسية و الروح العليا في المجتمع ، لذلك الشخصية المرتبطة بأصالة الهوية تعبر عن نتاج تاريخي و مجتمع متغير، فالأصالة في المفهوم الإجتماعي و الثقافي، ما هي إلا ربط للإنجازات الجديدة بالمقومات الأصولية التراثية التي تعبر عن روح المجتمع و تميزه عن غيره من المجتمعات . فقضية الهوية الثقافية مقرونة بعنصري الأصالة و المعاصرة ، و هنا يطرح السؤال نفسه حول حاجة المجتمع إلى الجديد طالما أنه يملك ثقافة ؟ فالهوية الثقافية حاليا مرتبطة بإتجاهين، إتجاه رأسي يستمد من التراث العربي الإسلامي، و إتجاه آخر أفقي يأتي من الخارج حيث يفد على الثقافة العربية من الخارج عدة عناصر، و من هنا ينبغي أن يختار المجتمع الصواب مما يتلقاه ويعرف كيف

1-محمد العابد الجابري ، و حسن حنفي ، إشكالية التراث و الحداثة في الفكر العربي

المعاصر ، منشأة المعارف ، الإسكندرية، بدون تاريخ ، ص23

2 – نفس المرجع السابق ص24

يتعامل مع هذا التدخل الثقافي، ذلك أن ما يغزو ثقافة المجتمع العربي حالياً من عناصر جديدة تدعو إلى تحديد الإختيار المناسب حتى لا تتزعزع الهوية الثقافية، لأن المجتمعات الإنسانية حالياً تعيش بين التأثير و التأثير، و موضوع الهوية الثقافية أصبح يثير جدالا كبيرا بين ما هو أصلي و ما هو دخيل في الثقافة، لذلك تقع الثقافة في تحدي بين الإستمرارية و التجديد، ذلك أن الهوية الثقافية هي قوة المجتمعات و الأمم لأنها تحافظ من خلال شموليتها على الكيانات الثقافية و لكن الهوية الثقافية لاينبغي أن ترفض التجديد و إكتساب من الثقافات الأخرى و لكن ينبغي في عملية الإستيعاب هذه إختيار ما هو مناسب لهذه الهوية بما لا يضعف من الأصالة لذلك، فالهوية الثقافية ينبغي الحفاظ عليها و لكن بمعاصرة الماضي و حداثة الثرات، و ذلك وفقا لما وصلت إليه الدول النامية من إنتاجات علمية و تسخيرها في الحفاظ على الهوية الثقافية و التنمية، فالجمع بين الأصالة و المعاصرة في الحفاظ على الهوية الثقافية، هو حرص لتحقيق التوازن بين المحافظة على الماضي و معايشة الحاضر و المستقبل، عن طريق الإرث الثقافي و الإجتماعي و في الحفاظ على الهوية الثقافية حفاظ على الشخصية الحضارية .

المبحث الثاني

العادات الإجتماعية و التقاليد و النسق المعياري

- المعايير الإجتماعية :

أهم ما تنتجه ثقافة المجتمع المعايير الإجتماعية كمحددات لسلوكات الأفراد ، حيث يعيش الإنسان في مجتمع يتلقى من خلاله تصورات عديدة و أفكار و سلوكات يكتسبها من الثقافة في إطار ما يسمى بعملية التثقيف ، و من خلال عملية التنشئة الإجتماعية حيث يتلقن الفرد قواعد مجتمعه أو المعايير الإجتماعية و دورها هو تنظيم المجتمع بصفة عقلية في إطار الظروف الحالية في المجتمع ، وتوجه السلوكات لأن على أساسها يقوم السلوك الفردي و الإجتماعي.

و يحتوي البناء المعياري على العديد من المفاهيم التي يجب التمييز بينها ، و المعيار NORM من اللفظة اللاتينية NORMA وهو عبارة عن مقياس يسير بمقتضاه السلوك ، و المعايير الإجتماعية عديدة أهمها الأعراف ، العادات الإجتماعية و التقاليد . و تقدم لنا العادات و التقاليد الشعبية صورة متكاملة عن حياة أي مجتمع ذلك لأن من خلالها يمكن فهم ثقافة المجتمع كما تمثل ظاهرة تاريخية و معاصرة معا لأنها تعبر عن مجموع السلوكات التي يكتسبها و يتوارثها الخلف عن السلف . و تشمل المعايير الإجتماعية :

1- العرف :

" هو طائفة من الأفكار و الآراء و المعتقدات التي تنشأ في جو الجماعة و تمثل مقدسات الجماعة و محرماتها و تنعكس فيما يزاوله الأفراد من أعمال و ما يلجؤون إليه في كثير من مظاهر سلوكهم الجمعي " 1

1-حسن عبد الحميد أحمد رشوان ، التربية و المجتمع ، دراسة في علم الإجتماع التربوية ،

مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، 2005 ، ص174

لقد إستعمل مصطلحي Moers و Coutumes كثيرا للدلالة على العرف، ولقد تعددت تعاريف العرف، و لكن تتفق كلها في كون أن العرف يطلق على العادات التي تمتاز بشدة الإلزام، أي العادة التي يلزم المجتمع الفرد القيام بها بغرضالحفاظ على كيان الجماعة .

ويعرفه ديوي Dewey و همبر Humber بأنه "طرق السلوك التي يعتقد أولو الأمر سواء كانوا أقلية أم أكثرية أنها طرق جوهرية لرفاهية المجتمع ولصلاح حاله وهذه الطرق هي الأوامر و النواهي الخاصة بكل ثقافة من

الثقافات"1 ويعرفه سابير Sapir فيقول " يطلق مصطلح العرف على تلك العادات التي تتضمن درجة مرتفعة من الشعور بالصواب أو بالخطأ في طرق السلوك المختلفة، و العرف عند أية جماعة هو أخلاقياتها غير المصاغة و غير المقننة كما تبدو في السلوك العلمي " 2و إنطلاقا من هذين التعريفين لعلماء الإجتماع يظهر أن العرف يحتل قمة الهرم المعياري لما له من درجة في الإلزام، لأنه عادات من مميزاتها أنها ذات إرتفاع في درجة إلزامها و ضرورية و ذلك قصد الحفاظ على كيان المجتمع بحيث تجد فيها الجماعة نوعا من الحماية و الحفاظ على مبادئها، و أسسها التي تكون كيانها و هويتها الجماعية لذلك تضعها إلزامية ، فهي كل ما فيه صلاح المجتمع ،و كل ما ينظمه و ينظم سلوك أفرادها بما تحمله من أوامر و نواهي تحافظ على تماسك الجماعة يقول جلن و جلن Gillin et Gillin " العرف هو تلك العادات و الممارسات الجماعية المتكررة و الرتيبة التي يعتقد أفراد الجماعة أنها ضرورية و جوهرية لإستمرار

1- فوزية ذياب ، مرجع سبق ذكره ، ص191

2- فوزية ذياب، المرجع السابق ، ص192

حياة الجماعة كجماعة و هذه العادات هي الصواب " 1

فالعرف في المجتمع و حسب التعاريف السابقة، هو بمثابة القواعد و الأحكام القانونية الواجبة الإحترام مادامت تتصف بصفة الإلزام، فهو بمثابة القانون الوضعي و هذا ما جعل سمنر Sumner يعتبر الأعراف بمثابة السنن الإجتماعية التي تعبر على المعنى الشائع للإستعمالات و العادات و التقاليد و المعتقدات و الأفكار و القوانين و ما يشبه ذلك . وكلمة عرف في المصادر العربية قد تشير إلى كل أنواع الطرق الشعبية و الممارسات الإجتماعية الإلزامية و غير إلزامية لذلك كثيرا ما يجعلونها مرادفا للمصطلح عادات إجتماعية حيث يعتبر العرف فرعا من فروع العادات الإجتماعية لأنه طرق و أساليب تخلقها الحياة الإجتماعية و الضرورة المعيشية لتنمو مع الزمن و تزداد تباثا و أصالة ، وقد أعتبر العرف قديما المصدر الوحيد الذي تؤخذ منه القوانين و قواعدها . و لكن يمكن للعرف أن يكون عادة ، يتكون العرف في ضمير الجماعة لا شعوريا لأن الجماعة هي التي تخلق العرف و تعمل على دوامه و تباثه طويلا مما يجعل العرف جزء هام من دستور الأمة الشفهي حيث قد تصل بعض أحكامه لتصبح قواعدا قانونية لذلك هو يمارس سلطة و سلطان على الأفراد حيث قد يقوم مقام القوانين الوضعية و أي خروج عنه يعرض صاحبه إلى العقوبة قد تصل أحيانا إلى درجة القتل بدافع الخروج عما تقرره العشيرة ، لأنه يساهم و بدرجة كبيرة في حفظ كيان الجماعة ، و إستقرار و أمن و مصلحة المجتمع لذلك، يعتبر العرف أحد وسائل الضبط الإجتماعي حيث قد يعاقب من يخالفه بالإستهجان و الإنكار و التهكم لذلك قد يصل العرف إلى درجة التقديس

1- فوزية ذياب ، المرجع السابق ، ص192

من طرف أصحابه ، وينطبق على العرف ما يسميه رالف لينتون Linton بالعموميات أي عموميات الثقافة و التي تعتبر العادات الجمعية التي لا مفر من القيام بها و التي من الصعب مخالفتها لأنها شائعة بين الناس و مرتبطة بشعورهم ووجدانهم .

2- العادات الاجتماعية نشأتها و أهميتها :

تعتبر العادة مفرد لجمع مؤنث سالم عادات في اللغة العربية ، و هي مأخوذة من تعود يتعود مصدره تعويد و لغة هي "كلما أعتيد حتى صار يفعل من غير جهد و العادة الحالة تتكرر على نهج واحد" 1 و عليه فهي تعني كل ما تعود الناس و درجوا على فعله و القيام به ، و تكرر عمله حتى أصبحوا يألفونه و تعودوا عليه حيث من كثرة تكراره لا يجد المرء فيه غرابة فتقول عود فلانا كذا اي صيره ، يعتاده و عاود الشيء جعله من عادته و العادة ما إعتاده الإنسان إن يعود إليه مرارا متكررة 2 و عموما فالعادة " حال يكرر فيها سلوك على نمط واحد " 3

أما اصطلاحا فان العادة تعبر عن نمط من السلوك يرتضيه الفرد او الجماعة لأنفسهم ، و بذلك يصبح تابثا مع مرور الزمن و ينتقل وراثيا هذا الانتقال بين الأجيال يساعدها على التوسع و النمو و بذلك تكتسب سلطانا في المجتمع . و مفهوم العادة قديم قدم الإنسان إذ تغني به الشعراء و الأدباء إذ يقول بن الأعرابي :

لم تزل تلك عادة الله عندي و الفتى آلف لما يستعيدا

و قال أيضا :

تعود صالح الأخلاق إنني رأيت المرء يألف ما استعادا

و المفاهيم التي تتضمنها هذه الأبيات تعكس مفهوم العادة التي تدل على التكرار

1- عيسى الحسن ، موسوعة الحضارات ، ط1، الأهلية للنشر و التوزيع ، بيروت ، 2007 ، ص 471

2- فؤاد إفرايم البساتني ، منجد الطلاب، مرجع سبق ذكره ، ص 504

3- عطا الله الزاقوت ، العادات و التقاليد في جبل العرب، ط1 ، منشورات دار علاء الدين ، دمشق، 2000 ، ص 5.

و التّعود ، و لم تخلو موسوعة العرب اللغوية و الفكرية من عبارة العادة من خلال مجموعة من المفاهيم كالعيد ، و الذي يقصد في جوهره العودة و لانهود إلى شيء إلا بعد ألفة ، وكان العرب قديما شديدي الحرص على عاداتهم خوفاً، من زوال سلطانهم و فقدان المجتمع بعض السلوكات التي يفضلون ان تبقى حيّة فيهم .

و تعتبر العادة ظاهرة اجتماعية ، و قد اختلف العلماء في تعريفهم للعادات و لكن اهتموا بها كدراسة للظواهر الاجتماعية حيث استعمل P. Bourdieu مفهوم الهابيتوس Habitus اذ يعبر مفهوم الهابيتوس " عن النزوع الشخصي الاجتماعي و يشير الى عملية إنتاج الأفكار الاجتماعية ثم إعادة إنتاجها عبر الزمن ، و حسب الظروف الاجتماعية المتغيرة و استمرارية هذا النشاط مع استمرارية تطور المجتمع و التفاعل بينهما ، ما هو إلا الهاجس الذي يشغل المجتمع " 1 فالهابيتوس يكتسبها الفرد من مجتمعه و تصبح بمثابة القواعد التي تولد الممارسات و يجعلها رأسماله الرمزي و قد رأى بورديو Bourdieu ان الهابيتوس " مجموعة من الاستعدادات المستدامة و القابلة للنقل " 2 و هذه الاستعدادات تساعد على تنظيم الممارسات التي تكون موحدة بين أفراد الجماعة ، لذلك الهابيتوس يصبح وسيلة تجعل الأفراد يتكيفون مع و سطهم .

و يعبر مالينوفسكي Malinowski عن العادة بأنها " روتين الحياة الذي يشهدها الأفراد ، ذلك الروتين الذي يتعلق بطبيعة اللهجة و اللغة التي تستعمل في الحياة اليومية و التي تتفاعل مع الرموز السلوكية فتكون جملة ظواهر اجتماعية

1- عبد الغني عماد، سوسيولوجيا الثقافة ، المفاهيم و الاشكاليات من الحداثة الى العولمة ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، 2006 ، ص 150

2-Pierre Bourdieu, Le sens pratique Le sens commun , Maison des sciences de l'homme , éditions de Minuit, Paris, 1980 ,p 88

معقدة يصعب على العالم تدوينها أو وصفها أو تحويلها إلى أرقام لكن يمكن مشاهدتها وقت حدوثها أو التكلم عنها " 1

و من كلمة روتين التي جاء بها مالمينوفسكي فانه يقصد العادة ، لان الروتين هو ما تكرر فعله فأصبح معتادا لذلك يمكن اعتبار العادة " أنماط من السلوك التي تنتقل من جيل لآخر و تستمر فترة طويلة حتى تثبت و تستقر و تصل إلى درجة اعتراف الأجيال المتعاقبة بها " 2 ، و بما انها انماط من السلوك فهي قاعدة للسلوك الجمعي ، و عموما فان العادة تمثل كل الأعمال و الأفعال التي يقوم بها الأفراد و يتعودون عليها، لذلك فهي ممارسات تتطلبها الحياة الاجتماعية في أي مجتمع ، لأنها تشمل كل الأفعال التي تنتج عن علاقة الأفراد ببعضهم البعض فنشكل سلوك مكتسب اجتماعيا يتعلمه الأفراد من مجتمعهم و يمارسونه فيه .

ويرجع سمنر نشأة العادات الاجتماعية إلى حاجات المجتمع الضرورية التي تتطلب إرضاءها و إشباعها، حيث يرى ان " في سبيل أن يتم إرضاء الحاجات الضرورية ، لا بد من قيام الناس أفرادا أو جماعات بأفعال أو طرق أو أساليب مختلفة من النشاط ، تغلب عليها المحاولة العشوائية و لا بد من هذه الأساليب أن تتكرر في كل مرة، و أثناء التكرار و من خلال التكرار، و عن طريق التجربة يكتشف الناس عن طريق التجربة و الخطأ أن هناك طرقا ناجحة صائبة و مفيدة و طرقا ضارة فيختارون ما يناسبهم و يفيدهم و يتمسكون به مع مرور الزمن و تتبلور فتصبح عادة اجتماعية و يتعارف الناس عليها و يعلمون على ترسيخها و تأصيلها في نفوس الأفراد و يعملون على نقلها أفقيا في الجيل الواحد و رأسيا

1- ميشال دينكن ، معجم علم الاجتماع ، تر إحسان محمد الحسن ، مرجع سبق ذكره ، ص 157

2- عبد الله رشدان ، علم اجتماع التربية ، دار الشروق للنشر و التوزيع ، الاردن ، 2004 ، ص 139 ،

إلى الأجيال المتعاقبة على شكل أعراف و تقاليد تحرص عليها الجماعة و تحترمها " 1، لذلك اعتبر سمنر العادات الاجتماعية قوة اجتماعية نابعة عن تكرار مستمر لبعض الأفعال التي تصدر عن مجموعة كبيرة من أفراد المجتمع ، فالعادة تنشأ نتيجة حاجات الإنسان التي يريدونها و يريد إشباعها . و عندما يعرف الناس أن هناك أسلوب صالح من طرق السلوك التي ترضى حاجاتهم فيكررونها في كل المناسبات و يحاولون التمسك بها عبر الزمن، و تصبح بعد ذلك عادة اجتماعية ، و بعد ذلك تتحول العادة إلى أسلوب شعبي يتمسك بها أفراد المجتمع كلهم دون التفكير في أصل هذه العادة، و لا كيف وجدت لأنهم وجدوها متداولة بينهم مما يجعل العادات تنتقل بطريقة لا شعورية بعد أن تكونت بصفة تلقائية، و العادات الاجتماعية عندما تتكرر تصبح مهمة لدى الأفراد ،لأنه عندما يتكرر الفعل و يصبح راسخا في أذهان الجماعة ،فإنه يتولد لديهم الشعور بضرورة إحترامه ، و للمحاكاة دور كبير في إنتقال العادات لأن بفعل المحاكاة تنتقل عادات الجماعة إلى جماعة أخرى ،فينتشر السلوك و تنتقل العادة يقول باجوت " أن وسيلة الإنسان إلى تكوين العادات هي القوة الخفية للمحاكاة و يضاف إليها الشعور بالحاجة إلى الإشباع ففي البداية يتبع بعض الأفراد بالمصادفة نمطا سلوكيا معينا فإذا نجح هذا النمط في إشباع حاجاتهم و إرضاء ميولهم فإنهم يكررونها ،و هنا يحاكيهم باقي الناس و يمارسون هذا النمط " 2 فالمحاكاة مهمة في حفظ تماسك المجتمع، فالعادات و الأعراف و التقاليد هي عبارة عن تجارب اجتماعية للناس و تفاعلهم مع بعضهم البعض و ذلك نتيجة الحياة المشتركة بينهم يقول سمنر " ففي سبيل التصارع من أجل البقاء و عن طريق تعاون الناس بعضهم مع بعض، تتكون الطرق الشعبية و تنشأ بطريقة غير واعية و غير شعورية و بمرور الزمن تبدو ثابتة و أصيلة و راسخة على

1- عبد الله رشدان ، علم اجتماع التربية ، مرجع سبق ذكره ، ، ص 141 .

2- عبد الله رشدان ، المرجع السابق ، ص141

الرغم من أن أحدا لم يقصد حدوثها أو يعتمد تكوينها أو يخطط لها أو يعرف عنها مقدما "1 ، و سمنر يرى أن هذه العادات تنشأ تلقائياً ثم تصبح مترسخة في المجتمع و يألفها أفراده دون أن يعرفوا تكوينها و أصلها بل هم مجبرون فقط على الإمتثال لها . وهنا تكمن أهمية العادات في كونها تشكل سلوكيات متكررة تفرضها الجماعة على الفرد ، و يبتكر المجتمع هذه العادات كويسلة لإشباع حاجات أفراده المعيشية، و فرض شخصيته و كيانه و إثبات هويته ، لذلك جعل علماء الاجتماع من العادات الإجتماعية الأساس الأولي الذي يقوم عليه التراث الثقافي في كل مجتمع، بما أنها المعيار و القوة الضابطة التي توجه سلوك الأفراد و تنظم طريقة حياتهم ، و بذلك تدعم الحياة الاجتماعية و تؤدي إلى تعزيز وحدة الجماعة ، و تقوى الروابط بين الأفراد، لذلك تلعب دورا مهما في نشأة النظم الاجتماعية و استقرارها . و تعتبر مظاهر السلوك إحدى المقومات الأولى المرتبطة ببعضها البعض لتشكل أنماطا متفاعلة فيما بينها ، فالزواج و العائلة و غيرها عبارة عن نظم إجتماعية ، كل منها يحوي معايير و قواعد محددة لنوع السلوك التي ينبغي أن يتبعه الفرد . لذلك لا يمكن تصور وجود مجتمع دون ، وجود عادات اجتماعية إذ تشكل ضرورة حتمية اجتماعية لتنظيم العلاقات و ضبطها بين الأفراد، و بذلك تحفظ البناء الاجتماعي و تضمن استقرار المجتمع و المحافظة على كيانه و سلامة بنيانه. فدور العادات الاجتماعية في الضبط و التنظيم كما سنرى لاحقا ، لا يقل عن دور القوانين الوضعية حيث ، إذا كان القانون سلطة المجتمع المكتوبة ، فالعادات سلطته غير المكتوبة و دستوره المحفوظ في صدور الناس ، هذه السلطة التي تجعل الفرد خاضعا لها و لماضيها ، و تابعا لأسلافه حتى يندمج في نظام اجتماعي سبق

1- فوزية ذياب ، مرجع سبق ذكره ، ص119

خاضعا لها و لماضيها و تابعا لأسلافه حتى يندمج في نظام اجتماعي سبق وجوده " بالنسبة للفرد الخضوع للقدماء هو رمزي لكي يندمج في نظام اجتماعي كان موجودا " 1.

و مما سبق يظهر بأن العادات هي بمثابة قواعد تحقق النظام الداخلي للمجتمع البشري، فهذه المنظومة من العادات، هي عبارة عن تجليات للتعبير الثقافي فهي أشكال مختلفة و متنوعة من المدلولات المفصحة عن الذات و عن الوجدان الفردي و الجمعي، و من خلالها يمكن قراءة و معرفة مكونات المجتمع المعيرة عن ثقافته ، و البنية العقلية حسب كلود ليفي ستروس، و شخصيته الحضارية و هي إثبات للهوية، من خلالها يخرج ما بداخل مستودع الذاكرة من معطيات قابلة للتحليل الاجتماعي لذلك تعتبر الرأسمال الرمزي *Capital symbolique*

حسب Bourdieu الذي يفتخر به المجتمع، و هنا تمكن أهمية العادات الاجتماعية فبذلك تصبح هذه العادات ضرورة اجتماعية ، و حتمية لأنها منظمة لمعاملات الأفراد و ضابطة لعلاقاتهم مع بعضهم البعض ، فهي وسيلة تضمن استقرار المجتمع و تحافظ على كيانه و سلامة بنائه .

و قد تحدث ابن خلدون عن أهمية العادات الاجتماعية و ذكر كيف أن الإنسان ابن لعوائده لا ابن طبيعته " إن أهل البداوة أقرب إلى الشجاعة من الحضرة و أصله أن الإنسان ابن عوائده و مألوفه، لا ابن طبيعته و مزاجه، فالذي ألفه في الأحوال حتى صار خلقا و ملكة و عادة تنزل منزلة الطبيعة و الجبله" 2.

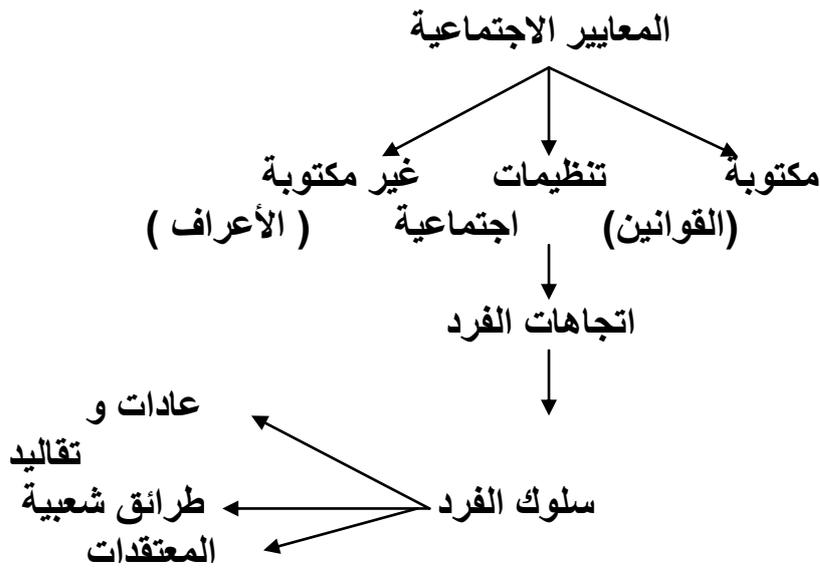
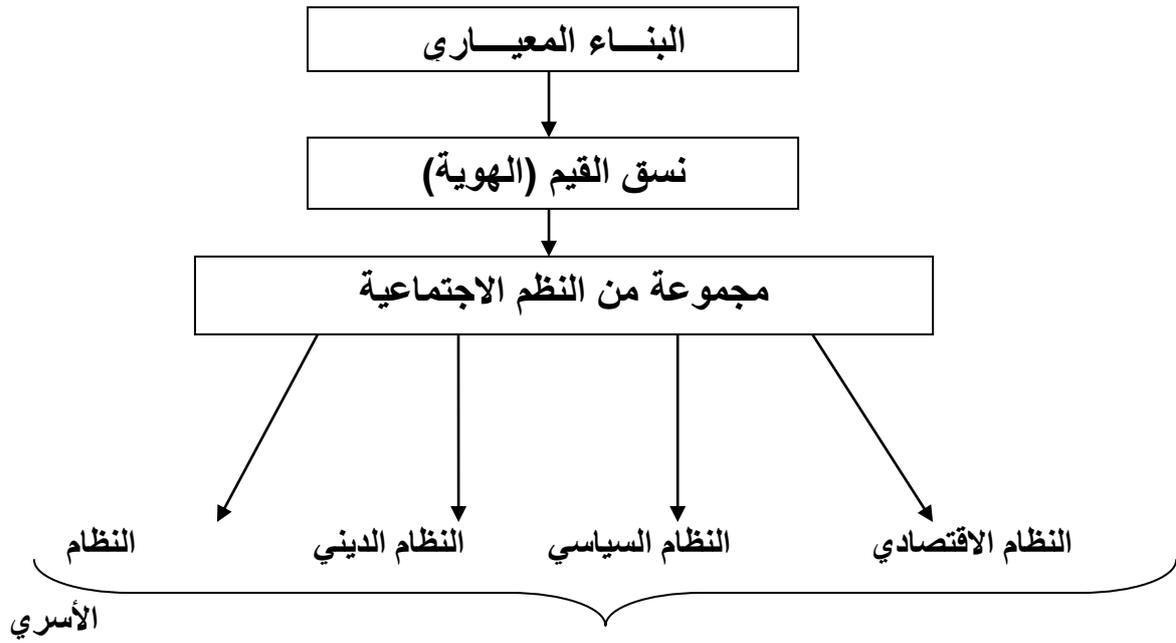
1- Georges Balandier , Anthropologiques , Librairie générale française , Paris , 1985, p 228

2- عبد الغني عماد ، مرجع سبق ذكره ، ص 153

ويكمن الفرق بين العرف و العادة في أنه رغم أن العرف هو نوع من العادات التي تبلغ درجة عالية من الإلزام إلا أنه هناك فروق بين العادات و الأعراف حيث لكي تصبح العادة عرفا إذا تمكن الناس من أن يشعروا بالزامية احترامها و ضرورة تطبيق الجزاء و المخالفة على من يخرج عنها لذلك تتحول العادة إلى العرف إذا توفرت على عنصرين أساسيين عنصر مادي و عنصر نفسي و بالتالي إذا كانت قديمة و عامة و ثابتة لم تعرف تغيير و ألفها الناس و اعتبروها ضرورية في تنظيم حياتهم حيث لا يمكنهم الاستغناء عنها و يعاقب كل من يخالفها حيث يصل هذا العقاب عند البعض إلى درجة الطرد من الجماعة أو القتل . فالعادة يكون عقاب من يخالفها سطحي أما العرف فتكون درجة العقاب فيه بالغة لذلك هو بمثابة القانون أو الدستور الذي تعتمده الجماعة و تعود إليه في جميع أمور حياتها الدنيوية ، و عليه يتمكن أحيانا الفرد أن يخرج عن العادة و لكنه ليس بإمكانه الخروج عن العرف أو رفضه . تأتي العادة بعدد من العادات غير ثابتة أو منتظمة بل تتغير مع تغيير عدة ظروف كفصول السنة و المناسبات و لكن العرف يبقى ثابتا و على الأفراد أن يتبعونه بانتظام دون تماطل لأنه عادات قديمة تقليدية تأصلت في نفوس الناس توارثتها الأجيال ، و لكن العادة التقليدية لا تصبح عرفا إلا إذا أصبحت إلزامية و خشية الناس خوفا من العقاب الذي يقع عليهم و عند تحليل عادات الزواج من حيث الشكل الذي تتخذه حفلات الزواج من حيث البساطة و التعقيد هي مسألة اختيارية لأن بعض الناس يكون احتفالهم بمناسبات الزواج بشكل واسع في حين البعض الآخر تكون حفلاتهم في إطار ضيق ، و منهم من يحتفل به في البيت و منهم من يستأجر لذلك قاعات ، أما من الناحية المعروفة عن نوع الزواج فهو خاص بالعرف ، فالعرف هو الذي كان يقتضي قديما أن يختار الوالدين العروسة لأبنائهم ، و العرف هو الذي يقتضي مثلا تحديد مبلغ المهر في بعض المناطق كعرف سيدي معمر الذي يفرض الزواج بمهر ربع دينار في منطقة شرشال بالجزائر.

3- البناء المعياري في المجتمع :

لقد اعتبر أرسطو الإنسان حيوان اجتماعي، لأنه لا يمكنه أن يخرج عن الحياة الاجتماعية و النظام الاجتماعي الذي يتبناها أي مجتمع ، و يعتبر المجتمع عموما بمثابة بناء معياري ،حيث يمثل الأفراد له حتى و لو كان ذلك يعبر عن أشياء معنوية ميزتها القوة و الأصالة . و لان الأفراد يشتركون في نظام اجتماعي واحد و يحافظون بشدة على سير هذا النظام من كل ما يهزّ وحدة و تماسك أعضاء المجتمع، لذلك فالأفراد يتصلون من خلال مشاعرهم الفردية و يرتبطون بفضل وجدانهم الكلي، الذي يعبر عن روابط متقاربة حيث يتيح ذلك لمشاعرهم أن يتصل بعضها ببعض الآخر. و ينبثق عن هذا المركب المعياري حياة اجتماعية مختلفة عن الحياة الفردية، إذ يضع المجتمع البناء المعياري في مرتبة عليا لأنه هو الذي أنتجه ،لأنه عبارة عن شعور يحتوي طاقة عظيمة ليس بإمكان المشاعر الفردية أن ترقى إليها ،و بذلك يبقى الفرد خاضعا لقوى هذا البناء المعياري، حيث يسيطر عليه إحساس بالتبعية و الخضوع المطلق دون أي معارضة أو نقاش، و بذلك فهو ينتقل في هذا الامتثال من الفردانية إلى الاجتماعية، حيث ينتقل من عالمه الشخصي إلى عالمه الاجتماعي و ذلك لأنه كائن اجتماعي لا يمكنه أن يعيش بمعزل عن مجتمعه و عن ما تمليه معايير و قيمه ،لذلك يصبح المجتمع السلطة القاهرة و يعلو دائما على الأفراد .و عليه لا يمكن للمجتمع أن يتخلى عن بنائه المعياري الذي بفضل يمكنه أن يسيطر على أفراد و ينظم سلوكياتهم و يضبطها ، لذلك فالمعايير الاجتماعية هي قواعد للسلوك لأنها تشكل مقياس من خلاله يحكم على السلوك انه مقبول اجتماعيا أو مرفوضا ،لذلك المعيار هو تحديد ثقافي للسلوك المرغوب فيه و يتوضح ذلك من خلال المخطط التالي :



مخطط رقم 1 توضيحي عن
المنظومة المعيارية

فالمجتمع يتكون من العديد من النظم الاجتماعية و داخل كل نظام يوجد مجموعة من القيم ،التي تنعكس في مجموعة من المعايير التي تتخذ شكل القوانين و الأعراف ،و كل نظام يعكس مجموعة من التنظيمات الاجتماعية يتخذ الفرد داخلها أنواعا مختلفة من السلوك ،التي تعكس بدورها العادات الاجتماعية و اتجاهات الأفراد و مدى قابليتهم للإمتثال، لذلك يمكن اعتبار البناء المعياري بمثابة القانون الذي ينظم المجتمع لان له القدرة على فرض ذاته و سلطانه على الأفراد، الذين لا يجدون فيه مانعا و يعتبرونه الرادع لسلوكياتهم و الضابط لها . ذلك لأنه يستمد قوّته و سلطته من الضمير الجمعي للجماعة .

4- روافد العادات الاجتماعية و أقسامها :

تتعدد الروافد التي تجعل العادات تستمر و أهمها :

أ-الشعائر:

تشكل الشعائر نوعا من الممارسات الجماعية، التي تتم وفق قوانين و قواعد تقرها الجماعة، و ذلك من أجل متابعة بعض الأفعال و الأقوال بغرض تحقيق غاية معينة و التي يجب أن تتكرر كما هي دون أن يمسها أي تغيير في الشكل . وغالبا ما ترتبط الشعائر بالمجال الديني، لتشكل سلوك يرتبط بواسطته الفرد بخالقه وهذا ما جعل الشعائر تتصف بالقدسية ، و يوجد شعائر تتعلق بما يقوم به الإنسان في الحياة اليومية، كشعائر الزواج و التي عندما تتكرر تحافظ على التقاليد . وبذلك يمكننا أن نعتبر الشعائر كل ما يصدر عن الإنسان من إشارات أو أفعال يعبر بها عن شيء ما خلال عملياته الاتصالية .

ب -الرموز :

كل ما يقوم الإنسان به في حياته اليومية من سلوكيات، هو نابع من استعمال الرموز ، و قد اعتبرت الرموز عند العديد من العلماء وسيلة مثلى للاتصال بين أفراد المجتمع ، و هذه القدرة الاتصالية التي يكتسبها الأفراد تعمل على تراكم التراث البشري و نمو الثقافة و تطورها ، و تصنع الجماعة الرموز حين تتفق عليها بحيث يصبح أي فرد غريب عن الجماعة غير قادر على فهم رموزها و بالتالي عدم التأقلم معها ، و تعتبر اللغة من أهم الرموز ،لأنها الأداة التي يتواصل بها المجتمع الإنساني و يتماسك بها أفراده ،لأنها كوسيط لنقل تراث المجتمع الثقافي و الاجتماعي لذلك اعتبرها الخشاب عربة الوعي الجمعي ، ولأن العادات و التقاليد تعبر عن مجمل التصورات و المعتقدات المتعلقة بالجماعة ،و المنتقلة من جيل لآخر و نستنتج من ذلك علاقة اللغة بالعادات

و التقاليد لأنه لا توجد أفكار و تصورات بدون لغة و رموز لغوية ، و طريقة التعبير عنها ترتبط باللغة التي تعبر بها الجماعة ، لذلك لكل جماعة تقاليدھا التي تعترز بها و التي تنقل إليها من خلال الرموز اللغوية . و لا تعتبر اللغة إلا واحدة من الرموز، في عالم مليء برموز أخرى ينتجھا الإنسان في حياته و مناسباته المختلفة كالخطبة و الزواج و الختان ،من صور المحبة و المودة هذه الرموز التي تغرس في نفوس الأفراد الشعور بالوحدة و الانتماء في الجماعة و تنمي لديهم روح الجماعة .

و مما سبق يمكن اعتبار الرمز وسيلة هامة للتعبير عن النشاط الإنساني الإجتماعي ، و حسب وايت فإن الرمز هو « شيء يكتسب قيمته أو معناه ممن يستخدمونه»¹ و هذا ما يجعل الرموز تختلف من مجتمع لآخر، و قد حدد العلماء له وظيفتان وظيفة اتصالية لأن بفضل الرموز يمكن لأفراد المجتمع أن يتواصلوا ، ووظيفة المشاركة و لكن عند تحليل الرموز علميا نستنتج أن لها وظيفة ثالثة و هي وظيفة إيحائية أي أن بواسطتها يستدل المجتمع على العديد من الأمور، أي أن لها إichاءات و دلالات لا يفهمها إلا المجتمع الذي يؤسس هذه الرموز ، و بذلك فإن الرمز في حد ذاته هو معبر عما يتضمنه شعور الأفراد ، و يحافظ الناس على الرموز القديمة لأنها تحمل في مضامينها مدلولات سامية و ذكريات تمت بصلة بعالم الأجداد ، و تحمل في طياتها نوعا من الانفعالية الجماعية .

ج- الاحتفالات:

هي عبارة عن ممارسات اجتماعية لها طابع الرسمية تعبر بوضوح عن

1- عبد الغني عماد ، سوسيولوجيا الثقافة ، المفاهيم و الإشكاليات من الحداثة إلى العولمة ، مرجع سبق ذكره ص170

شعور الناس حيث تلتقي فيها الشعائر و الطقوس ، و الرموز، و بذلك هي عادات اجتماعية موحية بالفرحة و معبرة عن ابتهاج أصحابها، تمارس في مختلف المناسبات مرتبطة بعواطف و أحاسيس معبرة عن المعاني السامية، لذلك لا يستغني عنها الأفراد و لا يبتعدون عن التفكير فيها و ممارستها عند كل مناسبة يومية .

وتنقسم العادات إلى قسمين :

1- عادات فردية : و هي حسب ما نلاحظه يوميا مجموعة من العادات المتعلقة بالمظهر السلوكي الذي يمارسه الأفراد مثل عادة تصفيف الشعر أو عادة الكلام . لذلك يمكننا أن نقول أنها عادات متعلقة بشخص الإنسان ، لأن يمكن للفرد أن يمارسها دون حاجة المجتمع ، و يوجد لها حاجته حتى يتمكن من تنظيم حياته ولكن هي تجعل الحياة سهلة عندما يتكرر القيام بالعمل ، و عليه فهي تعبير شخصي عن استجابات لظروف الحياة .

2- عادات جماعية : تشكل العادات الجماعية أسلوبا في الحياة لا يخرج عن إطار الحياة الإجتماعية ، و ناتجة عن تفاعل أفراد المجتمع مع بعضهم البعض لذلك لا يستطيع الإنسان أن يخرج عن إطارها ، كما أنها وسيلة لحفظ كيان المجتمع ، و تنشأ تلقائيا من أجل تحقيق أغراض متعلقة بأوضاع الجماعة و مظاهر سلوكها فهي تعبر « عن مجموع الأنماط السلوكية التي تبقى عليها الجماعة و تتناقلها عن طريق التقليد و التفاعل مع الآخرين»¹ و العادات الجماعية نوعان :

1- عبد الغني عماد ، مرجع سبق ذكره ص153

أ-العادات التقليدية :

و هي قديمة و متوارثة عبر الأجيال، مستمرة مع استمرار الحياة رغم أنه من يوجد لها قد يختفي، تربط الماضي بالحاضر، كما أنه تحفظ الموروث الثقافي و اعتبرها كلا كهون Kluckhon وكلي Kelly «و سائل إرشاد توجه سلوك الناس في المجتمع»¹ وذلك لأنها تخطط للفرد لسلوك حياته الذي ترتضيه الجماعة مثل : كيفية القيام بحفلات الزفاف.

ب-عادات حديثة : و هي التي يسميها الناس بالموضات ، و هي كل ما يدخل المجتمع من ممارسات جديدة على شكل موضات، بحيث تتقبلها الجماعة و تنتشر و أحيانا تكون مدة بقائها قصيرة ، و تعبر عن اللباس و الهيئة و تمس أفكار الناس و معتقداتهم،مثل استعمال قاعات الأفراح في الأعراس تعتبر عادة جديدة، حيث اعتبرت هذه الممارسة موضحة جديدة كانت تقتصر على أصحاب المال ، و لكن الآن انتشرت و أصبح يقوم بها كل العائلات .إلا أن هذه العادات الجديدة ليست ثابتة بل تزول مع زوال درجة تأثيرها و تأثر الأشخاص بها، إذ قد تتأثر بها الجماعة لوقت معين ثم تتركها، لذلك يمكن القول أنها عادات آنية مرتبطة بالفترة التي وجدت فيها ،و بالحاجة التي وجدت لأجلها ،و عموما فإن العادة الجمعية تملك سلطة أكثر من العادة الفردية خصوصا و أنها تحفظ كيان المجتمع و تنظم سلوكيات الأفراد .

و يمكن تحديد الفروق بين العادات الفردية و الجماعية كما يلي :

1- فوزية ذياب ، مرجع سبق ذكره ص 152

العادات الفردية	العادات الجماعية
<ul style="list-style-type: none"> - تمارس تلقائيا نتيجة حاجة الفرد لها . 	<ul style="list-style-type: none"> - هي أساليب توجد بها الجماعة بهدف إشباع حاجاتها ، نابعة عن الوجدان الشعبي من أجل تنظيم الأفراد و ضبط حياتهم
<ul style="list-style-type: none"> - تظهر كطريقة أولية في العمل أو التفكير قد لا يشترك فيها الأفراد لأنها خاصة بفرد واحد - لا يحاسب من لا يخضع لها 	<ul style="list-style-type: none"> - تتناقلها الأجيال لأنهم يتوارثونها ضمن إرث اجتماعي – ثقافي - يقوم بها عامة الأفراد و يشتركون فيها إذ يعتبرونها أساس وحدتهم - تخضع العادات صاحبها لقانون الحتمية عند ما تكون جماعية و بذلك منها ما يتحول إلى عرف يعاقب من يخرج عن إطاره
<ul style="list-style-type: none"> - يمارسها صاحبها دون أي إشكال لأنه هو الذي يفتعلها ثم يتبناها 	<ul style="list-style-type: none"> - تعتبر أحد وسائل الضبط الاجتماعي و أداة للتنظيم لذلك هي إلزامية

5- خصائص العادات الاجتماعية ووظائفها:

تتميز العادات الاجتماعية بخصائص متعددة :

- فعل اجتماعي : وذلك لأن العادات الاجتماعية تظهر نتيجة تفاعل الأفراد مع بعضهم البعض ،مما ينتج ممارسات تتطلبها الجماعة من أجل إشباع حاجاتها الاجتماعية .

- تاريخية الطابع لأنها يتوارثها الأجيال و يحافظون عليها في إطار تراثهم الذي يحميها و يعمل على نقلها .

- ترتبط بالزمان و المكان ،لأنها تمارس في زمن معين مثل المناسبات و مكان معين ولأنها تختلف من مكان لآخر باختلاف ثقافة المجتمع.

- التلقائية : تنشأ العادات بصفة تلقائية، و تمارس بطريقة تلقائية لا شعورية لأنها تنبع عن حاجة الناس ،مما يدخلها قانون الحتمية و يجعلها ضرورة اجتماعية تربط بين الأفراد و تزودهم بماضيهم ،و تراثهم القديم يتشربها الأفراد من مجتمعهم و يقومون بها، إذ عندما يولد الفرد يجدها فيتتبعها دون أي مناقشة و دون أن يبحث السبب الذي أوجدها .

- الإلزام و الجبرية : تمارس العادات الاجتماعية سلطة على الأفراد، لأنهم ملزمون للقيام بها و الخضوع لها ،لذلك تتميز بكونها ملزمة و جبرية، و هذا ما عبر عنه دوركايم بالعقل الجمعي ذلك أنه مصدر كل الظواهر الاجتماعية ، فالعادات الاجتماعية ينتجها العقل الجمعي كنماذج سلوكية .و بذلك تمارس سلطة على المجتمع و على الأفراد، و بذلك يحترمها الناس ولا يتجاوزونها خوفا من عقاب المجتمع يقول دوركايم «إذا خرجت على العادات المرعية لم أقم وزنا للعرف المتبع فإن ما أثيره من عاطفة السخرية، و ما أبعثه حولي من

الاشمئزاز ينتجان و لو بصورة مخففة النتيجة نفسها التي يؤدي إليها العقاب الحقيقي « ١٥ جعل سمنر الفرد مقيدا بالعادة و أسيرا و خاضعا لسلطتها و ذلك بفضل دورها المنظم لسلوكات الأفراد ، و يخضع لها الفرد لأنه وجدها سابقة عليه . هذه السلطة التي تختلف بدرجة الإلزام حيث هناك من العادات ما هي حتمية لا يتسامح عليها المجتمع ، و أي تجاهل لها يعاقب عليه فاعله و منها ما تكون درجة إلزاميتها خفيفة فالعقاب يكون فيها خفيفا ، و لكن ما نستخلصه هو أن عملية التنشئة التي تقوم بها الأسرة هي التي تغرس الخوف و الطاعة في نفوس الأفراد، مما يدفعهم إلى الخشية من الخروج عن تعاليمها.

- الاتصال بنواح أسطورية و عناصر خرافية :-

من خصائص العادات الاجتماعية، أنها متصلة بنواح أسطورية كالاعتقاد في أن أرواح الأجداد قد تغضب إذا حاولنا تغيير عاداتهم أو يصيبهم مكروه ، فمثلا في بعض العائلات الجزائرية ، هناك من العائلات من تقوم بتختين ولدها على أساس سرقة من طرف أحد أفراد العائلة المقربين دون علم والديه، حيث تتم العملية سرا خوفا من أن يصاب الطفل بمكروه ، و بعد انتهاء تختين الطفل يتم الإعلان عن العملية، فيأتي أفراد العائلة لتهنئة الوالدين و إذا تم الإعلان عن ذلك من قبل و عرف الوالدين ، قد يصاب الطفل بمكروه على حد تعبير العامة «تخرجنا» ، في حين عائلات أخرى تقام الأعراس قبل الختان و بعده ، و إذا تم ذلك سرا قد يصاب الطفل بمكروه ، و هذا كله مرتبط بالاعتقادات السائدة عند الناس و المرتبطة في جوهرها بغضب الأجداد عند الخروج عن قانون العادات ، و

1- فوزية ذياب ، مرجع سبق ذكره ص 120

لأنها حدثت من باب الصدفة في عائلة ما، فقد أصبحت دأبا مألوفا و حتما لا يمكن الهروب منه حتى و لو كان ضربا من الأسطورة و الخرافة .

و هنالك من العادات ما يتصل بالأماكن المقدسة، مما يجعل الناحية الأسطورية غالبية عليها، كالدوران بالعروس حول ضريح الولي لنيل البركة أو أخذ المولود الجديد إلى ضريح الولي الصالح للزيارة في بعض المناطق الجزائرية .

وذلك لأن هذه الأساطير لها علاقة بالماضي و بالأجداد ، و هي ناتجة عن تجربة الإنسان ، حيث خبرته في الماضي كانت محدودة في تفسير بعض الأمور فلجأ إلى مخيلته حتى يتمكن من حل بعض الأمور المستعصية . و مع الزمن أصبحت هذه الأساطير و الخرافات متصلة بجميع نواحي الحياة اليومية و أصبحت جزءا من التراث الثقافي للمجتمع ، و تلعب المخيطة الجمعية دورا مهما في تغذية الأساطير و الخرافات ، فتنشأ عادات خرافية تعمل على طمأنة الفرد و تهيئته لمواجهة الأحداث ، حيث يعطي لهذا العادات تفسيراً لبعض الظواهر الغريبة كعادة تعليق عجلة السيارة على باب البيت في بعض مناطق القطر الجزائري للتصدي للعين و الحسد و غيرها من العادات

- التنوع و النسبة :

إن العادات الاجتماعية متنوعة من منطقة لأخرى ، و تختلف من حيث طرق ممارستها ، حيث هناك من يبالغ فيها و هناك من يمارسها على حالها ، و تتغير من مجتمع لأخر و من مكان و من زمان لأخر، فبينما كان يحتفل بالزواج في عدة أيام أصبح يحتفل به في يوم واحد ، و بعد ما كان الاحتفال واسع يشمل العائلة و الجيران أصبح يقام على نطاق ضيق، يشمل الأقارب فقط لذلك فإن لكل مجتمع طريقته في ممارسة العادات الاجتماعية تتناسب و قيمه و معايير .

-الاستمرار و الدوام :

العادات مستمرة الوجود، لأنها يتوارثها الأجيال في إطار التراث الثقافي، و لكن شكلها يتغير و يبقى مضمونها محافظ عليه، و هي غير مكتوبة بل تحتفظ بها ذاكرة الناس و يجسدها سلوكهم ، هذا التوارث الذي يكسبها صفة القدسية و الاحترام الشئى الذي يجعلها راسخة و مستقرة ، و عليه فإنها تصبح قوية في السيطرة و الإلزام لأفراد الجماعة ، و لكن يبقى السر في سيطرتها و قوتها هو ارتباطها بالماضي و الأسلاف ، لأنه تبقى الذاكرة الجمعية محافظة على كل ما هو قديم و يمت بصلة بالماضي و الأجداد. بحيث يعتبر المجتمع ما هو قديم الأصل و النافع و يرى تونيس Tonnies « ما مسايرة العادات و مطاوعتها إلا مجرد حالات خاصة للطاعة و المحاكاة ، اللتين عن طريقها يتبع الصغار الكبار ... و يتعلمون منهم و هذا قانون من أعم قوانين الحياة الاجتماعية بل هو روح التقاليد في الحياة و الفن، و إذا حاولنا أن نبحث في أصل عرف ما فلا بد أن نذهب إلى الماضي البعيد ، حيث أنه كان دائما هكذا و لهذا السبب ، و هو أن العرف يرجع لتاريخ قديم ، فإنه يبدو طبيعيا و ضروريا و موافقا لما يرغبه الناس و مألوفاً»¹ فتونيس Tonnies يعتبر التمسك بالعادات يعود إلى إرتباطها بالماضي و بالأجداد ، الذين و بفضل الحكمة و التجربة أتبتوا نفعها ، و بالتالي أقروا هذه العادات و جعلوها إرثا متوارثا . و غرسوا في نفوس الخلف حتمية تقديس هذه العادات ، هذا التقديس الذي ينبع من القانون الطبيعي ، حيث يكون مركب من الإعجاب و الخوف ، الإعجاب بإنجازات الأجداد و ضرورة التقيد بها و الخوف من تركها و نيل الجزاء و التقديس في جوهره ما هو إلا الشعور المبهم بالرهبة المقدسة التي تدخل نفوسنا حيث عبر عن ذلك أوطو Otto الذي اعتبر

1- فوزية ذياب ، مرجع سبق ذكره ص 155

المقدس شيء يثير شعور مزدوج بالإعجاب و الخوف ،لذلك استمرار و دوام العادات يأتي من طابع القداسة الذي يطبعها و تتصف به بصفاتها تمت بعلاقة بالأجداد و امتثالاً لهم .

- الرغبة في التمسك بها :

يعمد الأفراد دائماً في المجتمع على الحفاظ على عاداتهم و يرغبون في التمسك بها ، و يدفعهم إلى ذلك المجتمع من خلال عملية التنشئة الاجتماعية و الضبط الاجتماعي الذي يمارسه الضمير الجمعي على الأفراد ، و يهدف المجتمع من وراء ذلك إلى تكوين فرد يحمل سلوكاً يتوافق مع السلوك العام للمجتمع . فبفضل عملية التنشئة الاجتماعية ،يصبح الفرد مروضاً على تقبل العادات الاجتماعية السائدة من خلال تعويدهم عليها عن طريق المحاكاة ، لذلك يعتبر الضمير الجمعي هو المشرع للعادات، لأنه يحرص على إتباعها و أي خروج عنها يقابل بالجزاء ،هذا الضمير الذي يعتبر قانون المجتمع « في المجتمعات التقليدية الذاكرة الجمعية تفرض وجودها بطريقة حتمية »¹ حيث تعمل الذاكرة الجمعية على حفظ هذه العادات، و تزكية الضمير الجمعي. ولكل مجتمع عاداته الخاصة به و التي تتناسب مع قيمه ووضعيته لذلك هو يتمسك بها ، و قد تصل بعض المجتمعات إلى درجة التعصب الذي يعرف عند الاجتماعيين بـ ethnocentrisme² و ذلك يتوافق مع أسباب مختلفة قد يجدها المجتمع منطوية لأنها تناسبه ، فمثلاً مسألة العذرية التي يتعصب فيها المجتمع العربي.

على أساس أنها قضية الشرف وذلك تلائماً مع بنية المجتمع العربي الثقافية

1- Georges Balandier, opcit , p09

2- فوزية ذياب ، مرجع سبق ذكره ص 136

القبلية و العصبية ، في حين المجتمع الغربي لا يحيل لهذه المسألة أهمية كبيرة .

ورغم اختلاف العادات من مجتمع لآخر و من مكان و زمان لآخر ، غير أنها على مدى الوقت كان هدفها واحد، هو حماية كيان المجتمع و حفظ تماسك أفراد و من وظائفها :

- الوظيفة الإرشادية :

تعمل العادات الاجتماعية على إرشاد الفرد و توجيهه ، و ذلك من خلال ماتقدمه له من أساليب عامة للسلوك يوجدتها المجتمع في إطار عملية التفاعل التاريخي و الاجتماعي . وما على الفرد إلا أن يمتثل لهذا السلوك بعد أن يتشربها و يقوم بها وهو يتلقاها من خلال عملية التنشئة الاجتماعية ، و بذلك تعمل هذه العادات على توجيه سلوكه و ترشده إلى ما يرتضيه فيه المجتمع .

- الوظيفة الجمالية :

تعمل العادات الاجتماعية على إرشاد الفرد إلى ما هو حسن من السلوك و جميل هذا الجمال الذي يتخذ طابع المحسوس أو طابع الروحي – الوجداني ، و ذلك لأن الفرد يتعلم من العادات الاجتماعية القواعد و الأسس التي تمكنه من أن يتكيف مع مجتمعه ، و يظهر ذلك في آداب المعاملة و عاداتها ، لأن عن طريقها تتحدد معايير السلوك و طرق التعامل اللائقة مع الأفراد .

-الوظيفة التنبئية :

تمكننا العادات الاجتماعية من التنبؤ بسلوك الأفراد مما يساعد الجماعة على الاستمرار في الحياة الاجتماعية ، و هذا ما يجعل من العادات مرشحات للسلوك حيث عندما نعرف عادات القوم يمكننا أن نتنبأ بسلوك الأفراد، و هذا ما يحافظ على استقرار الجماعة و استمرارها .

-الوظيفة الضبطية التنظيمية :-

من وظائف العادات الأساسية تنظيم و ضبط المعاملات بين الأفراد و علاقاتهم بما تتضمنه من أوامر و نواهي ، إذ هي بمثابة القانون أو الدستور الشفهي الذي عند الخروج عنه يختل توازن المجتمع ، مما يفرض احترامه . لذلك نستخلص أن العادات الاجتماعية وسيلة مهمة في تحقيق النظام و الضبط حتى تحافظ على كيان المجتمع و تماسكه ، خصوصا و أنها تشترك في القيام بها عدد كبير من أفراد الجماعة حتى تصبح ذات سلطة مطلقة ، إذ يقوم كل الأفراد بأفعال موحدة معبرة عن قيم مشتركة و تنمي في داخلهم روح الجماعة .

6- العادات الاجتماعية و المجتمع :

" العادة قوة معيارية و ظاهرة تتطلب الامتثال الاجتماعي و الطاعة الصارمة فهي بذلك رائدة للقانون " 1. تعتبر العادات ممارسات أنتجها الوجدان الشعبي من اجل تلبية رغباته المعيشية ، و تبقى حية معه تتحرك في اطار تحركاته على مر الزمن و تاريخه الثقافي الاجتماعي، لذلك تعتبر العادة هي نتاج الجماعة و تصبح متوارثة عبر الأجيال كما تصل الى درجة العرف ، و تنشأ العادة داخل المجتمع من خلال تفاعل الأفراد ، و هذا ما يجعلها تعتبر معيار للسلوك يرى تويلس " ان العادات متطلبات سلوكية ، تعيش على ميل الفرد لأن يمتثل لأنواع السلوك الشائعة عند الجماعة و كذلك على ضغط الرفض الجماعي لمن يخالفها " 2 و هذا ما يجعلها بمثابة القانون غير مكتوب للمجتمع ، فمن كثرة تكرار العادة تكتسب هذه الأخيرة سلطانا و مكانة في المجتمع ، تجعلها تمارس سلطة خفية على الأفراد تستمدتها من الضمير الجمعي ، في المجتمع لأن أي تجاهل للعادة يعرض صاحبه للجزاء . و قد ربط معظم العلماء العادات الاجتماعية بالطرق الشعبية، و الشعبية نسبة إلى الشعب و المقصود به مجموعة من الناس لذلك نسبت إليها طابع الجماعة ، و هذا ما جعل بعض العلماء يربطونها بالفلكور من بينهم سمنر " و التي تعني كل سمات و أنماط الثقافة الموسومة بالطابع الجمعي أو الذي يمارس اجتماعيا " 3 و ذلك لان الطرق الشعبية تشمل سلوكيات الناس في مختلف المناسبات الاجتماعية . و رغم اختلافها من ثقافة لأخرى ، غير أنها تبقى محتوى الثقافة و يغلب عليها الطابع الجمعي لأنها من صنع المجتمع و يمارسها كل أفراد، و لأن العديد من العلماء اعتبروها

1- محمد الجوهري ، علم الفلكور ، مرجع سبق ذكره ص 69.

2- نفس المرجع السابق ص 69

3- فوزية ذياب ، مرجع سبق ذكره ، ص 116

طرقاً شعبية، فإنها تتجسد في إطار الثقافة الشعبية التي تجد بداخلها المخيلة العامة ما تعبر به عن مكبوتاتها و تتحرر من قيود الثقافة الرسمية.

و تعتبر العادات الاجتماعية وسيلة لتجسيد سلوكيات الأفراد، حيث تدخل في إطار المراقبة و السيطرة من طرف الضمير الجمعي حتى يصبح الفرد خاضعاً للجماعة، لذلك تعتبر العادات بمثابة قانون يوجه و ينظم المجتمع و بذلك فهي تتطلب الخضوع التام لها و الامتثال الجماعي. فهي بذلك تشكل سلطة المجتمع غير المدونة و المحفوظة في صدور الناس و محمية من وجدانهم، لذلك تحيط بالإنسان في كل مناسبة و في جميع تعاملاته مع غيره، و بما أنها موجّهات للسلوك و تفرض الخضوع التام لها، فإنها و حسب سمنر روح الجماعة و حسب دور كايم العقل الجمعي الذي من خلاله يراقب الفرد سلوكه و أي خروج عنها يحاسب عليه الفرد. و هنا يظهر سلطان العادات على الأفراد فهي تلزم أفراد المجتمع و يجد الفرد في طاعتها راحة لأن أي خروج عنها يعرض صاحبه إلى عقوبات الضمير الجمعي، فالمجتمع يمارس سلطته على الأفراد من خلال العادات الاجتماعية ذلك أن لها قيمة معيارية، تتطلب الامتثال الجماعي و القبول و الموافقة الجماعية التي قد تصل أحياناً إلى الطاعة المطلقة و نستخلص مما سبق أن علاقة العادات بالمجتمع هو أنه المجتمع يجعل من هذه العادات السلطة و القانون الذي يوجه به سلوك الأفراد، و بفضلها يفرض عليهم الرقابة الدائمة عن طريق العقل الجمعي «فالعادات الاجتماعية تمثل أسلوب اجتماعياً أي لا يمكن أن تمارس إلا في مجتمع ومن خلال التفاعل مع أفراد و جماعاته» لذلك فالمجتمع يعتمد هذه العادات لأنها تساعد في تكوين أنماط

1- فاروق أحمد مصطفى، الانثروبولوجيا و دراسة التراث الشعبي، مرجع سبق ذكره، ص77

الأفعال و نماذج الأفكار، و بذلك و كما اعتبرها سمنر هي قوة مجتمعية لأنها تمارس على المجتمع سلطة توجب الخضوع لها و احترامها حيث أكد أفلاطون في كتابه القوانين، على ضرورة احترام التقاليد و الأعراف و ذلك لما تمارسه من قوة و سلطان في المجتمع «لأن هذه الأمور و ما إليها تكون مجموعة من القوانين غير المكتوبة فهي الدستور غير المدون الذي لا يقل شأنًا في حياة المجتمع عن الدستور المكتوب، وهي فوق ذلك المعين الأول الذي تستقى منه التشريعات و القوانين الوضعية مادتها و أصولها الأولى»¹.

وبذلك تعتبر العادات وسائل ضرورية للضبط الاجتماعي إذ نجد علاقة وطيدة بين العادات الاجتماعية و الضبط الاجتماعي، و لا يمكن تحديد هذه العلاقة دون الإشارة إلى مفهوم الضبط :

يرى ماكيفر Makiver و بيچ Page الضبط الاجتماعي هو «الطريقة التي يتطابق بها النظام الاجتماعي كله، و يحفظ هيكله تم كيفية وقوعه بصفة عامة كعامل الموازنة في حالات التغير»² و على هذا يظهر الضبط الاجتماعي كوسيلة تساعد المجتمع على الحفاظ على كيانه و تماسكه . و يعرفه جرفيتش Gurwitch «بأنه مجموعة من الأنماط الثقافية و الرموز الاجتماعية و المعاني الجماعية و القيم و الأفكار و المثل، و كذلك الأفعال و العمليات التي تتضمنها و تستخدمها و التي يمكن لأي مجتمع عام شامل و كذلك لأي زمرة اجتماعية محددة بل و أي فرد من أعضاء هذه الجماعة أن يتغلب بواسطتها على

1- مصطفى الخشاب، علم الاجتماع و مدارسه، تاريخ الفكر الاجتماعي و تطوره،

مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة، 1957، ص 6

2- محمد أحمد غيم، الضبط الاجتماعي و القانون العرفي، دراسة في الأنثروبولوجيا

الاجتماعية، عين للدراسات و البحوث الانسانية و الاجتماعية، 2008، ص 64

مختلف أنواع التوتر و الصراع و يعيد التوازن إلى الجماعة بفضل الجهود التي تبذل للإصلاح أو لخلق أفكار و مثل جديدة و إزالة هذه الخلافات»¹ و على هذا الأساس يميز جريفيتش من خلال هذا المفهوم للضبط الاجتماعي بين صور الضبط :

- الأنماط الثقافية الرمزية و القيم و الأفكار و المثل .
 - محاولات تجربة القيم و الأفكار و المثل الجديدة و البحث عنها أو خلقها .
- و يظهر من تعريف جريفيتش أن الضبط الاجتماعي هو وسيلة يستعملها المجتمع لإصلاح نفسه إثر أي اختلال لتوازن داخل نظمه و ذلك قصد استرجاع توازنه و بالتالي الحفاظ على تماسكه .

وتعتبر العادات وسيلة للضبط الاجتماعي إذ لطالما ارتبطت العادات الاجتماعية بمفهوم الضبط الاجتماعي و أعتبرت وسيلة هامة لتحقيق ذلك . فدور العادات في الضبط و التنظيم لا يقل شأنًا عن دور القوانين الوضعية ، فإذا كانت القوانين سلطة المجتمع المكتوبة فالعادات سلطته غير المكتوبة و دستوره المحفوظ في الصدور . إذ يولد الفرد فيجدها و يجد آباءه متمسكين بها و يحافظون عليها فتلزمه بالتمسك بها و تجعله مسؤولاً على احترامها و الخضوع ، لها حتى يتوصل إلى رضى المجتمع و يتكيف معه و يشعر بانتمائه فيه . لذلك فإن دوركايم يرى أن الضمير الجمعي يجبر الأفراد على التصرف وفق طرق معينة عن طريق سلطة ، لذلك كانت المهمة الرئيسية للتنظيمات الاجتماعية كالأسرة و الزواج تتمثل في زيادة السلطة الضابطة للضمير الجمعي ، لأن هذه التنظيمات كانت في حد ذاتها وسيلة للضبط الاجتماعي . فالفرد يتعلم العادات و يحول سلطتها الخارجية إلى شيء في داخله ينتظر منه أن يستجيب استجابة

1- محمد أحمد غنيم ، نفس المرجع السابق ، ص 64

منفصلة دون تساؤل عنها و عن وجودها .و تعتبر العادات و التقاليد وسائل للضبط الاجتماعي لأنها توجه سلوك الأفراد وفق السلوك العام للمجتمع و تنظمه و يبقى هدفها الوحيد هو الحفاظ على الكيان العام للمجتمع ، فالعادات و التقاليد هي موجّهات للسلوك لأنها تضبطها و تنظمها وفق ما يقتضيه المجتمع فالضبط الاجتماعي هو الرقابة على الأفراد، هذه الرقابة التي تكون صادرة عن الضمير الجمعي من خلال ممارسة العادات و التقاليد، فهذه العادات و التقاليد ما هي إلا تجسيد عميق عن تمثيلات معقدة تنتجها الجماعة لذلك ممارستها لا تخضع لرقابة مؤسسة، بل لرقابة الأنا الأعلى وهو الوعي الجمعي و الضمير الجمعي الذي يعتبر الضابط الوحيد لسلوكات الأفراد.

7- العادات و المعتقدات :

هناك علاقة جدلية بين العادات و المعتقدات ،ذلك أنه هناك من العادات ما يقوم على أسس إعتقادية أي أنه هناك من العادات ما يقام نتيجة إعتقادات كامنة عند الناس .و يجمع دورسون بين العادات و المعتقدات على اعتبار أن العادة ليست سوى تعبير عن معتقد معين «غالباً ما ترتبط هذه العادات ارتباطاً وثيقاً بمعتقدات عميقة الجذور عند ممارستها، و تعتبر في حد ذاتها نوعاً فلكوريا مستقلاً»¹ كما أنه أشار العديد من الباحثين إلى علاقة العادات بالمعتقدات و اعتبروا أن مجمل العادات تنطوي على فعل مادي ملموس ، و على معتقد مشترك و على شيء مادي ، و هذا ما يجعل العادة أحياناً تصل إلى درجة التقديس من طرف الناس، و هذا ما يفسر خوف الناس من عدم القيام بعادات أجدادهم قد يؤدي بهم إلى التعرض إلى السوء، و تصبح المعتقدات أعرافاً تتوارثها الأجيال و تصبح جزء من عقيدة هذه الأجيال. لأن المعتقد ما هو إلا مجموعة من المعلومات و المعارف المتراكمة في ذاكرة الأفراد عن حياتهم و بيئتهم و علاقاتهم مع بعضهم البعض، و التي تشكل في حد ذاتها الإطار المرجعي لكل مظاهر سلوكهم . لأن من المعتقدات ما هي مترسخة في أذهان الناس و من الصعب التخلص منها و ذلك لتسليمهم بيقين هذه المعتقدات .

و تستمر العادات مادامت متعلقة بالمعتقدات كموروثات ثقافية و يتناقلها الأجيال عن بعضهم البعض «الممارسات و المعتقدات و العادات و الأفكار هي الحقائق التي تكون المورثات الثقافية و التي لازلت مستمرة بحكم العادة في مجتمعنا المعاصر يتلقاها جيل عن جيل»² فالعادات تنسخ في الذهن عندما تتعلق بمعتقد

1- محمد الجوهري ، علم الفولكلور مرجع سبق ذكره ص 70

2- فوزي العنتيل ، الفكلور ماهو ؟ دراسات في التراث الشعبي ، دار الميسرة ، القاهرة

II - التقاليد:

1- مفهوم التقاليد:

تقاليد في اللغة الانجليزية مشتقة من الأصل اللاتيني لكلمة trade و تعني النقل و التجارة و في الانجليزية trade هي نقل الشيء من مكان إلى آخر ، و تقليد في اللغة العربية مصدر من الفعل قلّد و لغة هو ما انتقل إلى الإنسان من أبائه و معلميه و مجتمعه من العقائد و العادات و العلوم¹ فنقول قلّد فلانا أي تبعه و حاكاه فيما يقول أو يفعل ، أما اصطلاحاً فالتقاليد هي عبارة «عن مجموعة من قواعد السلوك التي تنشأ عن الرضا و الاتفاق الجمعي، و هي تستمد قوتها من المجتمع و تحتفظ بالحكم المتركمة و ذكريات الماضي التي مر بها المجتمع يتناقلها الخلف عن السلف جيل بعد جيل»² فالتقاليد هي كل ما انتقلت عليه الجماعة ودلّ على الماضي و القديم ،حيث تتناقل من الخلف إلى السلف لذلك هي عادات اجتماعية تقليدية ذلك لأنه عندما يستمر استعمال العادات الاجتماعية لفترات طويلة تصبح تقليدا . « التقاليد عادات مقتبسة اقتباساً رأسيّاً أي من الماضي إلى الحاضر ثم من الحاضر إلى المستقبل ،فهي تنقل وتورث من جيل لآخر و من السلف إلى الخلف على مر الزمن »³ فالتقاليد هي بمثابة القواعد التي تحقق النظام الداخلي للمجتمع البشري . « فالتقاليد هي النظام التطبيقي المتفق عليه من الناس و الذي يؤدي إلى الاتساق بين أفعال الناس و بين بعضهم بعض »⁴ ترتبط التقاليد ارتباطاً وثيقاً بالماضي و الأجداد و هي تعبير جلي

1- فؤاد إفرام البستاني ،منجد الطلاب ، مرجع سبق ذكره ، ص 609

2-حسن عبد الحميد أحمد رشوان ، الثقافة دراسة في علم الاجتماع الثقافي ، مرجع سبق ذكره ص 159

3-فوزية ذياب مرجع سبق ذكره ص 164

4-رفيق حبيب، في فقه الحضارة العربية الإسلامية إحياء التقاليد العربية، دار الشروق للنشر و التوزيع ، الأردن، 2003 ص 13

للامتثال للأجداد و ذلك من خلال المحاكاة لسلوكهم ،و بذلك يحدث التزاوج بين قيم الحاضر و قيم الماضي بعاداته و تقاليده«الشيء الأساسي في نقل السلوك المكتسب هو في الحقيقة l'aptitude لكل جيل في تبني عادات الأجيال السابقة»¹ و ما المحاكاة إلى طريقة يتبنى من خلالها الخلف طريقة السلف . و التقاليد في المفهوم الديني و الاجتماعي تؤكد فكرة الوديعه أو بالأحرى، ما يسلمه الجيل القديم إلى الجيل الجديد للحفاظ عليه من عادات و غيرها ،أي ما يودع عند جيل للمحافظة عليه و حمايته و هذا ما يفسر كون الأبناء يقومون بتقاليد أجدادهم، ليس خوفا منهم بل بدافع المحافظة على تلك الوديعه و الامتثال لما تركه أجدادهم ،و بالتالي ما يجسد الامتثال للعلاقات و التفاعلات الاجتماعية rapports sociaux وهذا ما يعطيها صفة القداسة «العلاقة بالأجداد تعني رمزيا الامتثال للعلاقات و التفاعلات الاجتماعية rapports sociaux الموجودة و يفسر في لغة المقدس»² و تتميز التقاليد بصفة التوريث فالتوارث أهم خاصية في التقاليد، لأنها لا تنتقل من جيل لآخر إلا عن طريق التوارث كما أنها تتميز بميزة التحفظ من جانب الأسلاف المورثين، في نقل و توصيل العادات التي يستحسنونها إلى الخلف، أي التمسك بهذه العادات و الحرص عليها من طرف الخلف. و هذا ما يظهر التقبل الواعي لهذه العادات القديمة، و تقبلها برغبة ممارستها مع الشعور بالإعجاب بها و الاعتزاز بها و هذا ما يفسر طغيانها و سيطرتها على حياة الناس حيث تقيد سلوكهم و تتدخل في كل أنواع النشاط المتبادل بينهم .

1- Ralphe Linton, De L'homme , opcit, p 95

2- Geoges Balandier , opcit ,p 227

2- أهمية التقاليد :

تمثل التقاليد روح الأمة لأنها مهمة في تسيير حياتهم اليومية ، و تعطي لهم قوانين و نظم لذلك، هي نظم متواجدة قبل وجود الإنسان ، لأنها تعطي للفرد مجموعة من الأنماط السلوكية المتفق عليها حتى يتبعها لكي يتمكن من تحقيق الحاجات الإنسانية ، و بذلك هي ترسم له الأساليب و التصرفات التي تسمح بالتفاعل ، لذلك تعتبر عاملا أساسيا في الحفاظ على التماسك الاجتماعي و ذلك لأنها تمثل قيم و معتقدات القداماء التي يتوارثها الأجيال ، و التي تنتشر في الجماعة لذلك هي تقوم بدور النظام الاجتماعي و الأخلاقي و الاقتصادي و بالتالي فهي تجسد نظاما غير رسمي أو ما يطلق عليه نظام عرفي يتفق عليه ، هذا النظام الذي يتحكم في الأفراد و يسيير حياتهم لأن كل ما يصدر من الأفراد من سلوكيات هو نابع من النظام العرفي للتقاليد ، و الذي ينظم سلوك الأفراد و يسمح التفاعل بينهم . و تحظى التقاليد بالتقدير و التبجيل، لأنها تمثل التاريخ الأساسي لماضي أي شعب، هذا التاريخ المشترك بين جميع أفراد المجتمع و تعبر عن مظاهر السلوك الجمعي المتكرر، و أساليب الناس الجمعية في العمل و التفكير تغذيها الذاكرة الجمعية و يحميها الضمير الجمعي لأن الذاكرة هي التي تحتفظ في الحاضر بما أنجزه الأجداد من خبرات في الماضي و بالتالي تحتفظ بالتاريخ المتوارث « التقاليد تظهر في أن واحد داخل الوعي الجمعي و الفردي و داخل العلاقات و التفاعلات المكونة للحياة الاجتماعية»¹ فالتقاليد تعكس لنا قيم الأسلاف و معتقداتهم و تصوراتهم الجماعية أي هي المرآة العاكسة للماضي و الذي تجعله يتجسد في الحاضر، و يتعرف عليه الخلف حيث يستمر بوجودها و تكرارها الماضي ، هذا الماضي الذي لا يبقى إلا بوجود ذاكرة جماعية و هنا

1- Geoges Balandier , Ibid, p 222

تظهر أهمية التقاليد وحسب لفي بروهل Levy Bruhl «الماضي عند المجتمعات التقليدية و الذي تحفظه الذاكرة الجمعية، لا يتوسع أبدا إنه يفقد للتعلم فيصبح ميكرو- تاريخي معبر عن الروايات أو النوادر anecdotique»¹ وهذا ما يفسر كون التقاليد تترسخ في الذاكرة الجمعية، التي تجعلها أمرا أساسيا و تاريخ أمة ،حتى أنها لا تعرف أي توسع بل تقتصر على ما هو محتفظ به ومنتقل بفضل القصص و الروايات أي التراث الشفهي من جيل لآخر .

1- Geoges Balandier , Ibid , p 204

3- خصائص التقاليد :

تعتبر التقاليد أهم ما يثوارته الأجيال لأنها تنتقل من السلف إلى الخلف، يتمسك بها أبائنا و نولد نحن فنجدهم متمسكين بها و حريصين على القيام بها «لذلك كان أصعب دور كلف به الأنبياء و الرسل تغيير عادات القوم المتوارثة أي تقاليدهم»¹ لذلك أهم خاصية تمتاز بها التقاليد هي أنها متوارثة . كما أنها مقصودة لأنها عملية نقلها من السلف إلى الخلف تكون بطريقة متعمدة و مقصودة بواسطة عملية التنشئة الاجتماعية ، و يتقبل الخلف هذه العادات و يحرصون على القيام بها و هذا يدل على مدى تقبلهم الواعي لهذه العادات هذا التقبل الذي يكون بإرادتهم دون الاعتراض عليه، و يمارسها الخلف و هم يشعرون بأهميتها و معجبون بها لأنها من مخلفات الأجداد الذين نعتز بهم و نفتخر . و تبقى التقاليد بذلك ثابتة من الصعب تغيير، و ذلك لأننا نتمسك بها تأتينا من أجدادنا و آبائنا و نحفظ بها فتستقر في سلوكنا و لايمكن أحد من تبديلها، لذلك تعتبر التقاليد في مفهومها الاجتماعي وديعة أي عادات يتمسك بها الجيل الجديد عن الجيل القديم على شكل وديعة² و عند القيام بها يشعر الفرد بالراحة و الاطمئنان لأنهم امتثلوا للسلوك العام الذي يرتضيه المجتمع فيكتسبون رضى الجماعة التي يعيشون فيها .ومن خصائص التقاليد أنها عادات جماعية و قواعد سلوكية تنظم الجماعة لأنها تترسخ عن طريق الرمزية ، فلا يمكن للجماعة أن تحتفظ بوحدها و تماسكها دون أن يكون لها شعائر و رموز، تعمل على أن تغرس في نفوس الأفراد ما تحمله من معاني ودلالات و ما تنطوي

1-حسن الساعاتي ، علم الاجتماع القانوني، ط3 ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة 1968، ص51

2- مصلح الصالح ، الضبط الاجتماعي ، الوراق للنشر و التوزيع، الأردن، 2004، ص205

عليه من قوة و ما تلعبه من دور في تدعيم التربية الاجتماعية عن طريق صيانة الآداب العامة الضابطة، و تصرفات الأفراد المنتمية إلى تلك الجماعة أو المؤسسة ١ ، و إضافة إلى ذلك تتميز بكون التقاليد تتصف بخاصية القهر و الإلزام حيث أنها قوى قهرية و إلزامية و يظهر ذلك في الجزاءات التي تنتظر كل من يخرج عنها أو ينتهكها لذلك تشكل دستوراً يقوم عليه النظام الإجتماعي .

1- أحمد الخشاب، الضبط الاجتماعي ، أسسه النظرية و تطبيقاته العلمية ، ط2، مكتبة القاهرة الحديثة ، القاهرة ، 1968، ص 144-145

4- التقاليد و الجماعات :

تعتبر التقاليد مجموعة من العادات التقليدية المتوارثة التي تمارس ضغطا شديدا على الإنسان، كما أنها في نفس الوقت تنشأ من الاتفاق في أوساط الجماعة الواحدة، و هي تعتمد في فرض سلطتها على قوة الرأي الجمعي و هي كذلك صفة مميزة للجماعة التي تعمل بها ، و يظهر تماسك الجماعة من حيث احترام هذه الأخيرة للتقاليد و حرصها على تحقيق قوتها و غلبتها الذاتية . و اشتراك الأفراد في نفس التقاليد يولد بينهم الشعور بالوحدة و المصير المشترك و بالتالي إلى الشعور الجمعي، أو تتكون داخل الجماعة ما يسمى بروح الجماعة حسب Linton و الوجدان الجمعي حسب دور كايم و القيام بالتقاليد داخل الجماعة يولد في الفرد الشعور بالانتماء إليها و الرضي عنه من قبلها و حسب دور كايم «إن الشعور بالانتماء إلى جماعة و بكونه يكون مقبولا من طرفها يعد من أهم منابع الإرضاء بالنسبة إليه »¹ و هذا كله يبين أن التقاليد هي قوة اجتماعية ، لأنها صادرة عن روح الجماعة لذلك فقد اعتبر بعض المفكرين أمثال هوبهاوس Hob House أن تقليد السلف هو غريزة المجتمع لذلك هي تشكل "نمط سلوكي يتميز عن العادة فإن المجتمع يقبله عموما دون دوافع أخرى عدا التمسك بسنن الأسلاف " ² و من الأساليب التي تتخذها الجماعة لتحفظ تقاليدها و تنبثها في نفوس الأفراد ، الشعائر و الطقوس و الرموز كمارسات فعلية تساعد الجماعة على حماية تقاليدها و ترسيخها .

1-باساغانا، مبادئ في علم النفس الاجتماعي ، ترجمة أبو عبد الله غلام الله ، ديوان

المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1983، ص 172

2-إيكة هولتركرانس ، قاموس المصطلحات الأثنولوجيا و الفلكلور، ج1 المفاهيم العامة في

الأثنولوجيا ، ترجمة محمد الجوهري ، حسن الشامي ، دار المعارف ، القاهرة ، 1973 ،

ص 125

5- الفرق بين العادات و التقاليد :

يمكن تحديد الفروقات بين العادات و التقاليد في إطار ما نعايشه يوميا ، و لكن تذكر قواميس علم الاتنولوجيا ، أن لفظي العادات و التقاليد مفهومان مترادفان في الغالب و يرى إدوارد سابير Sapir « تستخدم العادات للدلالة على مجموعة الأنماط السلوكية التي يحملها التراث و يستمر احترامها لدى الجماعة في مقابل النشاط العشوائي للشخص »¹ و يرى معظم الباحثين في كون العادات و التقاليد تتشابه و لو كان في جوهرها فروق، ذلك أن كليهما يعتبران ممارسات جماعية تلازم الحياة الاجتماعية اليومية و تقوم على أساس مجموعة من السلوكيات التي يتبناها الأفراد في مختلف المناسبات . حيث تشكل هذه السلوكيات أنماط معيارية لها رمزية أخلاقية و بالتالي فكلاهما له نفس الوظيفة تتمثل في تزويد المجتمع بالاستقرار ، و هذا ما يجعل العادات و التقاليد تأخذ في المجتمع مكانة تكون أقوى من القانون ، لأنها تحقق الانتظام للسلوك الاجتماعي لذلك يشعر الفرد بالخوف و القلق من الخروج عن إطار العادات و التقاليد .

وتكمن فروقات العادات و التقاليد في كون التقاليد تعني إنتقال العادات من جيل إلى جيل ، و العادات تتعلق بالسلوك الخاص ، أما التقاليد تتعلق بالسلوك العام للمجتمع إضافة إلى كون التقاليد عادة فقدت مضمونها فيمارسها الإنسان بغرض المحافظة، لذلك هي تعتبر من الرواسب الثقافية للمجتمع ، و العادات تتغير باستمرار نتيجة عدة عوامل أهمها الاحتكاك بالثقافات الأخرى ، في حين تبقى التقاليد ثابتة حتى تحفظ تماسك الجماعة. و التقاليد هي أنماط من السلوك تعتمد

1-محمد الكتاني ، العادات و التقاليد و الهوية الوطنية ، العادات و التقاليد في المجتمع المغربي ، ندوة لجنة القيم الروحية و الفكرية ، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية سلسلة ندوات مطبوعة المعارف الجديدة ، 2008،ص32

على الطقوس و الرموز ذات طابع شعبي و بذلك تبقى راسخة في وعي أولا و عي الجماعة التي تتناقلها من جيل لآخر .
نشعر نحوها بقدر كبير من التقديس حتى لا نستطيع الابتعاد عنها و يمكن توضيح هذه الفروقات من خلال الجدول التالي:

التقاليد	العادات الاجتماعية
يقدها الناس ولا يمكنهم الابتعاد عنها	لا يقدها الناس
سلوك يقبله المجتمع دون معارضة	توجد حسب الحاجة
يكون عادة تم يصبح تقليدا عندما تصبح العادة ملزمة	تكون عادة فردية أو جماعية
التقاليد ثابتة تحفظ بها الذاكرة الجمعية	العادات قد يتغير شكلها بفضل التبادل الثقافي

و لكن هناك عادات مستحدثة تتدخل في المجتمع و تفرض وجودها ، و تسمى بالموضات و هذه العادات تختلف كثيرا عن التقاليد و يوجد فروقات كبيرة بينهما :

الموضات	التقاليد
تنتقل بشكل أفقي عن طريق وسائل الاعلام	تنتقل بشكل عمودي من جيل لآخر
تتصف بالحدثة	تتصف بالأصالة
متغيرة و ليست ثابتة	دائمة و مقدسة
تتأثر بها فئة قليلة	يتأثر بها كل أفراد المجتمع
لا تساهم في الضبط الاجتماعي	تساهم في الضبط الاجتماعي
لا نتلقاها من خلال عملية التنشئة الاجتماعية	نتلقاها من خلال عملية التنشئة الاجتماعية
لا تثير الخوف في نفوس الأفراد لأنها ليست جزءا من هويتهم الثقافية	يخشها الفرد لأنها أحد مقومات الهوية الثقافية

و نستخلص أن التقليد أكثر قوة من العادة خصوصا العادات المستحدثة لأن التقليد هو بمثابة القانون الذي ينظم المجتمع .

6- الفرق بين الأعراف و التقاليد :

الأعراف و التقاليد تعتبر من أنواع العادات و لكن هناك بينهما فروقات :
-الأعراف عبارة عن عادات تقتبس أفقيا داخل الجيل الواحد ، إذ تنتقل العادات من مكان استحدثها إلى أماكن أخرى و مع الزمن يقوم بها جميع أفراد الجماعة في المناسبة نفسها سواء بعد اقتناعهم بها أو لأنهم يرغبون في التقليد فيصبح بعد ذلك إتباع هذا الإجراء أمرا مقبولا بين الناس و بذلك يتكون العرف . أما التقليد فهو عادة مقتبسة رأسيا من الماضي إلى الحاضر و من الحاضر إلى المستقبل فهي متوارثة عبر الزمن من جيل لآخر .

- يختلف العرف عن التقليد في درجة الإلزام وفي عموميته فالتقاليد، عادات تهم جماعة معينة لذلك هي ضيقة النطاق يعتبر العرف قانون يعاقب من لا يخضع له و قد تكون العقوبة أحيانا القتل أو الطرد من الجماعة ، تعمل التقاليد على تدعيم الجماعات و مراعاة مصالحها و قد تتعارض أحيانا مع القانون، أما العرف فهو يهدف إلى حفظ كيان الجماعات كلها لذلك هو يتوافق مع القانون لأنه يعمل على تنظيم المجتمع و يضمن تلاحمه .

7- رمزية العادات و التقاليد في الأسرة الجزائرية :

إن العادات الإجتماعية و التقاليد ماهي إلا إمتداد للماضي تتوارثها الأجيال فيما بينها و تحافظ عليها، و تمثل العادات و التقاليد عند مجتمع البحث الأساس الذي يربطهم بالماضي و القيام بها ما هو إلا ولاء للأجداد

" كانوا والدينا ديما يحكيونا على عاداتنا ،باش نديروهم

على بيها العادات و التقاليد تربطنا بجدودنا راحنا نديروها

ونتبعوهم باش مانخرجوش على سيرتهم و يفكرون بهم "

(المقابلة رقم 19)

" كان أولياؤنا دائما يحكون لنا عن عاداتنا كي نقوم بها ،

لذلك العادات و التقاليد تربطنا بأجدادنا نحن نقوم بها

و نتبعهم في ذلك كي لا نبتعد عن سيرتهم و نتذكرهم "

فالعادات الإجتماعية تقوي الصلة بما هو قديم و تربط الفرد بأبائه و أجداده ،

وتجعله دائم الإرتباط بهم ، يسير على سلوكاتهم و يحافظ عليها و هذا ما يؤكد

مبحوث آخر

" العادات كي نسمعوها نتفكروا ناس بكري والدينا

و جدودنا لخطرش هما اللي خلونا هذه العادات باش

نتبعوهم و نديروها وهكذا نبقاو ديما متواصلين ، هذ

العادات يخليونا متماسكين مع بعضنا بعض لخطرش ديما

يفكرونا بالماضي نتاع جدودنا " (المقابلة رقم 07)

" لما نسمع العادات نتذكر الأسلاف أولياؤنا و أجدادنا لأنهم

هم الذين تركوا لنا هذه العادات كي نتبعهم ونقوم بها وهكذا

تبقى بيننا أوامر التواصل ، هذه العادات تجعلنا متماسكين

مع بعضنا البعض لأنهم دائما تذكرنا بماضي أجدادنا "

وحسب المبحوثين في مدينتي وهران وندرومة فإن العادات الإجتماعية و التقاليد ترمز إلى الماضي و الأسلاف، وما القيام بها إلا رغبة منهم في المحافظة على التراث المتنقل الذي يوحدهم و يوحد ذهنياتهم و يجعلهم مرتبطين متماسكين، مما يدل على أن العادات الإجتماعية تكون الرباط الإجتماعي و تزيد في تماسكه.

" يحافظوا الناس على عاداتهم باشيقعدوا مترابطين و متماسكين و تقوى المصادقية نتاعهم لخطرش العادات هي اللي تخلي الناس يتقاربوا و ويشتركوا في نفس التقاليد " (المقابلة رقم 18)

" يقوم الناس بالعادات حتى تبقى بينهم اللحمة و يترابطون و يتماسكون و تقوى المصادقية بينهم لأن العادات هي التي تجعل الناس يتقاربون و يشتركون في نفس التقاليد "

فإستمراية العادات ترجع إلى كونها مترسبة عن الأجداد ويقول تونيس "ما مسايرة العادات و مطاوعتها إلا مجرد حالات خاصة للطاعة و المحاكاة ، اللتين عن طريقهما يتبع الصغار الكبار و الأتباع أسيادهم و يتعلمون منهم و هذا قانون من أعم قوانين الحياة الإجتماعية بل هو روح التقاليد في الحياة و الفن " 1 و بالتالي فهو يؤكد على ان القيام بالعادات و التقاليد و الحفاظ عليها ناتج عن تقديس الأحياء لموتاهم، حيث يكون هذا التقديس مزيج من الإعجاب و الخوف ، إعجاب بأعمال الأجداد مما يحتم القيام بها و الخوف من تركها و نيل الجزاء و العقاب من المجتمع ، لذلك يمثل الأسلاف الرموز التي تتجسد في الذاكرة الجمعية و التي تسير المجتمع بطريقة غير مباشرة وفق قانون

1- فوزية ذياب ، مرجع سبق ذكره ، ص155

لا متناهي من القيم و المعايير. و حتى يضمن الأفراد انتماءهم لهذا المجتمع عليهم أن يعملوا بهذا القانون غير مرئي و الذي وجدوه في المجتمع و ليس لهم الحق في رفضه ، بل ينبغي عليهم أن يتبنوه و يتشربونه بحكم السلطة الخفية التي تتحكم فيهم و هي سلطة الأجداد " نستطيع القول أن الأسلاف ليسوا فقط رموز في المجتمع ، رموز السلطة و لكن أيضا منبع لكل سلطة وكل حاجة للخضوع " 1 لذلك فإن في مجتمع البحث القيام بالعبادات و التقاليد ما هو إلا خضوع لسلطة الأجداد ، ليس خوفا منهم بقدر ما هو تقديرا لتقاليدهم و لأن بنية المجتمع الجزائري و العربي الذي يعيشون فيه تفرض ذلك .

1- Georges Balandier , opcit , p226

خلاصة الفصل :

تشكل الثقافة و التراث مصطلحين متلازمين لا يستغني أحدهما عن الآخر ، و ما العادات الإجتماعية و التقاليد إلا ناتج عنهما ووليد لهما، يتوارثها الأجيال و يحافظون عليها و في الحقيقة ما هي إلا إنعكاس لهويتهم الإجتماعية و الثقافية لذلك هذه العادات و التقاليد تشكل و على مرور الزمن قوة و سلطة المجتمع غير المدونة، فتعبر عن روح الجماعة و يعمل الأفراد على الحفاظ عليها لأنها تربطهم بماضيهم و بأجدادهم . لذلك هي تشكل الأساس الأول الذي يقوم عليه التراث في أي مجتمع من المجتمعات .

الفصل الثاني
الأسرة و منظومة المعايير بين التباث
والتغير

تمهيد :

يرتبط نظام الأسرة في أي أمة ارتباطا وثيقا بمعتقدات هذه الأمة و دينها و تقاليدھا و تاريخھا و عرفھا الخلفي و بكل ما تمتاز به شخصيتها الجمعية . و ذلك باعتبارھا من أهم المؤسسات الاجتماعية التي يتكون منها البناء الاجتماعي للمجتمع ، كما أنها تعتبر الإطار العام الذي يحدد تصرفات أعضائها ، لأنها هي التي تشكل حياتهم و تضيف عليها خصائصها و طبيعتها ، لذلك تعتبر عربة الوعي الاجتماعي إذ هي التي تنقل التراث من جيل إلى جيل ، و هي مصدر العادات و التقاليد و العرف و قواعد السلوك ، و هي دعامة الدين و الوصية على طقوسه ، كما أنها تقوم بأهم وظيفة اجتماعية و هي عملية التنشئة الاجتماعية .

لذلك عند دراسة موضوع العادات و التقاليد فلا بد ربطه بالأسرة و البحث فيها لأنها الوعاء الحامل لهذه العادات في كل مجتمع من المجتمعات .

المبحث الأول
الأسرة ومنظومة المعايير
وعملية التنشئة

1- الأسرة :

1- مفهوم الأسرة و تطورها :

الأسرة لغويا كما جاء في لسان العرب¹ مشتقة من الأسر و الأسر لغة يعني القيد ، الأسرة : الدرع الحصينة ، الأسار هو القيد و منه الأسير ، الأسرة عشيرة الرجل و أهله و منه اشتقت كلمة الأسرة فهي الدرع الحصين و هي أهل الرجل و عشيرته . أما اصطلاحا الأسرة تعني معيشة الرجل و المرأة على أساس علاقة شرعية يقرها القانون و الدين و المجتمع و يعرفها بيرجس و لوك « أنها جماعة من الأفراد يربطهم الزواج و الدم و التبني يؤلفون بيتا واحدا و يتفاعلون سويا و لكل دوره المحدد مكونين ثقافة مشتركة»² و لقد نظر العديد من الفلاسفة للأسرة باعتبارها الخلية الأساسية في المجتمع و أولهم أرسطو و أفلاطون اللذان حاولا تكوين المدينة الفاضلة من خلال بناء الأسرة إذ مجد أرسطو الأسرة و اعتبرها أساس قيام المجتمع إذ أنها صورة مصغرة للمجتمع الكبير يتم في إطارها تعليم الفضائل و اكتسابها ، و جاء في معجم علم الاجتماع أن الأسرة هي «مجموعة من الأفراد الذين يرتبطون مع بعضهم البعض بروابط الزواج و الدم و التبني و ذلك من خلال عملية التفاعل الذي يتم بين مختلف الأعضاء الزوج و الزوجة ، الأم و الأب ، الأم و الأب

1- يوسف خياط، لسان العرب ، المحيط العلامة ابن منظور ، دار لسان العرب ، بيروت ، ص 60

2- حسين عبد الحميد أحمد رشوان ، المجتمع دراسة في علم الاجتماع ، مرجع سبق ذكره ، ص 141

و الأبناء ليكوّنوا وحدة اجتماعية لها خصائص معينة»¹ و يعرفها مكيفرو بيج « بأنها جماعة دائمة مرتبطة عن طريق علاقات جنسية بصورة تمكن من إنجاب الأطفال و رعايتهم ، و قد تكون في الأسرة علاقات أخرى و لكنها تقوم على معيشة الزوجيين معا و هما يكونان معا مع أطفالهما وحدة متميزة »² و قد بين هذا التعريف الخصائص البنائية للأسرة ، من حيث اعتمادها على رجل و امرأة ينشأ بينهما إتحاد بصورة يقبلها المجتمع ، و قد عرف لندبرج الأسرة بأنها النظام الأول و من أهم وظائفها إنجاب الأطفال للمحافظة على النوع الإنساني، كما أن النظم الأخرى تمتد أصولها في الحياة الأسرية أي أن أنماط السلوك الاجتماعي و الاقتصادي و الضبط الاجتماعي و التربية و الترفيه تمت أولا في داخل الأسرة " ³ و يمكن القول بأن نظام الأسرة في أمة من الأمم يرتبط ارتباط وثيقا بمعتقداتها، و دينها، و عاداتها و تقاليدها و عرفها الخلقي و ما تمتاز به شخصيتها الجمعية ، أما برتراند Bertrand فعرفها على أنها « جماعة اجتماعية مكونة من أفراد ارتبطوا مع بعضهم برباط الزواج أو روابط الدم و التبني و هم غالبا يشتركون مع بعضهم في عادات عامة

1-Joseph Sumpf et Michel Hugues , Dictionnaire de sociologie
,Librairie Larousse , Paris , 1973 ,p131.

2-عبد الفتاح تركي موسي ، البناء الاجتماعي للأسرة، المكتب العالمي للنشر و التوزيع
بدون تاريخ،ص 16

3-محمد عاطف غيث ، دراسات إنسانية و اجتماعية ،دار المعارف ، القاهرة ،1965، ص

و يتفاعلون مع بعضهم تبعاً للأدوار الاجتماعية المحددة لهم من قبل المجتمع»¹
دور كايم نظر إلى الأسرة من زاوية اجتماعية ذلك أنه جعلها " مؤسسة
اجتماعية يعود تكوينها إلى أسباب اجتماعية لذلك أعضاؤها يرتبطون حقوقياً
و خلفياً بعضهم بعض " 2 و على مر العصور وجد الإلتباس بين مفهومي
الأسرة و العائلة ، و لكن بعد الدراسات توصل المفكرين إلى ربط وجود الأسرة
و تردها في المدينة ، و العائلة وجودها يتردد في الريف و الأسرة هي عائلة
خاضعة لمبدأ التماسك* الداخلي و الخارجي ، فالأسرة هي la grande
famille ، العائلة تقابل la famille بالفرنسية و بالنظر إلى تعاريف الأسرة
يمكن استخلاص مجموعة من المميزات تتميز بها الأسرة كجماعة اجتماعية و
هي :

أنها تتكون من أشخاص تربطهم علاقة الزواج أو التبني و الدم و أعضاء
الأسرة يعيشون في مكان واحد ، الأسرة وحدة للتفاعل المتبادل بين الأشخاص ،
حيث يقوم أعضاؤها بتأدية أدوار متباينة حيث داخل الأسرة يتجسد مفهوم تقسيم
الأدوار بين الزوج و الزوجة و الأب و الأم ، الابن و البنت و الأسرة تتماشى و
تساير المعايير الثقافية للمجتمع الذي توجد فيه .

1- عبد الحميد محمود سعد ، المدخل المورفولوجي لدراسة المجتمع الريفي ، دار الثقافة
للطباعة و النشر ، القاهرة ، 1980 ص 171

2-Emile Durkhiem, La famille conjugale , revue philosophique ,
janvier- février, 1921, Paris ,p6

*التماسك : العصبية عند ابن خلدون

أما سوسولوجيا فقد تعددت الإتجاهات التي درست الأسرة أهمها :

أ- الاتجاه الوظيفي :

و يركز الوظيفيون في تعريفهم للأسرة على أساس وظائف و نشاط الأسرة التي تميزها كنظام اجتماعي عن باقي الأنظمة الاجتماعية، حيث يرى جورج ميردوك أن للأسرة أربعة وظائف عامة الإنجاب ، العلاقات الجنسية ، التعاون في النشاطات الاقتصادية، التنشئة الاجتماعية للأطفال و لكن رايبي ارا حدد وظيفة واحدة للأسرة و ركز عليها و هي التنشئة الاجتماعية فعرف الأسرة أنها « جماعة بنائية قرابية ذات وظيفة رئيسية و مهمة هي تنشئة الولد الصغير »¹ و بالتالي فإن الأسرة تقوم على أساس مبدأ التنشئة الاجتماعية .

ب- الواقعيون و مفهوم الأسرة :

يركز الواقعيون على مضمون الأسرة و التنظيم الاجتماعي داخلها و الأدوار الموجودة في هذا التنظيم لذلك، هم يعتبرون الأسرة جماعة اجتماعية متخصصة، و أدوارها الاجتماعية تنسجم مع مركزها المتطور نتيجة لتنظيمها الخاص و عرفها بيل و فوقال «الأسرة نظام يوجد في أي مجتمع تكون فيه مراكز الأم ، الأب ، الأطفال معروفة مفهوم متعارف عليه من قبل أفراد المجتمع»²

1- الوحشي أحمد بيبي ، الأسرة و الزواج ، مقدمة في علم الاجتماع العائلي ، الجامعة المفتوحة ، الجماهيرية العظمى ، 1998 ، ص 44

2- الوحشي أحمد بيبي ، نفس المرجع السابق ، ص 45

يؤكد هذا التعريف على العديد من المراكز الاجتماعية التي تتدخل فيما بينها ،
و نتيجة ذلك التنظيم الاجتماعي فإن بعض النشاطات و الوظائف تتبع هذه
الأدوار الاجتماعية .

وقد ربط مجمل العلماء بين الاتجاهين و من بينهم مالفينوسكي الذي في نظره
كل وظيفة تحتاج إلى بناء تنظيمي، و كل بناء تنظيمي يعمل على ظهور
مجموعات من النشاط الاجتماعي ، إذ لا يمكن فصل البناء عن الوظيفة .
و الأساس في الأسرة هو أنها تشارك في الثقافة العامة للمجتمع و لكن لها بعض
الخصائص الثقافية الخاصة .

فبالأسرة و إن كانت تلك العلاقات المنظمة بمفهوم الزواج و مؤسسة اجتماعية ،
فإنها في الوقت ذاته تشكل الروابط التي تنتظم مع الزمن ، لأن على طول
الزمن الذي تتشكل فيه الأسرة ، تتشكل معها مجموعة من الروابط و العلاقات
التي تدخل في إطار النسب و التي تعتبر مصدرا لتقوية روابط القرابة ،
فبالأسرة و إن كانت مؤسسة تقوم بإعادة تجديد الأجيال ، فهي كذلك فضاء تتم
داخله عملية نقل الماديات و اللاماديات أي الثقافة عموما ، و هذا ما يؤكد
استمرارية الأسرة و هذا ما يجعلها كذلك الحارس و الحريص على ممارسة ما
تلقنه لأفرادها و تنقله إليهم ، فهي تمارس الرقابة على جل المعايير التي
تنقلها لأفرادها لذلك هي مركز السلطة الاجتماعية في أي مجتمع ، كما أنها
كل ما سبق يجعلها مرتبطة بالأشكال المادية و الرمزية التي تتكون على مر
الزمن ، و هذا يظهر من خلال مفهوم الرباط الذي يتكون بين أفرادها . و عليه
نستخلص أن الأسرة تمزج بين الطبيعة و الثقافة، فإلى جانب الرابطة البيولوجي
الذي يربط أفرادها يربطهم الرابطة الثقافي . فمفهوم الأسرة هو مفهوم
متغير حسب السياق السوسيو – تاريخي فبورديو Bourdieu اعتبر الأسرة
مبدأ جماعي يقوم ببناء واقع جماعي خاص به .

وقد تطور مفهوم الأسرة إذ يعتبر نظام العشائر من أقدم المجتمعات البشرية، وكانت هذه العشائر مختلفة في عدد أفرادها ، حيث أن الترابطات شبه الأسرية التي تنطوي عليها هذه العشائر كانت ضيقة النطاق لا تعدو الرجل وبعض النساء أو أطفالهم وقامت هذه الترابطات بدورها على أساس الزواج الأحادي و أحيانا على تعدد الزوجات ، و قد اتفق علماء الاجتماع على ظهور أول شكل في الحياة الاجتماعية نو طبيعة دينية عائلية، و أطلقوا عليه اسم العشيرة ، و كان جميع أفراد العشيرة يرتبطون ببعض البعض بواسطة رابطة القرابة و التي لم تكن قائمة على أساس رابطة الدم ، بل على أساس الانتماء إلى طوأم واحد . و كانت العشيرة تمثل مجتمع عائلي يتألف من أفراد يعتبرون أنفسهم منحدرين من أصل واحد ، و كانت القرابة قائمة على أساس الظواهر و غالبا ما تكون للأم، إذ يعتنق الطفل ظواهر أمه و داخل هذه العشائر كان القانون السائد هو قانون العرف، و العادات و التقاليد الذي كان يمثل الدستور الموجه لسلوك الأفراد و المحاط بالمحرمات و الممنوعات tabou و العشيرة هي التي كانت تجتمع لتصدر القرارات في حق أفرادها ، و باسم الأعراف و التي كانت تصل إلى حكم القتل أحيانا . و مع تطور المجتمعات و معرفتها لحالة الاستقرار تطور نظام الأسرة ، و عرفت النظام حيث اكتشفت سيادة الأب خصوصا بعد انتقال النسب من الأم إلى الأب و تحول النظام الأمومي إلى نظام بتركيبي ، و مع ظهور المجتمع اليوناني و الروماني حيث ظهر ما يعرف باسم كبير العائلة و سلطته على الأفراد داخل الأسرة، حيث أصبحت له القدرة و السلطة على التصرف في الأسرة، و تحديد مصيرها و بنيتها و نسبها و أصبح يتحدد إطار الأسرة و تطور مفهومها لتشكل مجتمعا سياسيا مصغرا.

2- مفهوم الأسرة أم مفهوم العائلة :

يجد الباحث نفسه دائما أمام نسق من المفاهيم التي تتشابك في معانيها ، من بينها " الأسرة و العائلة " لذلك يجد نفسه في دراسته يستعمل حيننا لفظ أسرة و حيننا لفظ عائلة فما هو التعبير الأقرب للاستعمال ؟ للإجابة على هذا السؤال فإنه ينبغي التطرق إلى المفهومين خصوصا في اللغة العربية لأن في اللغة الفرنسية مفهوم famille معبر تماما عن المعنى المقصود و لا يوجد أي التباس في المفهوم . فالعائلة مصطلح يتمتع بالخصوصية ، ذلك أنه يشير إلى مفهوم أعمق ، لأنه يعبر عن الأسرة المكونة من زوج و زوجة و أولادهما الذكور و الإناث غير متزوجين و الأولاد و زوجاتهم و أبنائهم و غيرهم من الأقارب كالعم و العمة و الابنة الأرملة إلخ حيث يقيمون كلهم في بيت واحد يسمى الدار الكبيرة في الجزائر ، حيث يشترك كل هؤلاء في الحياة الاقتصادية و الاجتماعية تحت رعاية رئيس العائلة ، لذلك فالعائلة تعبر في مضمونها عن الأسرة الممتدة ، كما أن ليست بحاجة في ذكرها إلى إلحاقها بصفة محددة كالإحاقها بصفة ممتدة للدلالة على الجماعة المنزلية "مصطلح عائلة فلا يحتاج إلى صفة تابعة ليبدل على الجماعة المنزلية المرتبطة الوجود بالحياة التقليدية و التي تميزها عن غيرها"1 كما هو في مصطلح الأسرة ، لأن المصطلح لا تحدد دلالاته إلا بصفة تلحقه تحده و تعبر عنه ، و يبقى مصطلح العائلة يحيل إلى الجماعة التي يرتبط وجودها بالمجتمعات التقليدية . وحين العودة إلى التاريخ الإنساني ، فإن مصطلح العائلة كان غائبا في اللغة العربية سواء قبل الإسلام أو بعده ذلك لأنه ما تردد

1- محمد حمداوي ،البنيات الأسرية و متطلباتها الوظيفية في منطقة بني سنوس في النصف الأول من القرن العشرين ، قرى العزائل نموذجا ، دكتوراه دولة في علم الاجتماع ، جامعة وهران السانوية ، دورة جوان 2005، ص197

في الموسوعة العربية هو لفظ العشيرة و القبيلة، الذي تطور بعد ذلك ليشمل مفهوم العصبية التي أشار إليها ابن خلدون في دراساته كتعبير على الروابط الإجتماعية التي كانت تربط أفراد المجتمع ، و لكن حضور هذا المصطلح كان بمعنى آخر ، وهو المعبر عن العائل الذي ذكر في القرآن الكريم و الذي يشير إلى الشخص الفقير، قال تعالى " ووجدك عائلا فأغنى "1 لتتحول بعد ذلك الكلمة إلى مصطلح العائلة. و عموما فإن مصطلح العائلة هو مصطلح شامل و عام لأنه معبر عن الأسرة التقليدية التي كانت سائدة و لا تزال. في حين مصطلح الأسرة هو مصطلح معبر عما يلحقه من صفة ، ذلك أن العائلة تضم بداخلها مجمل أنواع الأسرة التي عرفت على مر العصور ، من نووية و ممتدة و مركبة ، حيث عند التطلع على العائلة التقليدية فإن شكل الأسرة النووية موجودة داخلها بزواج الأبناء، و شكل الأسرة الممتدة موجودة بداخلها، ذلك أنه الفرق يكمن في التبعية الاقتصادية و الاجتماعية الموجودة داخلها و انتظامها تحت رئاسة القائد الأكبر و هو صاحب السلطة .

3- وظائف الأسرة و أنماطها :

تعتبر الأسرة الخلية الأولى المكونة للفرد من الناحية السيكولوجية و الثقافية و الأخلاقية ، لذلك هي تلعب دورا أساسيا في تحديد و تشكيل نمط السلوك الذي يريده المجتمع في الفرد . و كانت للأسرة نظرا لهذا الدور الذي تلعبه عدة وظائف ، ومع تطور المجتمع تراجعت هذه الوظائف و كانت هذه الوظائف مؤشرا لبعض الأدوار التي يمارسها أعضائها .و تختلف هذه الوظائف من مجتمع لآخر و من زمن لآخر، و يرى علماء الاجتماع أن الأسرة قديما كانت تقوم بجميع الوظائف و من ذلك استمدت قوتها و احترامها و هذه الوظائف هي

- الوظيفة الاقتصادية :

كانت الأسرة قديما تمثل وحدة مكثفيه بذاتها كانت تستهلك ما تنتجه ،لذلك كانت تكفي نفسها بنفسها .

- وظيفة منح المكانة

كان أفراد الأسرة يستمدون مكانتهم الاجتماعية من مكانة أسرهم في الوقت الذي كان اسم الأسرة يحظى بأهمية كبيرة، حيث أن مكانة الفرد لم تكن تحدد كفرد منعزل عن مجتمعه و لكن ينظر إليه كعضو في الأسرة أي اسم الأسرة هو المحدد لمكانة الأفراد . وحتى الزواج في الماضي واختيار العروس و القبول كان يتحدد باسم الأسرة و مكانتها و هذا دليل على المركز الذي كانت تحتله الأسرة كمؤسسة اجتماعية تنشؤية .

- الوظيفة التعليمية و التربوية :

كانت الأسرة على مر العصور الوحيده التي تشرف على تربية الأطفال و تعليمهم، لذلك كانت تشكل مؤسسة أساسية في المجتمع فعلى مر العصور

و الحضارات ابتداء من المجتمع البدائي احتلت الأسرة مكانة أساسية كمؤسسة
تربوية تهتم بتربية الأطفال و تنشئتهم و تعليمهم .

- وظيفة الحماية :

كانت الأسرة توفر لأفرادها الحماية ، لأن الأب لم يكن يمنح لأطفاله الحماية
الجسمانية فقط و إنما الحماية من كل الجوانب، لذلك كانت الأسرة المحكمة
الفاصلة في النزاعات خصوصا و أن الأب كان يمثل مركز السلطة في الأسرة .

- الوظيفة الدينية :

الأسرة كانت تبلغ قواعد الدين و الناقله لشعائره و أحكامه و الحريضة على
القيام بها .

- الوظيفة الترفيهية :

كان الترفيه يقام داخل الأسرة حيث يقضي الأفراد أوقاتهم داخل البيت في
التسامر مع بقية أفراد الأسرة . لقد ظلت الأسرة تقوم بهذه الوظائف منذ العصور
الغابرة لذلك أخذت الأهمية في المجتمعات الأولية بصفتها تضمن لأفرادها كل
الحاجيات الأساسية لأجل ضمان الحياة و أولها الحماية ، ولكن مع التطور
الذي عرفه المجتمع حدث تغيير في وظائف الأسرة، خصوصا مع ظهور
المؤسسات و لكن رغم فقدان الأسرة لبعض وظائفها فهي لازالت عاملا هاما
من عوامل التنشئة الاجتماعية كما أنها لازالت تعمل على تلقي أفرادها قيم
و معايير المجتمع و عاداته و أعرافه ، لذلك مازالت تقوم بعملية الضبط
الاجتماعي و من هنا يتحدد دور الأسرة كإطار عام الذي يحدد تصرفات أفرادها
فهي التي تشكل حياتهم و تضي عليها خصائصها و طبيعتها ، و تمثل الأسرة
عربة الوعي الاجتماعي لأنها الناقله للتراث من جيل لآخر كما أنها مصدر

نقل العادات و التقاليد و الأعراف و قواعد السلوك كما أنها دعامة الدين والوصية على طقوسه .

والأسرة أنماط مختلفة حيث يتحدد نمط الأسرة من خلال وظائفها و من خلال ظروفها و بيئتها و ثقافتها ، و قد حدد علماء الاجتماع و الأنثربولوجيون و على رأسهم جورج ميردوك أنماط الأسرية في ثلاثة أنواع هي الأسرة النووية ، الممتدة و المركبة .

أ- الأسرة النووية :

لقد اتفق علماء الاجتماع على أن الأسرة النووية هي التي تتكون من الوالدين و أبنائهم غير المتزوجين و بذلك هي تمثل جماعة اجتماعية مكتفية بذاتها ، و تشكل النواة الأولى للمجتمع الإنساني لذلك هي تعرف على أنها « جماعة صغيرة تتكون من زوج و زوجة و أبناء غير بالغين و تقوم كوحدة مستقلة عن باقي المجتمع المحلي، و يعتبر هذا الشكل الخاص من أشكال الأسرة من أهم خصائص المجتمع الصناعي الحديث ،لأنه يعبر عن الفردية التي تنعكس في حقوق الملكية و الأفكار و القوانين الاجتماعية العامة حول السعادة و الإشباع الفردي»¹ و قد أكد جورج ميردوك بعد ما قام به من دراسات حول 250 مجتمع مختلف في العالم أن الأسرة النووية تتواجد كجماعة وظيفية في كل المجتمعات الإنسانية، و تتصف بالعالمية لأنها تقوم بأهم الوظائف و هي الإنجاب و التنشئة الاجتماعية ، حيث لا تظهر الأسرة النووية و

1- محمد بوخوف ، نمط الأسرة الجزائرية و محدداته دراسة إحصائية و تحليل نظري ، التغيرات الأسرية و التغيرات الاجتماعية ، فعاليات الملتقى الثالث قسم علم الاجتماع ، 20-21 جانفي 2004 منشورات كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية جامعة الجزائر 2005-2006 العدد 2 سلسلة الوصل ص 75 .

لا تتواجد في المجتمعات البدائية أو المجتمعات الزراعية الريفية، فهي تعتبر مظهراً من المظاهر التي تميز المجتمعات الصناعية، لذلك رأى علماء الاجتماع الحضري أن هذا النموذج من الأسر هو ميزات المجتمعات الحضرية .

ب- الأسرة الممتدة :

و هي تجمع في كيان واحد أكثر من أسرة أي تضم ثلاثة أجيال ، لأنها تضم الأجداد و أبنائهم غير متزوجين و أبنائهم المتزوجين أو بناتهم و أحفادهم ، أو أسرة مركبة من أسرتين نوويتين و يتواجد هذا النمط من الأسر في المجتمعات الريفية و المجتمعات العشائرية القبلية، لذلك يمكن اعتبارها أنها جماعة مقيمة تحت سقف واحد، و قد يعيش تحت هذا السقف كذلك العم و العمة و غيرهم من الأفراد في لواء سلطة رئيس العائلة وفي ظل ما يسمى بالدار الكبيرة .

ومن مميزات هذا النمط من الأسر أن أعضائها يعتمدون على بعضهم اقتصادياً اعتماداً كاملاً ، و التنشئة الاجتماعية للأطفال يشترك فيها كل من يقيم داخل إطار الجماعة القرابية و يعمل الكل على تلقين الطفل المثل العليا و القيم ، و يمثل أفراد الأسرة البالغين النموذج الواجب الإقتداء به ، لذلك فالأطفال داخل الأسرة الممتدة يرون دورة الحياة الإنسانية تتجسد أمامهم من الطفولة إلى الشيخوخة فيشعرون بالاستمرارية التاريخية و الاجتماعية ، و عليه فهي توفر علاقات اجتماعية إنسانية واسعة لها دور كبير في ترابط و تماسك الجماعة الاجتماعية. ومن هنا نستخلص أن الأسرة الممتدة تعتمد في أساسها على درجة القرابة الدموية أكثر من اعتمادها على الرابطة الزوجية ، و من أهم ما تتميز به أنها تضمن استمرارية عبر الأجيال و ذلك بربط أسر التنشئة بأسر جديدة كما أنها تعبر عن بناء اجتماعي أكثر فعالية لحفظ الثرات من تقاليد و عادات من جيل لآخر ، كما تضمن

شبكة واسعة من العلاقات القرابية التي تساهم كلها في عملية التنشئة الاجتماعية، و ما يظهر في الأسرة الممتدة أن في حالة غياب الأب الذي يعتبر مركز السلطة قد ينوب عنه العم كبديل في اكتساب هذا المركز السلطوي .

ج- الأسرة المركبة :

يرى بعض الباحثين أن الأسرة المركبة هي التي تتكون من زوج و زوجة و أولاد مباشرين قد يكون بعضهم متزوجين، و يرى آخرون أنها أسرة تتكون من أسرتين نوويتين أو أكثر، ترتبط ببعضها عبر خط الأب أو خط الأم من خلال علاقة الأب بالابن أو الأخ و أخيه و كذلك الأخ و أخته أو ما يسمى العائلة في الجزائر¹

1- رشيد حمدوش ، الأسرة و عملية التواصل الاجتماعي محاولة لتحديد مفهوم الأسرة ، سلسلة الوصل ، مرجع سبق ذكره ، ص 288-289 .

4- العلاقة الوظيفية بين الفرد و العائلة و المجتمع :

تعتبر العائلة من أهم المؤسسات الاجتماعية، و ذلك نظر لعلاقتها بالفرد و المجتمع ، و يظهر ذلك من خلال ما تقدمه من وظائف للمجتمع و من رعاية للفرد.

أ- العلاقة الوظيفية بين العائلة و الفرد :

إن العائلة هي أساس وجود الأفراد، لذلك فهم يوجهون إليها اهتماما خاصا يتمثل في نوعية العلاقات التي تربطهم ببقية الأعضاء، و هذه العلاقة هي التي تضمن للفرد الارتياح و ذلك من خلال الحماية التي توفرها له ، لذلك فهذه العلاقات تلعب دورا هاما في تطوير و تنمية الحالة الروحية و الأخلاقية و الإنسانية للفرد مما يمكنه من تكوين ذاتيته و شخصيته . فالعائلة هي المساهم الأول في تكوين هذه الشخصية و بنائها فمن خلال تنشئة الأفراد تتمكن من نقل إليهم أخلاق و قيم و أهداف المجتمع ، لذلك فعملية التنشئة الاجتماعية التي تقوم بها الأسرة ، هي التي تكون شخصية الأفراد المعبرة عن شخصية المجتمع العامة و ذاتيته ، و كما أن العائلة مهمة للفرد، فالفرد كذلك مهم للعائلة لأنه الوحدة البنائية التي تتكون منها العائلة ، و الوحيد الفاعل و الحامل لتراث هذه العائلة من عاداتها و تقاليدها . فالعائلة التقليدية طالما لعبت دور الوساطة ،من خلالها تستطيع تحقيق وحدة و تماسك أفرادها من خلال الايديولوجية المشتركة التي تعطي لهم أثناء عملية التنشئة لذلك كانت الأسرة التقليدية يشترك أفرادها في تربية الأطفال وهذا ما أكدته إحدى المبحوثات .

" بكري كنا نسكنوا قاع في دار وحدة وكنا نتفاهموا

في كل شئى ونشتركوا في التربية العم يربي و الجد

يربي و كل واحد يعاون خوه في تربية لولاد " (المقابلة رقم 03)

" في الماضي كنا نسكن في بيت واح و كنا نتفاهم على جل

الأمر حيث إشتراكنا في تربية الأولاد العم يربي و الجد

يربي و كل واحد يساعد الآخر "

" لا يتلقى الفرد الرعاية و الحماية من والديه فحسب بل يتلقى ذلك من كافة

أفراد العائلة و لا تمارس التنشئة الإجتماعية عليه من قبلهما وحدهما ، بل من

كل الأفراد الراشدين الذين تشملهم العائلة " 1

ب- العلاقة الوظيفية بين العائلة و المجتمع :

إن تاريخ المجتمع المعاصر يعكس الدور الأساسي الذي لعبته العائلة الانسانية

على مر العصور في رسم معالم الجوهر الداخلي للمجتمع ، و تحديد طبيعته

المادية و إطاره الخارجي ، "فالعائلة تعتبر من أهم المؤسسات الاجتماعية

التي يتكون منها البناء الاجتماعي للمجتمع و تتفاعل مع باقي المؤسسات البنائية

تأثرا و تأثيرا"2 و بما أن العائلة هي أساس عملية التنشئة الاجتماعية للأفراد ،

فإنها هي التي تقرر الصفات النوعية للسكان و حجمه من خلال عملية الإنجاب

هذه الصفات التي تعتمد عليها في تحديد درجة تقدم المجتمع و رقيه الاقتصادي

و الاجتماعي و الأخلاقي ، كما أن العائلة هي المؤسسة الوحيدة التي ينبج فيها

الأطفال في إطار شرعي ،فالعائلة حاليا تلعب الدور القيادي في تحديد السمعة

السياسية و الاجتماعية للمجتمع .و تأثير المجتمع في العائلة يظهر من خلال

الأحكام القيمة التي يقدمها للعائلة التي ينبغي أن تستلزم بها و استلزام العائلة

1-إحسان محمد الحسن ، علم الاجتماع العائلي، دار وائل للنشر ،ط1 الأردن ، 2005
ص59،

2- محمد حمداوي ، مرجع سبق ذكره ، ص375

بتطبيق هذه الأحكام دليل على انصهارها داخل المجتمع لذلك فعلاقة العائلة بالمجتمع علاقة جدلية دياكتيكية « العائلة مرتبطة بالمجتمع في علاقة جدلية دياكتيكية فهي تدعم المجتمع و تناهضه في آن واحد»¹

1- هشام شرابي ، مقدمات لدراسة المجتمع العربي ، مرجع سبق ذكره ، ص 32

5- مقومات التواصل فى العائلة من خلال التراتبية الأسرية:

مما سبق يظهر جليا أن الأسرة مؤسسة اجتماعية، تقوم بوظائف متعددة و تؤثر فى أفرادها و لكن هذه الأسرة تقوم على مبدأ التواصل الذي يضمن استمراريتها من خلال عملية الإنجاب داخل الأسرة ، كما أن عملية نقل المعايير القيمية التي تتوارثها الأجيال مهمة فى تحقيق الاستمرارية، و لكن داخل الأسرة تقوم علاقات تواصلية بين الأفراد مبنية على أساس تقسيم الأدوار و قائمة على الاحترام و التعاون و الحماية و السلطة داخل نظام قائم بذاته ، حيث تشكل علاقة الأب بالأبناء علاقة سلطوية يتمتع من خلالها الأب بالسلطة التامة على أبنائه ، فالأب هو القائد الروحي للجماعة العائلية فهو المنظم لأموها و الضابط لسلوكيات أفرادها و الحريص على الالتزام بقواعد العائلة ، و ما على الأبناء إلا احترام و طاعة أوامره و الخضوع و المثول لسلطته " البطريق (الأب) لا يرد و لا يعكس فى قراراته و الأبناء و الأحفاد يمثلون البنية القصى فى هذا الجسم فالسقف و الجدران و البنات و زوجات الأبناء و الحفيدات الكل يمثل القاطع الداخلي لهذا البناء "1.

" بكري كنا نخافوا من والدينا كان الأب هو اللي
فى يديه الحكم و هو اللي يمشي الدار ما كانش ليعصي
الأوامر نتاعوا دروك راه باقي الأب هو اللي يسير الدار
بصح ما بقاش صعيب كما بكري راهي الأم تعاونوا و تتفاهم
معاه " (المقابلة رقم 20)

1-مصطفى بوتقنوشات ، العائلة الجزائرية التطور و الخصائص الحديثة ،ترجمة دمري أحمد ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1984 ، ص 47.

" في الماضي كنا نخشى والدينا كان الأب يملك
السلطة و هو الذي يسير البيت لا يعصي أوامره
أحد أما الآن لم يتغير دور الأب ولكنه أصبح لنا
لأن الأم تشاركه القرارات و تتفاهم معه "

فهذه العلاقة بين الأبناء و الآباء مبنية على طابع السلطة الفوقية حيث
صاحب السلطة في المجتمع هو الذي يملك و الباقي يمتثل ، " الأسرة جميعا
تولي أهمية بالغة و قيمة عظمى و ترى فيه شخصيتها المتميزة التي من سلطتها
تستمد البنية الأسرية قوتها و صلابتها و وحدتها و تماسكها ، و بوجودها تتجسم
القيم الروحية للآباء و الأجداد التي تنظم حياة العائلة " 1 و قد شغل الأب على
مر العصور هذا الدور و هذه المكانة كما أنه على مر العصور تمركزت
في يده السلطة المطلقة ، و لكن رغم ما يملكه الأب من سلطة في الوقت
الراهن و رغم كونه القائم على تنظيم أمور الأسرة إلا أنه ليست له صفة
pater familias الروماني القديم ، و لا يشبه العربي في عهد الجاهلية لأنهما
كانا سيدين، ذلك لأن في تلك الفترات تجسدت السلطة الأبوية بمفهومها الحقيقي
لأن الأب كان له حق الحياة و الموت على أبنائه لذلك كان يعكس الأنا الأعلى
في الأسرة « المجتمعات التاريخية القديمة تطور محور القرابة و أصبح
مرتكزا على مبدأ العصبية فكان الأب هو محور القرابة و كانت المصطلحات
الاجتماعية معززة لسلطة الأب » 2

1- محمد حمداوي ،مرجع سبق ذكره ، ص390

2- سامية مصطفى الخشاب ، النظرية الاجتماعية و دراسة الأسرة ، الدار الدولية
للإستثمارات الثقافية ، القاهرة ، 2008 ، ص 20

أما الأم فلا تقل مكانتها عن مكانة الأب، ذلك أنها الوسيط بين الإبن و أبيه كما أنها المسؤولة على تربية الأطفال و تنشئتهم، و المسؤولة على نقل المعايير القيمية لأبنائها، و المسؤولة على فرض الخضوع لسلطة الأب و الامتثال لها ، فالأم هي التي تلعب دورا في تجسيد سلطة الأب و الحفاظ عليها و تصويرها لأبنائها و تجعلهم يهابون والدهم و ذلك من خلال تخويفهم من العقوبات التي تنتظرهم من والدهم في حالة الخطأ، فهي الحافظ لمكانة الأب و دوره في الأسرة . و على مر العصور اعتبرت الأم الحامل الأول للثرات الاجتماعي و الثقافي للمجتمع، و الحارس الحقيقي للعادات و التقاليد العائلية ، فالأم و إن لم تكن تتمركز حولها السلطة إلا أنها تمثل بالنسبة لأبنائها الأساس الأول في البيت و الدعامة الأساسية له لأنها أحد الركائز التي تقوم عليه الأسرة ، و بذلك فإن طاعتها و احترامها مقدس و أمر مفروغ منه لدى الأبناء خصوصا في المجتمعات العربية الإسلامية حيث ربط الإسلام مكانتها بالدخول إلى الجنة، مما جعل موقعها أساسي و فرض احترامها و طاعتها ، كما أن مكانتها هذه حددتها ضروريات الحياة منذ العهود الأولى و منذ أن كانت الأسرة في ظل النظام الأموي .

وهنا يتجلى مفهوم الولاء و الخضوع الاجتماعي، إذ يعتبر الخضوع للعائلة و على رأسهم الأب و الأم أهم خصائص المجتمعات العربية عامة و الجزائر خاصة ، و تبقى الأم هي الحريضة الأولى على قيام أبنائها بعادات أجدادهم بصفتها الحاملة الأولى للتراث و الناقلة له .

"كانت يما كلما نقعدوا نقصروا تحكينا على عادات

جدودنا و تعلمهننا و توصينا باش نديروهم و نعلموهم

لولادنا " (المقابلة رقم 01)

" كانت أمي كلما نجلس للسهر تحكي لنا عادات أجدادنا

و تعلمنا إياها و توصينا كي نقوم بها و نعلمها لأولادنا "

إن المرأة و الأم أو الجدة عموما هي التي تعمل على ترسيخ قيم المجتمع و معاييرها في أبنائها من خلال عملية التنشئة الإجتماعية لذلك تحاول دائما تذكير أبنائها بعادات أجدادهم و تكون حريصة على أن يقوموا بها و يحافظوا عليها

" لو كانت ما عيشة لو كان قالتلي ديري عادات

جدودك كانت ديما تقولنا حشومة لو كان ماديروش

العادات و التقاليد على بيها كي طهرتولدي درت

لعادات نتاعنا " (المقابلة رقم 16)

" لو كانت أمي حية لقات لي إتبعي عادات أجدادك

لأنها كانت دائما تقول لنا إنه من العار عليكم أن لا

تقوموا بعادات و تقاليد أجدادكم لذلك لما قمت بتخنين

إبني إتبع عاداتنا "

فيمبدأ " الحشومة " كانت الأم و لا تزال تحمي عائلتها و تضبطها كما يفضلها تحاول أن تجعل أبنائها يحافظون على عادات أجدادهم، و هذا ما يعطي صورة للسلطة الرمزية التي تخلفها عملية التنشئة الإجتماعية، حتى و لو كانت هذه السلطة قد دخلت عليها تغيرات بفضل إنتقال الأسرة من ممتدة إلى نووية، وذلك لأن الأسرة الممتدة كانت تقوي الرباط الإجتماعي، و بالتالي تقوي الضبط الإجتماعي لذلك يتجسد مفهوم الولاء الإجتماعي للأولياء و للأسلاف ولكن تبقى الأم تعمل جاهدة على أن لا يخرج أبنائها عن الإطار العام للمجتمع، من خلال عملية تذكيرهم بعادات أجدادهم سواء عن طريق التراث الشفهي المتناقل أو عن طريق ما تعبر عنه بالحشومة، و حاليا يعمل الأبناء على القيام بالعادات لتأكيد

ولأنهم لأولياتهم حتى ولو وجدوا في هذه العادات نوعاً من الغرابة تنافي فيه تفكيرهم .

" خطرات تباثلي شي عادات غراب وما نجموش
نتقبلوهم بصح نديروهم غير باش نرضيوا والدينا
لوكان مانديرهمش ماما تقعد غير تهدرلي عليهم و تقولي
حشومة و أنا ما نبغيش نزعها "(المقابلة رقم 13)
" أحيانا يظهر لي أن بعض العادات غريبة و لا يمكن أن
نتقبلها لكن نقوم بها كي نرضي أولياؤنا وإذا لم نقم بها أمي
لا تتوقف عن الحديث عنها و تقول أن ذلك عار و أنا لا أحب
أن أغضب أمي "

" تعود إستمرارية العادات لكونها مترسبة عن الأجداد و يرى تونيس أننا نتمسك
بالعادات لأنها تأتينا من أسلافنا الذين أثبتوا بالحكمة و التجربة أنها نافعة و مفيدة
و بالتالي هي ضرورية لنا " 1

لذلك فمقومات التواصل داخل الأسرة لا يمكنها أن تستمر دون الركيزتين
الأساسيتين هما الأب و الأم، و اللذان بحكم رابطة الزواج فإنهما يقتسمان
الأدوار داخل هذا النظام حتى يمكن للأسرة أن تستمر و تبقى، لذلك فإن
التواصل داخل الأسرة يتم داخل حلقة دائمة السيرورة هي التي تشكل العلاقة
أباء - أبناء، هذه العلاقة التي تحكمها قوة الذكر القانونية و الاجتماعية
و الاقتصادية في الأسرة .

و يمكن تجسيد هذه الصورة من خلال المخطط الموالي حيث تتحدد الأدوار

1- فوزية ذياب ، مرجع سبق ذكره ، ص155

القيادية و الأدوار التابعة كما تتحدد المكانة داخل الأسرة للذكور ، حيث يمثل الأب القائد الروحي تتجسد في يده مفهوم السلطة الرمزية الكاريزماتية . ثم تليه الأم و التي تتمتع بأدوار تابعة لأدوار الأب و بعدها الأبناء الذكور الذين يجسدون السلطة الثانية بعد الأب في الأسرة خصوصا على البنات الإناث و خصوصا الابن الأكبر، و الذي يعتبر خليفة الأب و الذي يواصل بعده تحمل أعباء البيت ، و قد يرى ميردوك أن الأسرة تتحدد وفق نسق علاقاتي يكون داخلها و ينشأ بين أفرادها ، و بارسونز رأى أن هناك تباين في الأدوار فهناك أدوار رئيسية و أدوار ثانوية أو تابعة ، لذلك فالأسرة تقوم على مبدأ تقسيم الأدوار حتى تستمر و تتواصل . و يظهر كل ذلك خصوصا في العائلة التقليدية حيث كان يظهر فيها جليا تقسيم الدور الاجتماعي ، و التي تفصل الذكور و الإناث هذا التقسيم القائم على مبدأ الجنس الذي تكون فيه القوة الذكرية أكبر منه تتجسد سلطة الأب التي تعطيها له ثقافة المجتمع و طبيعته الإنسانية ، هذه الطبيعة التي جعلت أدوار الرجل و المرأة متكاملة رغم السلطة الذكورية « السلطة الذكورية لا يمكنها أن تحمي حقيقة أن الرجل و المرأة يكملان

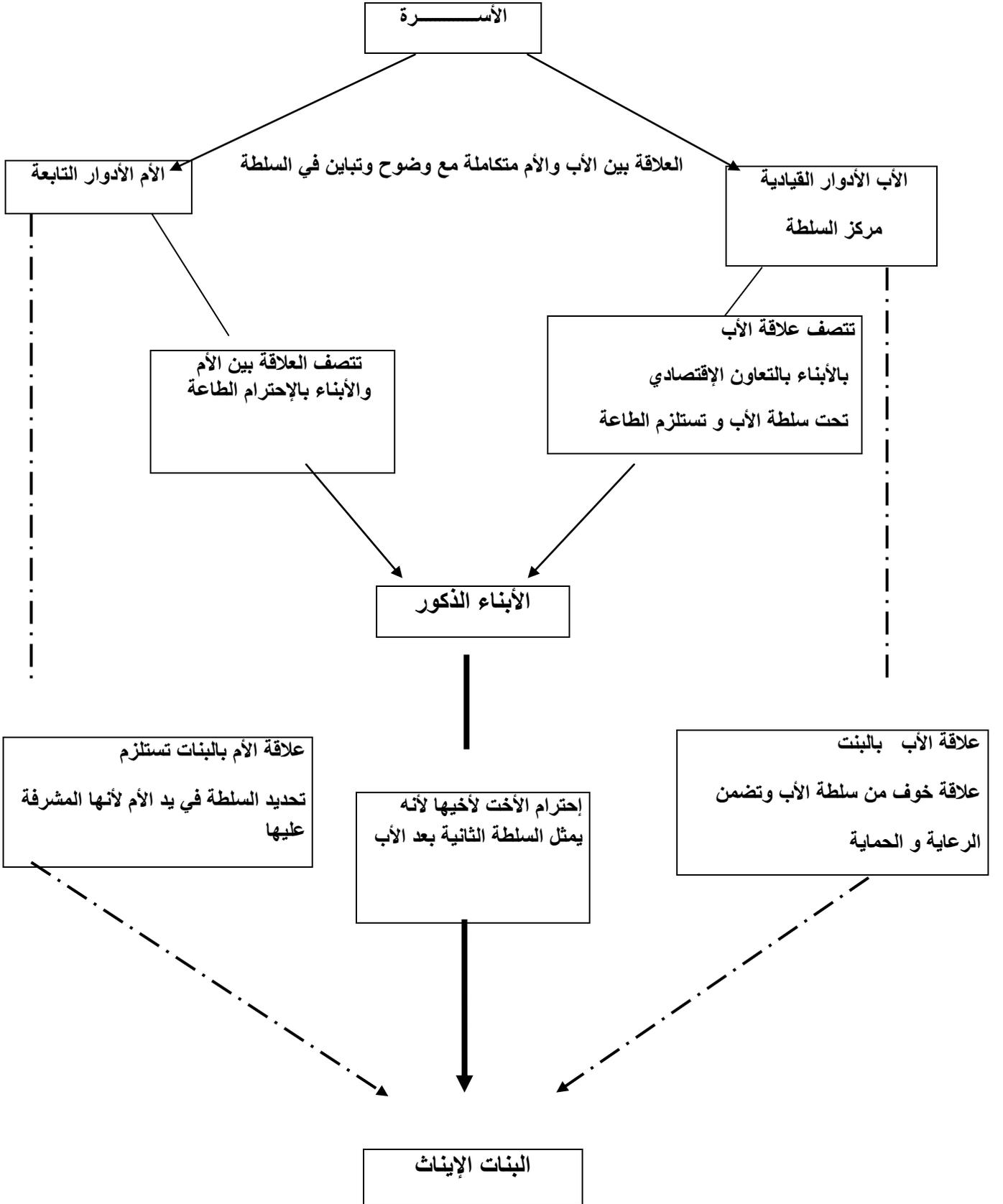
بعضهما البعض من أجل حسن سير العائلة »¹، و داخل هذا النسق الهرمي للأسرة تتحدد عملية الضبط الاجتماعي و عملية تنشئة الأفراد في نقل منظومة المعايير الاجتماعية، و في إطار العلاقات الأسرية يتم تجسيم هذه المنظومة و تجسيدها على أرض الواقع في إطار مفاهيم الطاعة و الامتثال و الخضوع و الخوف في الوقت ذاته من السلطة الأسرية و من الأسلاف و المجتمع عموما

1-Michel Lalonde, Comprendre la société , Ridact sociologie ,Paris, 1994 ,p186 .

وهذه الصورة للأب تجسدت من العصور القديمة ، حيث تطور محور
القرابة و أصبح مرتكزا على مبدأ العصبية، فكان الأب محور القرابة
و كانت كل المصطلحات الاجتماعية معززة لسلطة الأب، و عموما للسلطة
الذكورية التي يعمل الذكور على الحرص عليها لتستمر " إن الإحترام و التقدير
الذي يوليه أفراد الأسرة لمكانة الأب و في طليعتهم الأبناء المتزوجون ، هو
دفاع عن مكانتهم التي هي مؤهلة للتعزيز بمرور الزمن " 1

1- محمد حمداوي ، مرجع سبق ذكره ، ص391

مخطط رقم 2 نسق العلاقات الأسرية على أساس الأدوار و الوظائف



6- خصائص العائلة العربية و الجزائرية في المرحلة التقليدية :

لا يمكن الحديث عن العادات و التقاليد دون الحديث عن المحور الأساسي الذي يدور حوله هذا المفهوم ألا و هو العائلة ، و لا يمكن الحديث عن العائلة عموما بقدر ما ينبغي الحديث عن العائلة العربية لما لها من خصائص تميزها عن باقي العائلات في المجتمعات المختلفة هذه الخصائص التي تجعل منها الأساس الذي تنطلق منه العادات و الأعراف و التقاليد . إن دراستنا تنطلق على أساس العائلة العربية و الجزائرية خصوصا لذلك نسعى إلى الانتقال من العام إلى الخاص في دراسة موضوع العائلة ، ذلك أن العائلة الجزائرية هي عائلة عربية إسلامية تتمتع بخصائص مشتركة مع العائلة العربية ، لذلك فربط دراسة العادات و التقاليد ينبغي ربطه بالأساس الأول و هو العائلة . ولكن في اللغة العربية عكس اللغة الفرنسية يوجد التباس في المفاهيم بين الأسرة و العائلة ذلك أن مفهوم famille باللغة الفرنسية واضح و دال على معنى ليخص الأسرة و العائلة ، أما في اللغة العربية فهناك اختلاف ذلك أن العائلة مفهوم أكثر خصوصية من مفهوم الأسرة الذي يبقى مفهوما عاما مرتبطا دائما بنوع الأسرة أمتدة أو نووية ، و لكن العائلة تبقى لازمة لمفهومها لا تحتاج إلى نوع يضبطها لذلك قد تخص الأسرة المفهوم الموسع لتشمل كل الأفراد في الجماعة المنزلية و الذين يرتبطون برابطة القرابة سواء داخل الأسرة النووية أو الممتدة أو المركبة . و العائلة هي كل ما يحمله هذا المصطلح من معاني التركيب البنيوي المعقد و الحجم الكبير لذلك في دراستنا استعملنا المصطلحين نتيجة لاختلاف ميداني الدراسة وهران و ندرومة و إنتشار المصطلحين باختلافهما في كلا الميدانيين . و التطرق للأسرة العربية و العائلة العربية يستلزم منا دراسة هذه الأسرة منذ وجودها بصفقتها المؤسسة الاجتماعية الأولى التي يعتمد عليها المجتمع في تكوين أفراد و تنشئتهم .

و عليه ضرورة التطرق إليها أوجبت النظر إلى تاريخها منذ الوهلة الأولى ،
"و ترى الدراسات أن العائلة العربية مرت بنفس المراحل التي مرت بها العائلة
الغربية في تطورها ، إذ عرفت العائلة العربية في بدايتها الأولى النسب إلى الأم
و الدليل هو مثلا تأنيث أسماء القبائل ، و اشتقاق لفظة الأمة من الأم" ¹ ثم انتقل
النسب إلى الأب ، و قد كانت الأسرة في الجاهلية تمثل كائنا اجتماعيا داخل
القبيلة غير مستقلة ، و بذلك فهي تمثل مختلف التناقضات التي كانت قائمة في
المجتمع آنذاك أي كانت الصورة المصغرة و العاكسة للمجتمع الجاهلي .
و هذا ما جعل اصطلاح أسرة غير واضح لأنه لا يختلف عن القبيلة و العشيرة
مما يؤكد على أن المجتمع الجاهلي كان مجتمعا رجوليا أو ذكوريا ، و مع
ظهور الإسلام تحددت معالم العائلة العربية فتركيب العائلة الذي برز في
المجتمع الإسلامي نتج عن التفاعل بين التنظيمات الاجتماعية العربية التي
كانت سائدة قبل ظهور الإسلام . و عموما تعتبر العائلة العربية مؤسسة
اجتماعية لها علاقة بباقي مؤسسات المجتمع لأنها تتأثر و تؤثر في هذه
المؤسسات ، لذلك يتحدد تركيب العائلة و وظائفها طبقا لوظائف هذه المؤسسات
و خصائصها، لذلك فهي تشكل أهم ركيزة يعتمد عليها المجتمع العربي في
تنشئة أفراد و بناء شخصيتهم و بالتالي نقل إليهم الثرات الثقافي و الاجتماعي و
الحفاظ عليه .

تشمل العائلة التقليدية الزوج و الزوجة و الأولاد غير المتزوجين بالإضافة
إلى الأبناء المتزوجين و زوجاتهم و أطفالهم و في الكثير من الأحيان تمتد
لتنشئة أخت الأب الأرملة مع أبائه المسنين و بنين و بنات أشقائه و شقيقاته

1- الوحشي أحمد بيبي ، الأسرة و الزواج ، مرجع سبق ذكره ، ص 122

الأيتام و هذا التحديد لمفهوم العائلة ينطبق على مجتمع القرية و المدينة على حد سواء 1 ، و بهذا المفهوم فإن العائلة الجزائرية القديمة قائمة على مبدأ القرابة و مفهوم العصبية ، إذ كانت هذه الأسر مرتبطة بروابط قوية قرابية و غير قرابية مع عائلات أخرى ، و تكون هذه الروابط أكثر شدة خصوصا إذ كانت متعلقة بروابط الدم و تظهر مظاهر هذا التماسك الاجتماعي في نمط الزواج السائد آنذاك و القائم على مبدأ زواج القرابة، إذ كان الزواج المفضل في الأسرة الجزائرية التقليدية هو زواج بنت العم و كانت السلطة تتمركز في يد الأب ، سلطة مطلقة اقتصادية ، سياسية و اجتماعية ، و من خصائصها أنها كانت مؤسسة اجتماعية مرتبطة بمختلف التنظيمات الاجتماعية ، كما أنها تشكل أهم ركيزة في المجتمع نظرا لدورها في تطوير و بناء العلاقات الاجتماعية و دورها في بناء شخصية الفرد من خلال التنشئة الاجتماعية و ذلك بنقل إليه التراث الثقافي و الاجتماعي ، و بداخلها تتجلى بوضوح عملية نقل العادات و التقاليد كما أنها الحارس الوحيد على منظومة المعايير و الحامي لها . و يبقى الشكل السائد في بنية العائلة هو العائلة الكبيرة و الصفة المميزة للعائلة هي استمرار الأنماط الأساسية للروابط العشائرية في ضمان تنظيم العائلة.

و الأب هو المسيطر و صاحب السلطة و عموما فإن العائلة الجزائرية تستمد خصائصها من خصائص المجتمع العربي، الذي تتأسس فيه الحياة انطلاقا من المجال الديني و سلطته، إذ يعتبر الدين المحدد الأول للأسس و القواعد و القيم الأساسية، و من خلال الأساس الديني يتحدد الإطار الموجه لمختلف جوانب الحياة الأخرى و بذلك يصبح الدين السياج العام الذي يحكم قيم و معايير الحياة

1- محمد صفوح الأخرس ، تركيب العائلة العربية ووظائفها ، دراسة ميدانية لواقع العائلة في سوريا ، ط 2 منشورات وزارة الثقافة و الإرشاد القومي ، دمشق ، 1980 ، ص 23

في المجتمع العربي ، ليصبح بعد ذلك المجال الديني يمثل المرجعية المطلقة و عليه فإن منظومة القيم و المعايير في العائلة العربية ، و حتى تركيبها يستمد تشريعه من المرجعية الدينية حتى في مجال سلطة الأب في العائلة فإنه مستمد من هذه المرجعية ،بحكم أن الدين يجعل من الذكور يخأدون الدور القيادي في المجتمع العربي¹. كما أن الثقافة العربية الإسلامية و أصالتها تعود إلى الدين الإسلامي ،الذي يعود له الفضل في تأسيس عناصر الثقافة المتمثلة في الأخلاق و القيم و العادات ² ، لذلك كانت الحياة الاجتماعية في محيط الأسرة القديمة الجزائرية التي تستمد أصالتها من العائلة العربية قائمة على عدة اعتبارات :

- أنها قائمة على أساس الاكتفاء الذاتي لأن الأسرة كانت تنتج ضروريات المعيشة و مطالب الحياة.
- يعتبر الرجل سيد الأسرة حيث يشكل الدعامة الأولى و صاحب السلطة .
- الزواج كان في سن مبكرة بحكم الوظيفة الاقتصادية للأسرة .
- محافظة الأسرة على تقاليدها و عاداتها ، مما جعلها قوية الدعائم حيث قلت حالات الطلاق فيها و انعدمت.

1- ارجع في ذلك إلى : رفيق حبيب ، في فقه الحضارة العربية الإسلامية ، إحياء التقاليد العربية ، دار الشروق للنشر و التوزيع ، الأردن ، 2003

2- ارجع في ذلك إلى :فاروق أحمد مصطفى ، بنية الثقافة العربية الانثربولوجيا الثقافية ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، 2007

7- مفهوم الضمير الجمعي و علاقته بالسلطة الأسرية في عملية الضبط

الاجتماعي :

يشكل مفهوم الضمير الجمعي أساسا تقوم عليه دراسات دور كايم للظاهرة الدينية في المجتمع، و يعتبره « مجموع المعتقدات و الأحاسيس المشتركة بين أعضاء نفس الجماعة الاجتماعية و التي تشكل نظام محدد له حياته الخاصة »¹ فالمجتمع يحمل في جوهره قوة مؤثرة هي التابعة للأفراد، و لكن عندما يتحدون و يشتركون مع بعضهم البعض فينشأ عن ذلك كائن نفسي وروحي يسيطر على الأفراد و المتمثل في الضمير الجمعي ، و يعمل هذا الضمير على تواصل الأجيال فيما بينها ، و بالتالي هو يشكل وسيلة يعمل من خلالها المجتمع على مراقبة تواصل العادات و التقاليد و منظومة المعايير التي تنتقل من جيل لآخر، لذلك هو تعبير جلي عن اشتراك في الوجدان الجمعي حيث تشترك فيه مشاعر المجتمع كلية « هو المجموع الكلي للمعتقدات و العواطف العامة بين معظم أعضاء المجتمع و التي تشكل نسقا له طابع متميز ، و يكتسب هذا الضمير العام واقعا ملموسا فهو يدوم خلال الزمن و يدعم الروابط بين الأجيال فهو يعيش بين الأفراد و يتخلل حياتهم إلا أنه يكتسب مزيدا من القوة و التأثير و الاستقلال ، فيما يتحقق الضمير الجمعي يعد نتاجا للتمائل الإنساني »² و قد رأى دور كايم أن الضمير الجمعي يمارس ضغطا على

1- Michel Lallement , Histoire des idées sociologiques des origines a weber , 3^{ème} edition ,Armand colin cdition , Paris , 2006,p173

2- مصباح عامر ، علم الاجتماع الرواد و النظريات ، دار الأمة للطباعة و النشر ، ط1 ، الجزائر ، 2005 ، ص 76

الأفراد و سلطة لأنه يعيش داخل ضمير كل فرد ، و ما هو إلا تعبير عن فكرة الجماعة في المجتمع، لذلك يخلق بين الأفراد نوعا من التماثل العقلي و العاطفي و الذي بدوره يجعل الأفراد يخضعون كليا لسلطة الضمير الجمعي ، وبالتالي فإن الضمائر الفردية تكون كلها متماثلة كما أن التعابير الوجدانية تكون هي بدورها متماثلة ،لذلك نرى تماثلا كبيرا في ممارسة عادات الجماعة من طرف أفرادها حيث يقوم كل أفراد الجماعة الواحدة بنفس العادات و التقاليد، و ذلك دليل على التزام الأفراد لسلطة الضمير الجمعي الذي خلق في الجماعة تناسقا بين أفرادها ، و هذا الضمير ناتج عن مجموعة التصورات الجمعية التي تنشأ من تفاعل الأفراد فيما بينهم و ارتباطهم مع بعضهم البعض، هذا الضمير نفسه هو الذي يزيد من انتماء الفرد لجماعته و يوضحه .وبذلك يساهم في تكوين روح الجماعة و كوسيلة للحفاظ على العادات و التقاليد و هذا الضمير الجمعي نجده حاضرا في الطقوس الإحتفالية المجسدة في ذهنية الأفراد و المعبرة عن إلتحامهم و تضامنهم إذ تساهم هذه الطقوس و بقدر كبير في تنمية روح الجماعة حيث كل طقس إحتفالي يصحبه تحضيرات مختلفة تعتبر في حد ذاتها جزءا من هذا الإحتفال . وكان قديما يشارك كل أفراد العائلة في هذه التحضيرات وحتى الجيران ،هذا ما يدل على تجسيد روح الجماعة داخل المجتمع الواحد وتحقيق مفهوم الرباط الإجتماعي " كانت العائلة وحدة إنتاجية إقتصادية إجتماعية تفترض في أعضائها التعاون معا و الإعتماد على بعضهم في جميع المجالات، حيث أن العصبية العائلية مبنية على رابطة الدم وهذه العصبية مبنية كذلك على وحدة الملكية و التكامل العضوي أو وحدة الإنتاج و الإستهلاك " 1

1- نخبة من المتخصصين ، علم الإجتماع الأسري ، مرجع سبق ذكره ، ص487

" كنا بكري نتعاونوا من يكون الفرح ولا القرع لخطررش
كانوا الناس متاحدين بالكبير بالصغير يعاونوا كي النساء
كي الرجال كلشي يخدم و يعاون على حساب ما يقدر النساء
يفتلوا الطعام كلهم يجيوا و يتعاونوا " (المقابلة رقم 08)
" كنا في الماضي نتعاون في الأفراح و الأقرح
لأنه كان الناس متحدين الكبير و الصغير كل يساعد
الرجال و النساء كل واحد يعمل و يساعد حسب إستطاعته
النساء يصنعون الكسكس كلهن تتعاون "

وهنا يتجلى بوضوح مفهوم العصبية التي كانت تفرض على من يدخلون في
إطارها التعاون في كل الأمور الحياتية ، إذ كانت المساعدة مجسدة سواء في كل
المناسبات المفرحة أو المقرحة للدلالة على الشدة و التعاون ، وبالتالي على
الكرم و الجود الذي إمتاز به العربي الإسلامي منذ القدم مما كان يزيد في
الرباط الإجتماعي .

" كنا يد وحدة كلنا مع بعض نتعاونوا قاع مع بعض
فكلشي الفرح و الموت كامل العائلة يعاونوا بصوالح
و القاتولا بدراهم ولا الصحة كانت الحنانة و الرحمة "
(المقابلة رقم 14)

" كنا يدا واحدة كلنا نتعاون في كل المناسبات الفرح و
الموت كل العائلة تتعاون بالأشياء المادية و المعنوية
كانت تتوفر الحنانة و الرحمة "

فمفهوم المعاونة أي المساعدة يتجسد من خلال مشاركة كل العائلة و حتى
الجيران في الإحتفال.

" كانوا قاع يعاونوا لافامي حتى الجيران في الطهارة ولا
العراس ولا الموت كل واحد يجيب حاجة و يعاون وكاين
اللي يطيب في داروا و يجيب و يعاون " (المقابلة رقم 17)
" كانت العائلة كلها تساعد حتى الجيران يساعدون في حفل
الختان أو الأعراس و حتى الموت كل واحد يأتي بشيء و
يساعد منهم من يطبخ في بيته و يساعد به من عنده وليمة "

وهذه المساعدة تجعل الوالدين أصحاب الإحتفال يشعرون بمساندة الغير لهم ،
وعليه في الماضي كانت المساعدة تحقق لحمة المجتمع ليبقى متماسكا و متعاوننا
و متحابا وهذا ما يدل على الجماعية التي كانت موجودة قبل ظهور الحضرية
حيث كان يميل المجتمع للجماعية في حين في وقتنا الحالي أصبحت الروح
الفردية هي السمة الغالبة على المجتمع ، كما أن هذه المساعدات و التي هي
بمثابة الهدايا كانت تنسج لشبكة العلاقات الإجتماعية . يرى كلود ليفي ستروس
أن " تقديم الهدايا هي تعبير رمزي عن شيء أكثر تجردا وهو شبكة العلاقات
الإجتماعية التي تربط أعضاء المجتمع المعني بعضهم ببعض " 1 .

" ما بقاتش المعاونة كل واحد راه لاهي في همو و كل واحد
راه لاهي في صوالحو ما يقدرش يعاون و الفاميليا كبرت ما
يقدرش يتلايمو كما بكري و يتعاونوا " (المقابلة رقم 07)
" لم تبقى المساعدة كل واحد أصبح مشغولا في همومه و كل
واحد له أمور ينشغل بها لا يستطيع أن يساعد و العائلة كبرت و

1- إيدموند ليش ، كلود ليفي ستروس ، البنيوية مشروعها الأنثربولوجي ، ترجمة شاكر
ديب ، دار النهضة العربية ، ط1 ، بيروت ، 1985 ، ص142 .

توسعت لا يمكنهم الاجتماع كما كانوا في الماضي و يتساعدون "

مما جعل روح الجماعة تقل و الإحساس بالآخر ينعدم ، إذ و لأن العائلة قد زاد حجمها فإنه أصبح لا يتيسر على كل واحد مساعدة الآخر لأن الظروف المعيشية أصبحت صعبة ، و أصبح الفرد يسكن في منازل صغيرة لا يمكنه أن يجمع داخلها عددا من الأفراد ، هذا دليل على الإستقلالية التي أصبح يتمتع بها الأفراد و الفردية .

و إذا كان الضمير الجمعي وسيلة لضمان استمرارية التواصل و الترابط بين الأجيال، فهو وسيلة لضمان استمرارية العادات و التقاليد و بذلك يضمن علاقته بالأسرة ، إذا أن الأسرة هي التي تخلق عملية التماثل بين الأفراد حيث منذ الصغر تعمل على تنشئة أفرادها على تماثل فكري بينهم إذ تدريبهم على القيام بمجمل المعايير و أن يقوموا بها بنفس الدرجة ، لذلك هم يشركون في نفس التصورات و المشاعر الوجدانية . و ما العادات و التقاليد إلا تلبية لاحتياجات المجتمع النابعة من وجدانه الخالص ، و هكذا فإن الأسرة تتخذ من الضمير الجمعي عاملا لضبط سلوكيات أفرادها و من ثم في استمرارية العادات و التقاليد بينهم ، حيث أن الخروج عن ممارسة عادات المجتمع تؤدي إلى نبذ و تجاهل الفرد و تهيمشه و يكون ذلك كرد فعل للضمير الجمعي، هذا الضمير الذي كان متجليا بكثرة في المجتمعات البدائية التي كانت خاضعة للأعراف و التقاليد كدستور و قوانين التي تعمل بها هذه المجتمعات، لذلك فإن أي تجاهل لهذا القانون كان يقابل بالطرد من الجماعة و كان الطرد للفرد بمثابة الموت البدني ، لأنه كان يبعدة عن جماعته التي ينتمي إليها . و ما يمكن أن نستخلصه هو أن الضمير الجمعي هو الروح المغذية لسلطة الأسرة التي لا يمكنها أن تستمر دون الضمير الجمعي ، و يظهر بذلك جليا كيف يهندس الضمير الجمعي لأحكام سلطة الأسرة على أفرادها حتى تلعب دورا مهما

في الضبط الاجتماعي و توجيه سلوك أعضائها و تنظم العلاقات بينهم وفقا لقيم و عرف غير مكتوب. لأن و حسب دور كايم فإن " الضمير الجمعي يجبر الأفراد على التصرف بطرق معينة بغض النظر عن مصالحهم الإنسانية عن طريق سلطة متناسقة بدرجة مباشرة مع قوة التفاعل وحدته حول مظاهرها الخالصة "1 و هذه هي مهمة التنظيمات الاجتماعية و على رأسها الأسرة و التي تتمثل في زيادة السلطة و القوة الضابطة للضمير الجمعي حفاظا على هويتها الجماعية.

Burgess يعتبر الأسرة مجموعة من الأفراد في تفاعل دائم من أجل تكوين الهوية الخاصة و من ذلك تكون الأسرة الوحدة الأساسية التي تتحكم في سلوك الأفراد « إن من خلال شكل الآخر المنتشر فإن النسق الاجتماعي يطلع على سلوكيات الأفراد أي من خلال ذلك الجماعة تمارس رقابة حول تصرفات أعضائها »2

1- محمد أحمد غنيم ، الضبط الاجتماعي و القانون العرفي، دراسة الأنثروبولوجيا

الاجتماعية ، مرجع سبق ذكره ، ص1

2- Bernadette Bawin Legros et Jean François Stassen , opcit,p48

II - الأسرة و منظومة القيم و المعايير الاجتماعية :

1- مفهوم التنشئة الاجتماعية :

رغم اختلاف مؤسسات التنشئة الاجتماعية و تنوعها إلا أنه تبقى الأسرة أول و أهم مؤسسة اجتماعية يعزى إليها وظيفة القيام بتنشئة الأفراد ، لأنها تعتبر الخلية الأساسية في نقل الطابع الاجتماعي للأفراد و تعمل على تشريب التراث الثقافي و الاجتماعي و الأخلاقي لأفرادها ، كما تعمل على بناء هويتهم الشخصية و فق الهوية الجماعة للمجتمع إضافة إلى أنها تعمل على تعزيز التواصل بين الأجيال ، لذلك داخلها تتجلى بوضوح عملية نقل العادات و التقاليد كما أنها الحارس الوحيد على هذه العادات و الحامي لها و الحريص على أدائها من خلال عملية التنشئة الاجتماعية .

إن هدف كل جماعة اجتماعية في الوجود ، هو الحفاظ على بقائها و استمراريتها و ذلك لا يمكنه أن يتم إلا بمحافظتها على عاداتها الاجتماعية و معايير السلوك التي به تضبط الجماعة و قيمها و معتقداتها ، و ذلك من خلال نقلها إلى أفرادها حتى يتمكنون من تمثلها في سلوكهم و تعاملهم مع بعضهم البعض و تنغرس في وجدانهم ثم يقومون بنقلها إلى غيرهم ، مما يساعد على حفظ توازن الجماعة و تماسكها من خلال اشتراك أفرادها في هذه العادات و المعايير و هذا ما يتحقق عن طريق عملية التنشئة الاجتماعية . لذلك يعرف البعض التنشئة على أنها «عملية اكتساب الفرد لثقافة مجتمعه و لغته و المعاني و الرموز و القيم التي تحكم سلوكه و توقعات و سلوك الغير و التنبؤ باستجابات الآخرين و إيجابية التفاعل معهم »¹ و عليه فإن الفرد لا يكتسب ثقافة مجتمعه إلا من خلال التنشئة الاجتماعية لذلك فهو يكتسب انتماءه داخل الجماعة بواسطتها .

1- رانيا عدنان ، رشا بسام ، التنشئة ، دار البداية ، عمان ، 2006 ، ص 11

و يعرفها بارسونز بأنها «عملية تعليم تعتمد على التلقين و المحاكاة و التوحد مع الأنماط العقلية و العاطفية و الأخلاقية عند الطفل و الراشد وهي عملية دمج عناصر الثقافة في نسق الشخصية و هي عملية مستمرة»¹

فعملية التنشئة الاجتماعية هي العملية التي يتم من خلالها نقل الثقافة العامة للمجتمع إلى الأفراد، و العملية الوحيدة المكونة لسلك الأفراد لذلك فعند النظر إلى تعريف بارسونز نراه يعطي للتنشئة معنيين :

- 1- على أنها تمثيل داخلي للثقافة التي تنقلها الأسرة .
- 2- أنها العملية التي تكسب الفرد شخصيته بحيث تكون مستعدة لاكتساب الأدوار المستقبلية في المجتمع أي التنشئة هي المحدد للأدوار المستقبلية للأفراد وهذا ما جعل بارسونز يعتبر التنشئة على أنها سياق أو processus فهناك سياق تراكمي من الأفعال و الأحداث التي يمر بها الأفراد في حياتهم .

أما مدلين غريفنتش Grawitz فإنها اعتبرت التنشئة الاجتماعية "مرحلة التي من خلالها يتم إندماج الفرد في المجتمع ، و ذلك من خلال ما يأخذه من قيم و معايير و رموز و من خلال ما يتعلمه من الثقافة في مجملها بفضل الأسرة و المدرسة ، اللغة ، المحيط" ² فالتنشئة تعمل على إعداد الفرد حتى يندمج في مختلف أنساق البناء الاجتماعي و التوافق مع المعايير الاجتماعية و القيم السائدة بالأسرة التي هو عضو فيها .

و قد اعتبرها غي روشيه Guy Rocher أنها « عملية أو مرحلة من خلالها يتشرب الفرد العناصر الاجتماعية و الثقافية لوسطه الاجتماعي، هذه

1- رانيا عدنان ، رشا بسام ، مرجع سبق ذكره ، ص 12

2- Madeleine Grawitz , Lexique des sciences sociales ,ed Dalloz , 7^{ème} edition , Paris, 1999,p 376

المرحلة التي من خلالها يقوم بإدماج هذه العناصر في بناء شخصيته تحت تأثير التجارب و الفاعلين الاجتماعيين و من ثم يتكيف مع المحيط الاجتماعي الذي يحي فيه «1.

و انطلاقا من التعاريف السابقة نتوصل إلى اعتبار التنشئة الاجتماعية عملية أساسية في تحويل الإنسان من كائن بيولوجي إلى كائن اجتماعي – ثقافي ، لأنها تعمل على دمج الفرد في مجتمعه و تزويده بعناصر تضمن انتماءه و تعززه ، حيث تقوم بتكوين فرد قادر على إدراك قيم المجتمع و معاييره و الالتزام بها . لذلك تعتبر التنشئة الاجتماعية المغذى الأول لدور مكانة الأسرة في المجتمع لذلك اعتبرها ابن خلدون وسيلة يكتسب الأفراد من خلالها معارفهم و أخلاقهم و جعل الأسرة أهم عامل في هذه العملية .

1- Guy Rocher, Introduction a la sociologie générale , l'action sociale, tome 1 , ed HMH, Montreal , 1968 , p 119

2- أهداف التنشئة الاجتماعية وعناصرها :

من الأهداف الأساسية للتنشئة الاجتماعية إكساب الفرد المعايير و القيم و المثل السائدة في المجتمع و ضبط السلوك وفقا لما يقتضيه و يحدده المجتمع ، لذلك فالتنشئة تعمل على بناء شخصية الفرد وفقا لقيم و عادات المجتمع، أي تعمل على أن يتشرب الفرد ثقافة مجتمعه و غرس النظم الأساسية فيه حتى يسير عليها و يلتزم بها تحت طائلة العقاب ، كما تساعد على غرس الهوية في الفرد من خلال غرس الأنماط السلوكية و المعايير الاجتماعية من أجل تكوين فرد يمثل لضوابط مجتمعه و بالتالي ينتمي إليه اجتماعيا و ثقافيا .

تحدث عملية التنشئة الاجتماعية للأفراد داخل المجتمع و ذلك من خلال عناصر المجتمع و هي :

أ- المراكز و الأدوار الاجتماعية :

يعرف ميريل المركز عل أنه « الوضع الذي يشغله الفرد في مجتمع بحكم سنه أو جنسه أو ميلاده أو حالته العائلية أو وظيفته أو تحصيله »¹ و يلعب المركز دورا أساسيا في عملية التنشئة الاجتماعية ، و يظهر ذلك من خلال العلاقات التي تقوم بين الأفراد مثل علاقة الابن بالأب. و يعرف الدور على أنه حسب لينتون « هو مجموع الأنماط الثقافية التي ترتبط بمركز معين ، و بذلك تتضمن الاتجاهات و القيم و السلوك التي يصفها المجتمع لكل فرد يحتل هذا المركز ، و الدور الاجتماعي هو الجانب الديناميكي للمركز »²

1- عبد الله زاهي الراشدان ، التربية و التنشئة الاجتماعية ، دار وائل للنشر، عمان ، ط 1 ، 2005 ، ص 78 ،
2- نفس المرجع السابق ، ص 81

تلعب الأدوار والمراكز الاجتماعية دوراً مهماً لأنها تولد المجال للاتصال وتسهله، هذا الاتصال المتبادل على أسس ومعايير اجتماعية مشتركة حتى تضمن استقرار الجماعة، وتعتبر كذلك ضرورية في عملية التنشئة الاجتماعية حتى تسهل عملية دمج الأفراد في الجماعة، حيث يحكم الدور والمركز يمكن التنشئة الاجتماعية أن تستمر داخل الأسرة، فدور الأب ومركزه كصاحب السلطة هو الذي يعطيه الحق في أن يخضع أفراد عائلته للضوابط الاجتماعية المختلفة التي توجه سلوكياتهم، ودور مركز العائلة هو الذي جعلها الوسيط في نقل معايير وقيم المجتمع إلى أفرادها والحفاظ على الامتثال لها، فالمركز والدور هو الذي يحقق النظام داخل الجماعة حتى تصل إلى أهدافها وتتمكن من تحقيق مطالب المجتمع حتى يتسنى لكل واحد أن يقوم بوظيفته في المجتمع وتطبق حدود الطاعة والامتثال التام.

ب- القيم والمعايير الاجتماعية :

تلعب القيم والمعايير الاجتماعية دوراً هاماً وعنصراً فعالاً في عملية التنشئة الاجتماعية، ذلك أن القيمة تعتبر نتاج اجتماعي يتعلمها الفرد ويقوم بتسربها تدريجياً وبعد ذلك يضيفها إلى إطاره المرجعي للسلوك من خلال عملية التنشئة الاجتماعية. إذ أن القيمة تساهم في إعطاء من الناحية الاجتماعية الوحدة للمجتمع، كما أن المعايير الاجتماعية تعتبر عنصراً متداخلاً في عملية التنشئة الاجتماعية، بما أنها محددات للسلوك والمساهم في ضبط السلوك المثالي الذي يرتضيه المجتمع لأفراده فهي كذلك المحددة للأدوار الاجتماعية. ويبقى هدفها الأساسي هو إعطاء الفرد معانٍ موحدة مشتركة مع غيره حتى يتمكن على أساسها من التفاعل معهم وتنمي فيهم روح الجماعة وبذلك فإن هذه العناصر تكون التنشئة الاجتماعية وتجعلها ممكنة وتسهل القيام بها.

3- التنشئة الاجتماعية و الثقافية :

ترتبط عمليتا التنشئة الاجتماعية و الثقافية ببعضهما البعض ، لأن بينهما علاقة تأثير و تأثر ، إذ يكتسب الفرد ثقافة مجتمعه بما فيها من عادات و تقاليد و معتقدات و قيم من خلال عملية التنشئة الاجتماعية. و بذلك لا تؤثر الثقافة مباشرة في سلوك الأفراد بل يعود ذلك إلى مجموعة من المؤسسات و على رأسها الأسرة ، و لكنها تحدد السلوك الاجتماعي للفرد و الجماعة عن طريق عملية التنشئة الاجتماعية لأن لكل ثقافة طابعها الخاص ، و كل ثقافة تريد لأفرادها أن يتطبعوا بطابعها و حتى ينشأوا على أساس واحد و يشتركون في نفس السلوكات و يحملون نفس السمات الثقافية ، فيتميزون بذلك عن غيرهم من الثقافات الأخرى .

4- الأسرة التنشئة الاجتماعية والضبط الاجتماعي :

تعتبر الأسرة إحدى مؤسسات التنشئة الاجتماعية لأن الوظيفة الأولى التي كانت و لازالت تعزى للأسرة هي وظيفة التنشئة ، إذ عن طريق هذه الوظيفة تتمكن الأسرة من نقل ثقافة المجتمع لأطفالها، و عن طريق التنشئة يمكنها تحديد شخصية أفرادها حسب السلوك العام للمجتمع فهي الناقل الأول لقيم المجتمع و ترى و جهة النظر الفرويدية أن التنشئة الاجتماعية هي « عملية اكتساب الطفل و تمثل لمعايير والديه و تكوين الأنا الأعلى » فالأسرة تنشئ أطفالها على معايير المجتمع و قيمه و عاداته ، كما أنها تهذب سلوكهم و تضبطه وفق السلوك العام ، لذلك هذه التنشئة التي تقوم بها الأسرة تلعب دورا هاما في عملية الضبط الاجتماعي لأنها تهذب عاداتنا و أعرافنا ، كما أن التنشئة مهمة كوسيلة لإكساب الفرد ما يتوقعه منه المجتمع فيما يخص الأدوار المستقبلية كدور الزوجة أو الزوج و بذلك تعمل على توحيد سلوك الأفراد من خلال ضبطه حسب معايير المجتمع و قيمه المتوارثة عن الأجيال السابقة .

فالأسرة و عن طريق التنشئة تضبط سلوك أفرادها ، لذلك فالأسرة تقوم بدور كبير كونها تكوّن الفرد و تسهل عملية تكيفه مع مجتمعه . فهي الوسيط الذي يربط الفرد بمجتمعه و قيمته و عاداته، و هي الوسيلة التي من خلالها يتم نقل هذه المعايير و القيم إلى الفرد عن طريق التنشئة الاجتماعية ، لذلك فالعلاقة متلازمة بين الأسرة و عملية التنشئة الاجتماعية فبدون أسرة لا يوجد تنشئة و لا تكون التنشئة متكاملة و كاملة إلا بوجود أسرة ، و في الوقت ذاته هذه العلاقة تكوّن علاقة أخرى ملازمة لها لتكون بذلك حلقة متكاملة هي العلاقة

1- فاتن محمد شريف ، الأسرة و القرابة دراسات في الأنثروبولوجيا الاجتماعية ، دار الوفاء لندنيا الطباعة و النشر، الإسكندرية، 2006، ص 88

بين الأسرة و التنشئة و الضبط الاجتماعي إذ أن الأسرة و من خلال التنشئة تضبط سلوك أفرادها لذلك «فالتنشئة هي القاعدة الأساسية للضبط الاجتماعي و الضبط الاجتماعي يعتبر الآلية الحيوية للتنشئة»¹ و بالنظر في كل العصور فإن هذه العلاقة قد تجسدت في المجتمعات كلها ، إذ في المجتمعات الطوطمية كانت الأسرة هي الدعامة التي تشرع العرف و التقاليد و العادات ، و هي التي ترسم للأفراد قواعد السلوك فلا يحدون عنه و ذلك عن طريق التنشئة الاجتماعية ، فدور التنشئة صاحب الأسرة على مر الزمن و مهما تطورت بينتها عملت دائما على بناء الشخصية الاجتماعية – الثقافية للفرد ، كما أنها تعتبر المؤسسة الرئيسية الأولى في نقل الطابع الاجتماعي للأفراد و تساعده على التكيف و الاندماج في المجتمع ، لأنها تمثل الوحدة الاجتماعية الأولى التي ينشأ فيها الفرد ، و تمثل النموذج الأمثل أو كما سماه كولي " الجماعة الأولية " لأنها تعتبر أساسية في تشكيل طبيعة الفرد الاجتماعية و تحديد شخصيته و سلوكه وفق الشخصية العامة و السلوك العام للمجتمع .

والمجتمع دائم الحاجة للضوابط ، إذ يضع كل مجتمع لنفسه مجموعة من الضوابط التي يتمكن بفضلها تنظيم حياته و علاقاته الاجتماعية و سلوكياته العامة حتى لا تسوده الفوضى ، لذلك تعتبر الضوابط حاجة اجتماعية تنظيمية تعكس حاجة الناس إلى بعضهم البعض. و قد فسر دور كايم الانتحار في إطار هذا المفهوم حيث رأى أن العزاب الذين ينتحرون يكون ذلك لأنهم مجردون من المسؤولية اتجاه أسرهم ، و بذلك يبتعدون عن تأثير الضوابط الاجتماعية التي تحدد سلوكياتهم و تنظم حياتهم حيث لا يخضعون لأي

1- معن خليل العمر ، الضبط الاجتماعي ، دار الشروق للنشر و التوزيع ، الأردن ، 2006 ، ص 126 .

رقابة و يرى روبرت ماكيفر " أن كل شيء في الوجود يخضع للقانون الذي يوائم تكوينه الخاص و يحكم الأشياء في نطاق معين ،التي تعمل على دعم المجتمع و تنظيم مناشط حياته اليومية حسب معايير يسنها لخدمته هو و لحماية الفرد في نفس الوقت و غالبا ما تكون مرنة في ضوابطها و ليست صلبة و مطلقة كما هو الحال في القوانين الطبيعية " ¹ فالقوانين يضعها الإنسان في حياته من أجل تنظيم المجتمع ، و تكون مسايرة للتطور الاجتماعي و كلما كانت نابعة من الوجدان الاجتماعي أو آتية من الماضي و نفعت المجتمع كلما كتب لها أن تبقى و تلتزم بها الجماعة ، و لكن تختلف درجة الإلزام من شخص لآخر لذلك وضع المجتمع عقوبات على كل من يخرج سلوكه عن السلوك العام للمجتمع و يتجاهل الضوابط الاجتماعية ، و بذلك هذا إجراء يحفظها و يحميها و ينظم المجتمع بذلك نفسه ، فالمجتمع بحاجة كبيرة للضوابط لأنها تحفظ نظامه و وحدته و تماسكه و تضمن الامتثال و الطاعة، فيشترك الأفراد في نفس السلوكات و بالتالي تتكون روح الجماعة في المجتمع و يحفظ استمراره و بقاءه .ولكي يتسنى للمجتمع أن يحافظ على استمراريته عليه أن يجد الطرق المناسبة ليضمن بها سيرورة التنشئة الاجتماعية وفق عملية الضبط الاجتماعي و تكمن هذه الطرق في :

أ - الضوابط الداخلية :

و تكون عن طريق غرس المعايير في ضمير الفرد ووجدانه بواسطة التنشئة الاجتماعية ، و ذلك من أجل أن يكتسب سلوك ترضيه الجماعة .

ويكون الضبط الداخلي عندما يتقبل الأفراد معايير المجتمع باعتبارها جزءا من ضمائرهم الاجتماعية و هويتهم الشخصية، حتى يصبح الإمتثال

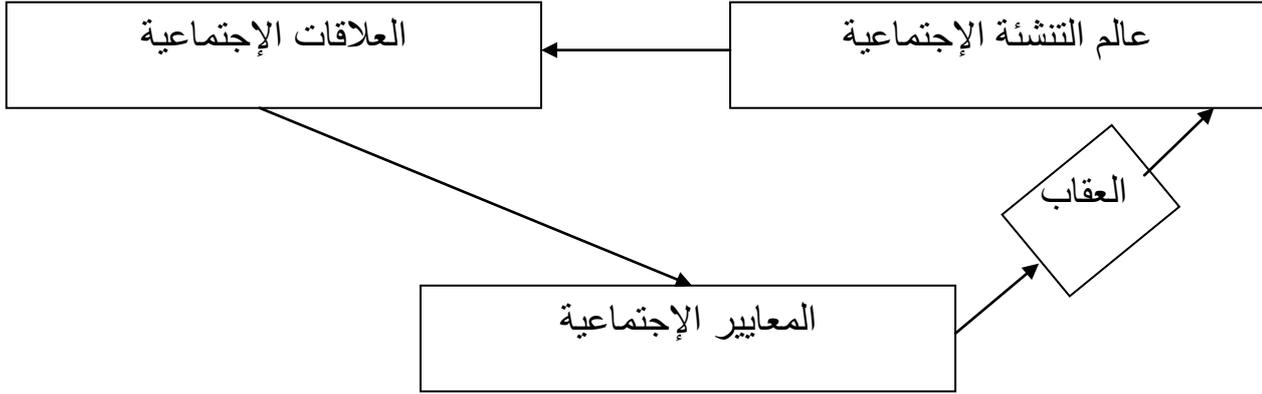
1- معن خليل العمر ، الضبط الاجتماعي ، مرجع سبق ذكره ص 98

نابع من نفس الفرد و ليس لأنه خائف من العقوبة أي يكون الإمتثال بفعل الإرادة. و تكمن أهمية الضبط الداخلي في أنه يمنع الأفراد من الانحراف لأنهم يملكون معايير و قيم اجتماعية غرست في أنفسهم و جبلوا عليها و أي انحراف يبتعدون عنها ، و بالتالي فإن هذا النمط من الضبط يترسخ في اللاشعور ينشأ منه تكوين مفهوم الأنا و الأنا الأعلى لديهم على حد تعبير فرويد. فالضوابط الداخلية هي تمثل الحصانة الداخلية الخفية و الاجتماعية لأنها تحمي الفرد من الانحراف و جنوح الشخصية الفردية عن الشخصية الجماعية و بذلك هي التي تضمن الانتماء للأفراد .

ب - الضغوط الخارجية :

و هي تمارس على الأفراد من خارجهم لكي يكونوا متماثلين في سلوكهم. و تكون هذه الضغوط على شكل عقوبات إجتماعية و عرفية، إذ كل مجتمع يكتسب آليات مجتمعية يمارسها الأفراد تقوم بتعزيز المعايير و القيم الإجتماعية كالسخرية و الاستهزاء و التهميش ، و بالتالي المجتمع يمتلك آليات ضبطية موجهة للسلوك يتمكن من خلالها ضبط كل من يريد الانحراف عن أعرافه و قواعده ، و بالتالي فإن الأسرة هي الأساس الأول الذي يمارس هذه الضغوط الخارجية على الأفراد. و عليه فإن الضوابط الداخلية و الخارجية ما هي إلا آليات تحاول من خلالها الأسرة أن تحافظ على كيانها داخل المجتمع ، و تحمي بها هويتها و هوية الجماعة الكبيرة . و من خلال ما سبق ذكره يمكن تفسير ذلك في ظل المخطط التالي الذي يوضح كيف تتم عملية الضبط الإجتماعي :

مخطط رقم 3 يبين مجالات الضبط الإجتماعي



إن التنشئة الإجتماعية تقوم بتكوين العلاقات الإجتماعية في اطار عملية التفاعل التي تنشأ عنها المعايير الإجتماعية ، و في ظل ذلك يتعلم الأفراد معايير مجتمعهم هذه المعايير التي تقوم بضبط السلوكيات و بالتالي تحديد العقاب الذي يوجه للمنحرف عن سلوك الجماعة .

5- المعايير و القيم بين التحديث و التقليد :

إن منظومة المعايير الإجتماعية في وجود مستمر بين ثنائيتين متناقضتين هما، التحديث و التقليد، لذلك فإن الفرد في أي مجتمع و عند إمتثاله و تشربه لمعايير مجتمعه يجد نفسه في تناقض بين ما يريد الاحتفاظ به و بين ما يدخل عليه من تغيرات جديدة وفق التحديث المتواصل .

و التحديث هو "انتقال المجتمعات التقليدية و البسيطة إلى الاستعانة بنماذج التكنولوجيا و الآلية وما يتبع ذلك من تغيرات في التنظيمات الإجتماعية و البنية الثقافية" ¹ و حسب ولبرت مورفان التحديث سلوك يعتمد على التقليد و المحاكاة من أجل إدخال نظم مستحدثة على حساب نظم قديمة . و قد اعتبر الأنثروبولوجيون أن كل المجتمعات مهما كانت ثقافتهم بسيطة و تقليدية إلا أنها لا توصف بالثبات الدائم، لأن لها نوع من التغير و لكن في اطار ما هو يجب أن يحافظ عليه و ما يكون قابلا للتغير. وهنا يظهر مفهوم المقابل للتحديث و هو التقليد الذي يشير إلى التمسك بالممارسات و الأساليب المنحدرة من الماضي، و لكن هذه التقاليد تعرف كذلك جملة من التغيرات انطلاقا من الاتصال الثقافي الذي تعرفه المجتمعات، وفي اطار ذلك تدخل المجتمعات في ظل التناقض الأبدي بين الانجذاب إلى الماضي و التطلع نحو المستقبل ألا وهو التحديث. لتبقى منظومة المعايير و القيم في اطار هذا التناقض تتأرجح بين ماهو أصيل و ماهو مستحدث، فتهتز القيم العائلية و المعايير الإجتماعية و ذلك رغبة في المجتمعات للتغيير و التحديث. و بذلك تفقد هذه المعايير قليلا من مصداقيتها في اطار هذا التحديث و التغيير وفقا لما تعرفه العائلة من

1- محمد عباس ابراهيم ، التحديث و التغيير دراسة في مكونات القيم الثقافية ، دار المعرفة الجامعية،الإسكندرية ، 2009 ، ص 191

تغير سواء في وظائفها أو بنيتها كإطار مرجعي يصاحب تغيرات المعايير
و بذلك تغير طرق الإمتثال لها .

المبحث الثاني
العائلة و التحولات الإجتماعية و الثقافية

1- العائلة الجزائرية في المجتمع المتغير :

1- الأسرة الجزائرية و التغير الإجتماعي :

يقترن تغير الأسرة العربية بتغير المجتمع ، فأى تغير يمسّ المجتمع لابد و أن يؤثر على الأسر من حيث تركيبها الإجتماعي ووظائفها و علاقاتها المختلفة القرابية و نظم الزواج و غيرها ، إضافة إلى تأثيرها على منظومة القيم و المعايير و طرق الحياة و التفكير داخل الأسرة ، وعند النظر إلى تغير الأسرة نجد تظافر عدة عوامل في ذلك أهمها: التنمية الشاملة و التصنيع و التحضر و التحديث و الإتصال بالحضارات و التفتح على الثقافات و المجتمعات الأخرى خصوصا المتقدمة منها . كما تساهم التربية و التعليم و الحروب و الكوارث و الأزمات في تحول الأسرة من ممتدة كبيرة الحجم إلى أسرة نووية صغيرة الحجم، إلى جانب ذلك هناك عوامل تساهم في ثبات و إستقرار الأسرة و منظومة المعايير و القيم و أهمها التنشئة الإجتماعية التي تتبناها الأسرة في تربية أطفالها و ما تنقله إليهم من قيم و أخلاق التي توجه بهم السلوكات العامة من عادات و تقاليد و أعراف و معتقدات .

إن الأسرة في سيرورتها و على مر العصور عرفت عمليات التغير الإجتماعي و تأثرت بها كباقي المؤسسات المنظمة للمجتمع ، فالأسرة البشرية دائمة التغير و قد مسّ هذا التغير الأسرة في بنيتها ووظائفها و هذا ما أثر على عملية نقل المعايير الإجتماعية و العادات و التقاليد داخلها إذ و بعد أن كانت عملية الضبط الإجتماعي داخل الأسرة تتم بصفة مباشرة أصبحت غير مباشرة خصوصا مع تحول الأسرة من ممتدة إلى نووية .وبالعودة إلى الأسرة الجزائرية قبل التغير هناك نوعان من الوظائف التي كانت الأسرة العربية و الجزائرية خاصة تقوم بها قبل التغير أولها وظائف أساسية كإنجاب الأطفال و تنشئتهم إجتماعيا و دينيا و تربيتهم على أداء الأدوار الوظيفية التي يحتاجها المجتمع ، و العمل على

ضبط سلوكيات الأفراد و تشجيعهم على الزواج حفاظا على العلاقات ، وهناك وظائف أخرى ثانوية مكملة للأولى و قد أصبحت من صلاحيات مؤسسات أخرى كالوظيفة التربوية و التعليمية و غيرها . كما أن العلاقات كانت تحكمها نوعا من التقاليد و الضوابط " كانت العلاقات الداخلية في الأسرة العربية قبل التغيير ضعيفة إذ كان الزواج نادرا ما يكون العلاقات الحميمة مع زوجته و كان نادرا ما يمكث في البيت" 1 و كان الأب يجسد السلطة المطلقة في البيت لأنه القائد الأول، و تسري هذه السلطة على جميع أفراد أسرته بدأ بالأم و ابنتها ، و لكن هذا لا يمنع من تواجد تضامن و تماسك في هذه الأسرة بحكم تشابه أفكار أفرادها و معتقداتهم ، و يتضح التماسك الكبير عند وجود أخطار خارجية مما يقوي من عزيمة هذه الأسر و يضي عليها طابع التكافل . وكانت العلاقات القرابية تتميز بالقوة و الثبات نتيجة عدة عوامل لعل أهمها هو أن الأسرة كانت قبل التغيير ممتدة تضم في مجملها الأهل و الأقارب تحت سقف واحد ، يشاركون في أداء نفس الأعمال و يتقاسمون نفس الخبرات و التجارب لأنهم يتمتعون بنفس الصفات و نفس مظاهر الحياة الثقافية و الإجتماعية ، كما أنهم يشاركون في نفس العادات و التقاليد التي تلقوها في التنشئة الإجتماعية و بنفس الدرجة مما جعل روح الجماعة تتأكد بينهم و داخل الجماعة و تزيد الإعتزاز بالإنتماء . ولكن مع ظهور مفهوم التغيير عرفت الأسرة الجزائرية عدة تغييرات في بنيتها ووظائفها .

1- إحصان محمد الحسن ، علم الإجتماع العائلي ، مرجع سبق ذكره ، ص 257 .

2- مفهوم التغيير الإجتماعي ونظرياته :

من بين المواضيع التي كانت و لاتزال موضع جدل بين المفكرين و الفلاسفة نجد موضوع التغيير ، الذي اختلف معناه من مفكر لآخر كل حسب خبرته و نظريته و إنتمائه ، و حسب التفسير الذي رآه مناسباً .

فهريقليطس عرف التغيير الإجتماعي أنه " التغيير هو قانون الوجود و أن الإستقرار موت و عدم ، و شبه التغيير بجريان الماء فقال : أنت لا تنزل إلى النهر الواحد مرتين ، فإن مياه جديدة تجري من حولك " 1 حتى أن المجتمعات البشرية على إختلافها و أثناء مراحلها قلما تشهد التباث فهي في تغيير مستمر شأنها شأن الأفراد و مظاهر الكون على إختلاف أنواعها . فالتغيير الإجتماعي حقيقة لا مناص منها ، يختلف في معدل سرعته من مجتمع لآخر و لا يقتصر على جانب واحد من جوانب الحياة ، و إنما يتضمن جوانب متعددة " تخص الأسرة ، الدين ، الفن و قضاء و قت الفراغ و الترويح و التكنولوجيا " 2 و لأن الفكر اللاهوتي المحافظ كان هو المسيطر في العصور الوسطى فكان طبيعياً أن يدعو هذا الأخير إلى بث فلسفة التباث و الإستقرار مع نبذ كل ماله علاقة بالحدثة و التجديد ، بسبب طبيعة علاقات الإنتاج السائدة آنذاك من إقطاع و عبودية فكان بديهياً أن تعلق المسيطرين حينها الرغبة في المحافظة على الوضع " لكن بقدم عصر التنوير إهتم أعلامه من فلاسفة و علماء بإقرار حقيقة هامة مفادها أن أمر الإنسان ليس بالضرورة مرهوناً بحتمية القدر

1- رشاد غنيم ، التكنولوجيا و التغيير الإجتماعي ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ط1 ، 2008 ، ص22.

2- سامية حسن الساعاتي ، الشباب العربي و التغيير الإجتماعي ، الدار المصرية اللبنانية ، ط1 ، القاهرة ، 2003 ، ص25 .

و جبرية المصير كما تدعيه القوى اللاهوتية العلوية ، و إنما هذا الإنسان يحوز على قدرة تغيير أحواله المادية و الروحية نحو الأفضل ، بإستخدام العقل و الوعي و الإرادة الشخصية " 1 و لقد تمكنت فلسفة التغيير أن تغطي على فلسفة التباث بظهور الفكر الجدلي الذي مثله هيجل و الذي رأى أن " الأشياء متناقضة في حد ذاتها و أن الشيء لا يكون حيا إلا من حيث إشماله على التناقض " 2 لذلك مصطلح التغيير الإجتماعي يشير إلى " تلك العملية المستمرة و التي تمتد على فترات زمنية متعاقبة يتم خلالها حدوث إختلافات أو تعديلات معينة في العلاقات الإنسانية أو في المؤسسات أو التنظيمات أو في الأدوار الإجتماعية " 3

وعلى هذا الأساس مجمل العلماء قد إختلفوا في الإتفاق على مدلول واحد للتغيير الإجتماعي ، فأحيانا يدمجون بينه و بين النمو و التطور و التقدم " إلا أنه و مع مرور الوقت بدأ العلماء يستخدمون مصطلح التغيير الإجتماعي بإعتباره مصطلحا محايدا لا يحمل معنى التقييم و إنما يصف التغيير كما يحدث في الواقع دون أن يشير إلى التقدم أو التخلف " 4

و عندما نتحدث عن التغيير فإننا نجد أنفسنا أمام مفهوم إحتل مكانة مركزية ضمن

1- أمال ليلي حيرش بغداد ، المرأة و التحولات الحضارية ، رسالة ماجستير في علم الإجتماع ، جامعة وهران ، 2007 ، ص 8 .

2- محمد أحمد الزعبي ، التغيير الإجتماعي ، دار الطليعة للطباعة و النشر ، بيروت ، ط 1 ، 1978 ، ص 37 .

3- محمد عمر الطنوبي ، التغيير الإجتماعي ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، ط 1 ، 1995 ، ص 60 .

4- سناء الخولي ، التغيير الإجتماعي و التحديث ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 2003 ، ص 13 .

المفاهيم النظرية السوسيلوجية المعاصرة لما له من أبعاد تاريخية و أخرى حديثة و معاصرة ، فالدعوة الفعلية للتقدم و التغيير تمخضت عن قيام فكر التنوير أين برزت العديد من التيارات الفكرية ، منها ما حاول دراسة التغيير و التطور الإجتماعي من عدة زوايا كالعوامل الطبيعية ، ومنها ما ركز على المجتمع و حركيته عبر التاريخ لتجسيد نموذج معين لا بد أن يوجد و يكون . إلا أن هذه التيارات و على إختلاف أنواعها في مناداتها للتغيير و التطور أخذت بعين الإعتبار الإنسان كمحرك أساسي لهذه العملية ، فسيطرة الإنسان على الطبيعة مثلا و الرغبة في الحرية و إتساع الفكر العقلاني ، كل هذه الأمور و غيرها كانت تنادي بوجود إنتفاع هذا الإنسان بالتغيير الذي عادة ما يكون في صالحه و لقد ظهرت نظريات عديدة ضمت مجموعة من المفكرين و الفلاسفة الذين أخذوا على عاتقهم مسؤولية تفسير التغيير كل من وجهة نظره .

أ- النظرية التطورية :

لقد كان لمدلول التطور مركزا محوريا في تفسير مختلف أشكال و مظاهر النمو الإنساني مع النصف الأخير من القرن 19، أما في العلوم الإجتماعية أو حتى البيولوجية حيث أنها تعد من النظريات السبابة لدراسة موضوع التغيير الإجتماعي. و مضمون هذه النظرية ينطلق من إفتراض أساسي هو " أن كل المجتمعات تتغير من الشكل البسيط إلى الأشكال أكثر تعقيدا في خط مستقيم من التطور، حيث عكست النظريات إدعاءات أو إفتراضات هذا الوقت و بخاصة القرن 18 و التي تؤكد على أن كل مرحلة متعاقبة تكون أفضل من سابقتها و أن المجتمع الذي يعد مجتمعا كاملا، هو الذي يستطيع أن يحرز في الماضي المرحلة الوضعية " 1 ويعتبر إكتشاف داروين لقانون تطور الكائنات أو التطور

البيولوجي مبعثا رئيسيا لتفسير التغير الإجتماعي ، أين مائل بين المجتمع والكائن الحي في خصائص عدة كالنشأة و الإرتقاء إلى الشكل الأعلى بعد أن كانت في شكلها الأدنى، فضلا على أن المجتمع من وجهة نظر داروين أثناء مسار تقدمه يمر بمجموعة من المراحل المحددة كإنتقال المجتمعات من المرحلة البدائية بكل أطوارها و صولا إلى المرحلة المدنية . حيث ينسب العلماء هذا التغير و التطور إلى جملة من القوانين الطبيعية التي تحمل على عاتقها مسؤولية تفسير كل مرحلة في ظل المرحلة السابقة لها . أما أوغست كونت و الذي يمثل بدوره النظرية التطورية يعتبر أن المجتمع يمر بثلاث مراحل فوضع ما سمي بقانون الحالات الثلاث أولها المرحلة اللاهوتية ثم المرحلة الميتافيزيقية و أخيرا الوضعية ، و تمثل المرحلة الوضعية أرقى و أسمى درجات التطور عند كونت لأنها تصل فيها المجتمعات إلى التطور و تعرف العلم " العلم يحل محل الخرافات حيث يطور البشر عملية التغيير بمصطلحات و قوانين علمية "1 و يرى كونت أن " هذه المراحل الثلاث من التغير تتبع كل منها الأخرى ، كما أن المرحلة اللاحقة تصحح أخطاء السابقة، إلا أن المرحلة الأخيرة نهائية و حتمية بمعنى أنها تمثل النقطة النهائية للتطور أو التغير الإجتماعي حيث تمثل الطبيعة أهم الأسباب المفسرة لكل الظواهر "2 و بالمقابل لويس هنري مورجان Morgan يعتبر من مؤيدي النظرية التطورية و لقد أعزى أسباب التغير الذي يحدث للإنسان و المجتمع بصفة عامة ، إلى إنتقال هذا الأخير في تقدمه عبر محطات مختلفة تبدأ بالمرحلة البدائية ثم البربرية فالمرحلة المدنية ، و يؤكد مورجان أن " كل مرحلة ثانوية أو مرحلة فرعية قد بدأت بإبتكار

1- عدلي أبو طاحون ، التغير الإجتماعي ، المكتب الجامعي الحديث ، ط1 ، الإسكندرية ، 2008 ، ص36 .

2- رشاد غنيم ، مرجع سبق ذكره ، ص 61.

تكنولوجي أساسي فعلى سبيل المثال لقد إعتبر الفخار من مميزات الحالة الدنيا من المرحلة البربرية ، و زراعة النباتات و إستئناس الحيوانات مميزة للمرحلة الوسطى من المرحلة البربرية ، كما أن إبتكار الحروف الأبجدية المنطوقة قد بشر بالمرحلة المدنية، كما أن تنظيم المجتمع السياسي على أساس إقليمي كان أساس وضع الحدود حيث بدأ المجتمع المدني " 1 ، ولقد جعل لكل مرحلة مميزات تخصها دون غيرها تعتمد أساسا على كل ما إختاره الإنسان و يستخدمه في سبيل تحصيله على لقمة العيش فالمرحلة الأولى يعتمد فيها الفرد على الصيد و إستعمال النار ، و المرحلة الثانية ترافق إختراع السهم و القوس ، و المرحلة الأخيرة أين بدأ فيها الإنسان إستعمال الحروف الهجائية فضلا عن كل مظاهر التكنولوجيا المتلاحقة فيما بعد و توالى أبحاث المفكرين و الفلاسفة الموالين للنظرية التطورية التي أنتجت أسماء أخذت على كاهلها مسؤولية تفسير التقدم و التغيير الإجتماعي أمثال هيربرت سبنسر و تايلور و غيرهم و القاسم المشترك بين كل هؤلاء أنهم شاركوا في وضع قالب معين يفسرون من خلاله التغيير من منظور التطور الثقافي و تطور الأنواع .

ب- النظرية الوظيفية :

لقد كان بارسونز من السابقين في تبني مفهوم الوظيفة و أكثر علماء الإجتماع الأمريكيين إعتناقا للفكر البنائي الوظيفي ، و لقد نظر بارسونز للتغيير الإجتماعي من خلال الأنساق الإجتماعية " حيث بدأ بدراسة التغيير بإقتراض و اضح مؤداه أن النسق دائما في دفاع عن حدوده حيث تشتمل في داخلها المحافظة على النسق علاوة على أنه يندمج مع الأنساق الأخرى المحيطة به لإنتاج شكل جديد

1- عدلي أبو طاحون ، مرجع سبق ذكره ، ص 37 .

بصورة تكاملية ، حيث تؤدي التنشئة الإجتماعية و الضبط الإجتماعي دورا أساسيا في الحفاظ على الناس و الإستمرارية ، ومن ثم جاءت أفكار بارسونز عن التغير الإجتماعي تتركز في ضبط تنظيم التغيرات التي يمر بها النسق في طرق و إتجاهات إعادة التوازن و إنتاج و صنع ليس من شأنه أن يكون مطابقا للسابق ، ولكن بالأحرى لدفع التوازن "1 ولكن يعاب على بارسونز لأنه كان غامضا في معالجته لمفاهيم أساسية و مبالغا في صياغة النظريات مما جعل من مفاهيمه بعيدة كل البعد عن كل المعطيات المنتقاة من الواقع ، يضع بارسونز مسلمة هي " أنه بداخل النسق دافع إلى التوازن في مواجهة مؤثرات خارجية نابذة من البيئة المحيطة ، و يقر أن إستمرار التوازن لا يمثل مشكلة على الإطلاق إذ يتحقق بفعل قانون يحكم العملية الإجتماعية قريب الشبه من قانون القصور الذاتي الذي إستعاره من العلوم الطبيعية "2

ج- النظرية الدائرية :

يسود إعتقاد مؤداه أن الحياة تسير في حركة منتظمة و أهم ما يميزها أنها محددة ببداية و نهاية و قد ماثلت هذه النظرية بين المجتمعات و الكائنات الحية في تتابع دائرة الحياة من خلال الميلاد و النمو و مروراً بالرشد ثم الشيخوخة و الممات . ومن بين من برزوا في هذه النظرية شبنجلر و توينبي و إبن خلدون " وقد تفرعت هذه النظرية إلى قسمين هما : النظرية الدائرية العامة التي ترى أن ثقافة أي مجتمع ككل تمر في دائرة تبدأ بالميلاد فالطفولة و تسير نحو النضج

1- رشاد غنيم ، مرجع سبق ذكره ، ص74

2- محمد عاطف غيث ، الموقف النظري في علم الإجتماع ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1977 ، ص123 .

و الإكتمال ثم تتجه إلى الشيخوخة ثم تعود مرة أخرى للرقى و التقدم و تخلق لنفسها ثقافة و تستعيد قوتها و مجدها " 1 ، أما ابن خلدون فلقد وضع الدولة موضع المؤشر و الدليل الذي تقاس به درجة التغير الإجتماعي ، و إعتبر أن الدولة لها أعمار طبيعية كالأفراد فجعل للدولة نظاما تتطور بموجبه منذ نشأتها و حتى مماتها ، و هذا المؤشر يؤكد على حركة التغير الإجتماعي الدائم و المتضمن تحولات بنائية و إنكسارات نسقية و نمطية و إندثار قيم و معايير كان يعتز بها الناس كالعصبية و البسالة و الإشتراك في المجد ، و تبلور معايير فردية و إستهلاكية و خاضعة تقيس المظهر الخارجي الخادع و تغيب قيم الرجولة و البسالة فيبيت المجتمع معتمدا على الآخر في الدفاع عن نفسه و في معظم مناشط الحياة اليومية الإنتاجية " 2

د- نظرية الصراع :

يعتبر كارل ماركس من أبرز الممثلين لنظرية الصراع ، حيث نظريته في التغير الإجتماعي تتمثل في " أفراد مكانة خاصة لعنصرين في الحياة الإجتماعية ، نمو التكنولوجيا و العلاقات بين الطبقات الإجتماعية ، و ترى النظرية أنه يقابل كل مرحلة معينة من مراحل التطور للقوى المنتجة أسلوب معين في الإنتاج و نسق معين تعمل الطبقة المسيطرة على تنبيته للعلاقات الطباقية و تدعيمه ، غير أن التطور المستمر في القوى المنتجة يغير في العلاقات بين الطبقات و كذلك في ظروف الصراع الدائر بينهما ، و في الوقت

1- سناء الخولي ، التغير الإجتماعي و التحديث ، مرجع سبق ذكره ، ص44

2- معن خليل العمر ، التغير الإجتماعي ، دار الشروق للنشر و التوزيع ، الأردن ، ط1 ، 2004 ، ص35

المناسب تصبح الطبقة التي كانت خاضعة في ذلك الحين قادرة على الإحاطة بأسلوب الإنتاج القائم و بنسق العلاقات الإجتماعية و على إقامة نظام إجتماعي جديد "1 و تقوم هذه النظريات على إفتراضات معينة مفادها " أن السلوك الإجتماعي يمكن أن يفهم على أفضل وجه في ضوء التوثر و الصراع بين المجموعات و الأفراد ، و هي تشير إلى أن المجتمع هو الساحة التي يحدث فيها الصراع حول السلع النادرة ، و تعتبر نظريات الصراع أن التغير و ليس النظام هو العنصر الجوهرية في الحياة الإقتصادية ، كما أنها تنظر إلى التغير على أنه عملية جوهرية فعلية في المجتمع و ليست مجرد محصلة جزء ما من النظام الإجتماعي يعمل على نحو غير مناسب أو غير متوازن و ترى هذه النظرية أن الإختلافات البنائية هي مصدر الصراع و لا يحدث التغير الإجتماعي إلا عبر هذا الصراع "2

1- علي ليلة و آخرون ، التغير الإجتماعي و الثقافي ، دار المسيرة ، ط1 ، عمان ، 2010 ، ص350

2- عدلي أبو طاحون ، التغير الإجتماعي ، مرجع سبق ذكره ، ص42 ، 43

3- نظرة الدين الإسلامى للتغير :

لقد ربط الدين الإسلامى التغير بمدى رغبة الإنسان فى حد ذاته فى هذا الأمر حتى يتحقق تغير المجتمع، و جعل من التربية و التعليم عاملان قويان لإحلال هذا التغير، و هناك آيات كثيرة تعزز مفهوم التغير على هذا النحو كقوله تعالى "إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم" 1 و قوله أيضا " ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم و أن الله سميع عليم" 2 و قوله تعالى " ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض و لكن الله ذو فضل على العالمين" 3 وبذلك فإن مفهوم التغير فى الإسلام يتحدد من خلال نفس الفرد بإعتبارها هي التي تتحكم فيه و تساهم فى التغير .

1- سورة الرعد الآية 11

2- سورة الأنفال الآية 53

3- سورة البقرة الآية 251

4- العوامل المؤثرة في تغير الأسرة الجزائرية :

من البديهي أن يكون لكل علة سبب أو أسباب، و نفس الأمر ينطبق و نحن نتحدث عن واقع الأسر الجزائرية التي هي الأخرى لم تسلم من وجود جملة من العوامل التي تضافرت مع بعضها البعض، لتفرز في الأخير نمطا أو أنماطا جديدة تفسر و تبرر مدى تبات هذه الأسر على حالها و سيرورتها أمام هذه العوامل و التغير من عدمه، كإنتقالها من أسرة ممتدة كبيرة الحجم إلى أسرة نووية صغيرة الحجم مثلا أو تغيرها من أسر متماسكة إلى أخرى متفككة و أكثر تعقيدا. ويمكن أن نحدد هذه العوامل في :

أ- العامل الجغرافي : إن طبيعة المكان الذي تستقر فيه الأسرة، و تعيش فيه لسنوات عديدة يضعها في الكثير من الأحيان ضمن قالب معين من حيث الأنشطة المختلفة التي تقوم بها هذه الأخيرة ، فحدوث أي كارثة طبيعية سيضفي لا محالة تغييرا في إتجاهات و سلوك كل عضو من أعضاء هذه الأسرة حتى أن طبيعة المناخ و المصادر الطبيعية المختلفة هي الأخرى تؤثر في دورة حياة الإنسان و على مجمل الأنشطة الممارسة .

ب- العامل البيولوجي و السكاني :

هناك عوامل أخرى تساهم بشكل أو بآخر في إحداث تغييرات أسرية منها ما هو بيولوجي " فتوزيع الجنس له دخل كبير في تغيير الأسرة و قد تبين من عدد من البحوث أن معدل الزواج يرتفع كلما كان عدد الذكور أكثر من الإناث ، كما أن زيادة الذكور أو نقصهم في مجتمع ما يؤدي إلى تغيرات ملحوظة كإرتفاع أو إنخفاض معدلات الزواج و إنتشار الدعارة و الأطفال غير الشرعيين "1 حتى

1- سناء الخولي ، الأسرة و الحياة العائلية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1984 ،

أن سن الزواج و سن النضج البيولوجي و كذا معدل الخصوبة كثيرا ما يتسبب في إحداث تغيرات أسرية مختلفة ، و فضلا عن ذلك فإن أي تغيير في توزيع الناس و حجمهم سيؤدي بالضرورة إلى وجود فوارق و تغيرات إجتماعية فإذا ما تتبعنا مثلا تاريخ الأسرة و سيرورتها نجد أن كثيرا ما صاحب النمو السكاني السريع مجموعة من المشاكل كتقليص فرص الحصول على الإكتفاء من التغذية و فرص الظفر بمواصلة التعليم

ج- العوامل الإجتماعية :

إن الإنتقال من الريف للحضر ، و إنتشار التصنيع من أهم العوامل التي أدت إلى تغيرات في الخصائص البنائية و الوظيفية للأسرة و تمثل هذا في حجم الأسرة و التغيرات الوظيفية ، إلى جانب التغيرات الجذرية التي طرأت على أنماط التفاعل بين أفرادها و على مجموعة القيم التي توجه هذا التفاعل ، " فالهجرة المتزايدة إلى المدن و ما ترتب على ذلك من تحرر من الروابط التقليدية و القرابية ، وما أتاحتها فرصة تعليم المرأة و خروجها للعمل ، كل هذا إنعكس بدوره على الأدوار ، و ما حققته المرأة من إستقلال إقتصادي و ما صاحبه من إستقلال عاطفي و إجتماعي و إنعكس هذا أيضا على دور الطفل في الأسرة و المجتمع "1

د- العامل التكنولوجي : وهناك من الباحثين من ينسب التغيرات الإجتماعية الطارئة على الأسر إلى العامل التكنولوجي ، بحجة أن التكنولوجيا وجدت أصلا لمساعدة الإنسان في أداء مهامه ووظائفه على أكمل وجه و في أقل وقت

1 – محمد أحمد بيومي ، عفاف عبد العليم ناصر ، علم الإجتماع العائلي ، دار المعرفة

الجامعية ، الإسكندرية ، ط1 ، 2003 ، ص215 – 216 .

وجهد ، و حتى يتحقق لديه قدرا كبيرا من الرفاهية و تقليل الأعباء مع إتاحة وقت فراغ أطول ، لكن عادة تتم هذه التأثيرات التكنولوجية بصورة غير مباشرة تأخذ من المدن الحضرية و التصنيع مظاهرا ، غير أن هذا لا يمنع من وجود تأثير مباشر ، فالأسرة التي تفتني الأدوات المنزلية الحديثة و مختلف وسائل الترفيه و الإكتشافات العلمية لا سيما في مجال التطبيب و المداواة ، تكون أكثر تأثيرا من غيرها من حيث البناء و الوظائف بدليل أن معظم الأسر خاصة في المجتمعات المتطورة ، و التي تستعمل الوسائل التكنولوجية الحديثة ، تميل إلى تحجيم و تقليل عدد الأطفال المرغوب في إنجابهم . لهذا ليس غريبا أن يكون لهذا العامل و عوامل أخرى السبق في ممارسة تأثيرات مباشرة على تغير الأسرة من حيث عدة مظاهر كالبناء و الوظائف و الأدوار و أمور أخرى .

ومهما تكن طبيعة هذه التغيرات فإنها تبقى في الكثير من الأحيان المسؤول عن تفسير العديد من الأمور المتشعبة التي تحدث لهذه الأسر ، ولعل في مقدمة هذه العوامل نجد كل من التحضر و التصنيع و التفتح على العالم الخارجي من خلال الإحتكاك ببقية الشعوب المختلفة و تكوين إتصالات متبادلة إلى جانب التربية و التعليم ، التنمية و غيرها من العوامل التي يعزى إليها الدور الذي تلعبه في إحداث جملة من التغيرات على الأسر . فالتصنيع مثلا له الفضل في إنتقال الأسر من شكلها التقليدي الممتد إلى شكلها الحديث المصغر الحجم ، حيث أن " الأسرة النووية تتلاءم مع جو المجتمع الصناعي أكثر من الأسرة الممتدة "1 فالتصنيع يحفز على إحداث طريقة عيش مختلفة كإشراك الزوجان في مختلف العمليات الإجتماعية التي كانت بالأمس القريب من صلاحيات الجد

1- إحسان محمد الحسن ، علم الإجتماع العائلي، مرجع سبق ذكره ،ص 260.

أو كبير العائلة فأصبح هذان الزوجان يتمتعان بقدر كبير من الإستقلالية في السكن في إتخاذ مجمل القرارات المتعلقة بهما أو بأطفالهما أو بمصيرهما معا .

كما أن هذا التصنيع قضى على الملكية العائلية، إذ على مر العصور أعتبرت العائلة وحدة إجتماعية و إنتاجية تحقق بذلك إكتفائها الذاتي، لذلك كانت الأرض بالنسبة لها رأسمال يضمن لها الوصول إلى ذلك الإكتفاء الذي كانت تطمح إلى تحقيقه ، بحيث كان يشترك كل أفراد العائلة من ذكور في خدمة الأرض و لكن مع الوقت تولد لدى العائلة رغبة في زيادة حجمها، مما عرض ملكيتها إلى العجز على توفير حاجيات أعضائها خصوصا بعدما تعرضت هذه الملكية الزراعية إلى تقسيمات ناتجة عن توزيع الأرض على الأبناء من خلال الإرث أو رغبة في الوالد و رب العائلة التقليدية إلى إستقلال أبنائه عنه. ومع ظهور التصنيع أصبح هؤلاء الأبناء يبيعون الأراضي بعدما كانت الأرض تمثل كل شئى عندهم ،مركز وحدتهم و قوتهم ورمز إنتمائهم و رجولتهم و مركز إقتصادهم ليعملوا في المصانع ، و بذلك إختفى العمل الزراعي الذي كان يورث بين الأجيال و قلت الحرف التقليدية التي كان يحرص الأباء على تلقينها لأبنائهم من أجل الحفاظ على وجودها و عدم إندثارها ، هذا ما جعل قيمة العمل ترتبط بما يكتسبه الإنسان لسد حاجياته ،و هذا ما يدفعنا أن نقول أن قيمة العمل أصبحت مادية و أصبح الإنسان يعمل من أجل الحصول على نقود فقط لسد حاجياته الأساسية و ليس خدمة أرضه لتبقى فبعدها كان مالكا أصبح أجيرا .

وهذا التفكك و الإبتعاد عن الأرض كان سببا في التغيرات التي عرفتها العائلة و التي أضحت غير قادرة على تحقيق الإكتفاء الذاتي لأفرادها ، و بخروج الفرد للعمل خارج إطار مجموعته إنحلت الروابط و العلاقات الإجتماعية و إتسعت الفجوة بين أفراد العائلة الواحدة و بالتالي زادت الفردانية بينهم بعدما كان يحس الفرد بإنتمائه للعائلة و عضويته فيها ، و بعدما كانت الأسرة وحدة إنتاجية تحولت إلى وحدة إستهلاكية " قضى الإنتاج الصناعي الكبير على وظيفة

الأسرة الإقتصادية في المجتمع الحضري و تحولت الأسرة فيها إلى وحدات استهلاكية خالصة بدرجة كبيرة بعد أن هيا المجتمع منظمات جديدة تقوم بعمليات الإنتاج الآلي و توفير السلع و الخدمات " 1 و على هذا الأساس تحولت الملكية الجماعية إلى ملكية فردية مرتبطة بالمركز الإقتصادي لا بالمركز الإجتماعي و ساهمت هذه التحولات في إستقلالية أفراد الأسرة .

إلى جانب إقتحام المرأة ميدان العمل من بابه الواسع و مساهمتها جنباً إلى جنب مع الرجل في تحمل قدر معين من مسؤولية البيت و الزوج و الأطفال و حتى المساهمة في تغطية بعض النفقات و إستحداث بعض الأولويات التي كان الرجل في الأسرة الممتدة و التقليدية يتكفل شخصياً بتغطيتها و السهر على توفيرها .

و بولوج المرأة إلى عالم الشغل و الوظيفة الذي ما فتئ يزداد يوماً بعد يوم أصبح لزاماً على هذه الأخيرة أن تتبنى أفكاراً جديدة إن هي أرادت توفير لنفسها و أهلها مستو معيشي و إجتماعي و ثقافي معين، كأن تقلص من حجم الأطفال المراد إنجابهم عن طريق إستعمال وسائل للتخطيط الأسري . و حتى مفاهيم الدور بالنسبة للجنسين هي الأخرى شهدت و لازالت تشهد جملة من التغيرات ، فدور الزوجة المعاصرة مختلف إلى حد ما، فقد أصبحت مستقلة إلى حد ما من حيث التوجيه و المراقبة و أصبح لها حرية الإختيار، كما كان لإلتحاق المرأة بالعمل في الماضي يقابل بالإحتجاج من المجتمع على عكس ما هو في الوقت الحالي إذ تشجع كل أسرة بناتها على إتمام الدراسة و الإلتحاق بالعمل ، و نظام تقسيم العمل بين كل من الزوج و الزوجة تغير إلى حد ما فبينما كان الرجل يمارس مختلف الأعمال خارج المنزل و يتكفل بتحقيق متطلبات البيت، و كان هو المسؤول و الأول و الأخير على كسب موارد العيش لأسرته

1- محمود حسن ، رعاية الأسرة ، دار الكتاب الجامعية ، الإسكندرية ، 1977 ، ص15

كان دور المرأة منحصرا في عملية الإنجاب و التربية و الإشراف على التكفل و النهوض بأعباء المنزل و تحقيق متطلبات الزوج و الأقارب ، لكن سرعان ما شهد دورها تغييرا ملحوظا فأصبحت تمارس دورين إجتماعيين متكاملين، ربة البيت و المرأة الموظفة بالإضافة إلى تقديم يد العون من طرف الزوج الذي أصبح إلى جانب عمله يشرف في الكثير من الأحيان على مساعدة المرأة و يشاطرها في تحمل بعض المسؤوليات التربوية و غيرها . وبذلك أصبحت الحياة الزوجية مشتركة بين الزوجين و مفهوم الشراكة تحدد فيها .

و فضلا على ما تقدم ذكره فإن التصنيع و التحديث كثيرا ما يؤدي إلى تقليص حجم الأسرة، إذ تميزت العائلة التقليدية بكونها عائلة ممتدة تربط بين أفرادها علاقات قرابية يحكمها التضامن و التعاون و يرأسها الأب أو الجد (رب العائلة) مما جعلها محافظة على توازنها ، و مع التطور عرفت تحولات عديدة و مختلفة تسببت في ظهور قيم و سلوكات جديدة شجعتها على الانتقال إلى الحياة الحضرية التي فرضت عليها التحول من أسرة ممتدة إلى نووية ، حيث فقدت العائلة التقليدية خصائصها الشخصية المشتركة و ظهر المسكن المستقل أو الفردي، الذي يحوي الأسرة الزوجية القائمة على أساس التعاون و التكاليف القوي للروابط الداخلية و المحمية من القوانين ، التي حلت محل السلطة العائلية مما أثر على أشكال التنشئة الإجتماعية التي كانت تشرك فيها كل العائلة لتصبح من إختصاص الوالدين ، و إتصفت بالمرونة الفردية و الإستقلالية في مسكن خاص بها هما أبرز مظاهر التغير في الأسرة النووية في المجتمع المعاصر " 1 وهذا ما ينتج عنه ضعف الروابط الأسرية و العائلية بمعنى آخر ، فإن هذا

1- علياء شكري ، الإتجاهات المعاصرة في دراسة الأسرة ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، بدون تاريخ ، ص 153 .

الأخير له دخل في تفكيك إيديولوجية الأسرة و يتسبب في ضعف العلاقات الداخلية بين مختلف الأفراد و الأقارب ،مما يؤثر على عملية نقل القيم و المعايير بما في ذلك العادات و التقاليد، إذ أن هذا الضعف في العلاقات يضعف من عملية الضبط الإجتماعي التي كانت تقوم به الأسرة قديما، كما أن دور الأم الذي كانت فيه تمثل الحامي و الحريص على القيام بالعادات و الناقل العام للتراث قد تغير خصوصا بعد خروجها للعمل ، و عموما فقد كانت هذه العوامل سببا في تغيير نمط حياة المجتمع الجزائري و على رأسها الثقافة ، حيث تغيرت العادات و مظاهر السلوك و قواعد الأعراف و أصبحت كلها تساير و تواكب التغير ، فالزواج تغير من حيث الشكل و النمط و أصبح يساير التغير الإجتماعي الذي تعرفه المجتمعات العربية ، كما أن وسائل الإتصال و الإعلام التي ساعدت على التفتح على العالم ساهمت و لازالت تساهم في إدخال أنماط جديدة على الأسر خصوصا في طريقة الزواج ،حيث أنه حاليا الزواج " لا يحدث دون أن تسبقه فترة من التعارف تتيح لكل من الفتى و الفتاة التعرف على الشخص الذي سوف يصبح شريك المستقبل و إن اختلف أسلوب هذا التعارف تبعا للطبقة الإجتماعية التي ينتميان إليها " 1 فأغلب أعضاء الطبقة المتوسطة في الوقت الحاضر، كالمهندسين و الأطباء و المحامين و المدرسين لا يطلبون من أقاربهم إختيار زوجاتهم لهم كما كان يفعل أعضاء الطبقة العمالية و الفلاحية، حيث أن زواجهم أصبح يتعلق بهم أكثر مما يتعلق بذويهم و أقاربهم أي أصبح مسألة شخصية أكثر منها جماعية ، كما أن عامل الإختلاط الذي واکب التغير و الموجود في المؤسسات التربوية و التعليمية و الإجتماعية

1- سناء الخولي ، الأسرة و الحياة العائلية ، مرجع سبق ذكره ، ص176 .

و غيرها ساعد بشكل كبير من رفع حظوظ الإختيار الحر، بل و عمد أي عامل الإختلاط على أن يشرف كل من الرجل و المرأة شخصيا على تنظيم هذا الإختيار. فأضحى التعاون المشترك بينهما يظهر جليا في تحمل مختلف تكاليف الزواج و مسؤولياته، كما أتاح للمرأة أن تختار مع زوجها المستقبلي لوازم العرس و خاتم الزواج و غيرها من الأمور التي كانت و إلى وقت قريب من إختصاص الوالدين و الكبار في السن من أقارب الزوج ، كما أن التعليم ساهم و بقدر كبير في تغيير تركيبة و بناء الأسرة و حتى في وظائفها و علاقاتها الداخلية و الخارجية . فإكتساب الأفراد لمجموعة من المؤهلات العلمية يخوّل لكل واحد منهم إنتهاج مسار حياتي ،معين بدء بإختيار المهنة و الوظائف التي تناسب ميولاتهم و رغباتهم و مستوياتهم من جهة، و التي تساعدهم على تحسين أوضاعهم الإجتماعية و الإقتصادية و تضمن لهم قسطا معينا من الإستقلالية المادية من جهة أخرى، مما يساعد على وجود أسر نووية صغيرة تحظى بمستوى معيشي مرتفع، بالإضافة إلى أن إشتراك الأفراد في ثقافة معينة و درجة من التربية و التعليم ، يساهم في تغيير ذهنية هؤلاء الأفراد فيصبح الرجل مثلا قادرا على إتخاذ قرارات تخصه في عدة أمور و على رأسها الزواج حيث يصبح قادرا على إختيار شريكة حياته بنفسه، دونما أن يقحم طرفا آخر من العائلة ليتولى عنه إنجاز هذه المهمة و يكتفي بموافقة أهله بعد أن يتحقق إختياره الشخصي و نفس الأمر بالنسبة للمرأة المتعلمة و المثقفة فأصبحت اليوم تتمتع بقدر من الحرية في الإدلاء بأرائها كأن تقبل أو ترفض من يتقدم لخطبتها خاصة إذا كانت شخصية هذا الأخير تتلاءم و إتجاهاتها أو ميولاتها، و حتى بعد الرفض قلما تجبر على الإرتباط بهذا الشخص غير المرغوب فيه عنوة أو قهرا . غير أن هذا التغيير لا يمكن تعميمه على جميع الأسر الجزائرية فهناك نسبة غير قليلة من هذه الأسر لازالت تتمسك بالوظائف التقليدية التي كانت

تؤديها سابقا و هذا يفسر الخصوصية التي تميز الأسر الجزائرية خاصة
و العربية عامة وهي الجمع بين الصفات التقليدية و الحديثة للأسرة.

II- الأسرة الحضرية :

1- الأسرة و المقومات الحضرية :

من التحولات الإجتماعية و الثقافية التي مست الأسرة في عمقها، الحضرية كسلوك إجتماعي عرفه المجتمع المعاصر و ما إنجر عنه من تغيرات على جميع المستويات. و الحضرية هي " ظاهرة إجتماعية جغرافية ينتقل السكان في ظلها من المناطق الريفية إلى المناطق الحضرية و بعد إنتقالهم يتكيفون بالتدرج مع طرق الحياة و أنماط المعيشة الموجودة في المدن ، و هو أساسا يعني تمركز السكان في المدن و يؤدي إلى تغير إجتماعي و ثقافي و تدعيم الروح الفردية في العلاقات التي تصبح ثانوية بعدما كانت أولية في القرية " 1 ويشير هذا التعريف إلى أن أهم تحول هو التحول في العلاقات الإجتماعية ، حيث ينتقل المجتمع من الروح الجماعية إلى الروح الفردية .فالحضرية في جوهرها تشكل أسلوب حياة يمتاز به سكان المدن و تفرضه الطبيعة الإيكولوجية و الإجتماعية و الثقافية للمدينة ، حيث يصبح الفرد في المجتمع الحضري يكتسب ثقافة خاصة هي الثقافة الحضرية .وقد إعتبر ويرث لويس L.Wirth من الذين يعزى لهم الفضل في تحديد مفهوم الحضرية حيث رأى " أن إيكولوجية المدينة بما تفرضه من تفاعلات و علاقات تنتج عنها سلوكات و ذهنيات تطبع حياة الفرد الحضري و تكسبه ثقافة خاصة تنعكس على سلوكه يمكن أن نطلق عليها الثقافة الحضرية يكتسبها الفرد من خلال الإقامة في المدينة و يتلون سلوكه بلونها "2، لذلك إعتبر ويرث أن هذا التحضر يؤدي إلى تغير في نوعية العلاقات الإنسانية و طبيعتها. و قد تظهر هذه التغيرات من خلال ما ظهر على المستوى الواقعي و الفعلي من

1- محمد بومخلوف ، التحضر ، شركة دار الأمة ، الجزائر 2011 ، ص23.

2- نفس المرجع السابق ، ص28

حيث إبتعاد العائلة التقليدية عن وحدتها القرابية و تقلص حجمها و ذلك في إطار ظهور الأسرة النووية ، وبذلك الإستقلال الذاتي للأفراد داخل العائلة الكبيرة سواء كان هذا الإستقلال إقتصادي أو إجتماعي ، حيث أنه تمكن الأفراد الخروج من عزلتهم الداخلية المغلقة و الحلقة المتواصلة التي كانوا يدورون فيها ، مما جعلهم يسايرون الظروف الحضرية التي أحدثت تغييرات أثرت على أدوار و مراكز الأفراد الإجتماعية داخل المجتمع. لذلك يعتبر التحضر عاملا أساسيا في تغيير سمات و خصائص المجتمع من تقليدي إلى حضري و يظهر ذلك جليا في مختلف المجالات، أهمها مكان الإقامة الذي إنتقل من الدار الكبيرة إلى البيت الفردي ، إضافة إلى تحول العمل الزراعي إلى صناعي الذي تمكن من أن يضمن لكل فرد إستقلالته الإقتصادية، بعد أن كان في تبعية لرئيس العائلة ألا وهو الأب و الإنتقال من الملكية الجماعية إلى الملكية الفردية ، هذه الحضرية التي خففت من سلطة العائلة في بعض المجالات .

و التحدث عن الحضرية يفرض علينا الحديث عن أهم الأنماط الحضرية، ألا و هي المدينة و في إطار دراستنا لمجتمع البحث فإننا ينبغي علينا دراسة مفهوم المدينة كعنصر أساسي في الدراسة ، فما هو مفهوم المدينة ؟

أ- تعريف المدينة :

كانت المدينة ولازالت تقترن بمفهوم التحضر والمدنية، وإن كان مايشد الإنتباه عند محاولة تحديد معناها ذلك الإختلاف الموجود بين لفظ المدينة والمدنية على إعتبار هذه الأخيرة أنها قمة الهرم الإجتماعي والتحضر قاعدته، ولكن إختلفت النظريات حول المدينة وأضحت تتغير على مر العصور لتمثل المجتمع الذي يعرف الرقي و يبتعد عن كل السلوكات الريفية و ما هو مرتبط بالثقافة الشعبية لأنه يمتاز بثقافة رسمية تكسبه نمطا خاصا من الحياة الإجتماعية . ومع تعدد النظرات حول المدينة تعددت معانيها وتوسعت الإتجاهات التي فسرتها ، فمنهم

من نظر إليها على أنها مجموعة من الوحدات التي تطورت خلال التاريخ الإنساني نتيجة الصراع مع الطبيعة، أو على أنها مظهر أساسي للعلاقات المتبادلة بين الإنسان و المكان، أو مجموعة من العلاقات الإقتصادية المتبادلة، ومنهم من نظر إليها بصفاتها مراكز الإشراف السياسي أو الحربي أو التجاري، كما أعتبرت نوعاً متميزاً من الوجود الإنساني ومنهم من وضع لتعريفها عدة معايير، ففئة وضعت المعايير الديمغرافية الإحصائية كمحدد أول للمدينة وفئة أخرى ركزت على العامل الإقتصادي المهني لتحديد المدينة. وقد ربط ابن خلدون مفهوم المدينة بالحضر و فسر المجتمع الحضري إنطلاقاً من مفهوم العمران فعرف العمران على أنه " التساكن والتنازل في مصر أو حلة للأنس بالعشير و إقتضاء الحاجات لما في طباعهم من التعاون على المعاش، ومن هذا العمران ما يكون بدويا و هو الذي يكون في الضواحي و الجبال و في الحلل المنتجة للقفار و أطراف الرمال، ومنه ما يكون حضرياً وهو الذي بالأمصار و المدن للإعتصام بها و التحصن بجدرانها . "1

وهكذا يقسم ابن خلدون العمران إلى بدوي وآخر حضري و ذلك من خلال وضع فروقات بينهما تركز أساساً على إختلاف في طرائق الحياة والكسب أو النمط المعاش. ويعرف برقل E. Burgel المدينة " كتجمعا فيزيقيا متألف من مجموعة من الشواهد الحضرية كالشوارع المنسقة الطرق المعبدة و المنازل المشيدة و مراكز التجارة و اماكن

1 – عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة، كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر، الدار التونسية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص74.

العبادة" 1 كما يعتبر قرافماير Y.Grafmeyer المدينة " رقعة جغرافية
وسكان فهي في آن واحد تشكل إطار مادي ووحدة حياة إجتماعية "2
لأنها تمثل أشياء مادية وفي الوقت ذاته مجموعة من العلاقات الإجتماعية
تربط بينالأفراد ،وبالتالي هناك علاقة جدلية بين الإنسان و المدينة
علاقة تكوين و تكون، تأثر و تأثير، بحيث يصنع كل منهما الآخر
فبعد أن شيد الإنسان المدينة حسب ما يريده و ما يشعره و ما يتصوره
إجتماعيا وثقافيا ، أصبحت هذه المدينة بيئة خاصة تساهم بدورها
في صنع و بلورة ثقافة الإنسان ذاته ورأى لوفبرLefebvre المدينة
على أنها " إنعكاس المجتمع في الأرض"3، أما سوروكين و زيمارمان
يؤكدان على أن التعريف الدقيق للمدينة هو الذي يأخذ بعين الإعتبار
تعدد بعض العوامل وإرتباطها منها المهنة لأن المجتمع الحضري
يرتكزأفراده على الصناعة على خلاف المجتمع الريفي الذي يركز
أفراده على الزراعة ، البيئة ، حجم المجتمع المحلي ، كثافة السكان ،
التنقل والحركة إضافة إلى نسق التفاعلات وهذا لايعني أن المدينة هي
مجرد تجمعات إنسانية أو أبنية، بل هي كذلك عادات و تقاليد أوجدها الإنسان
وورثها إلى الأجيال التي خلفته كما صورها بارك و أكد ذلك دوفينيوي

1- محمد إسماعيل قباري ، علم الإجتماع الحضري و مشكلات التجهيز و التغير و التنمية
، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، 1986 ، ص184

2-Yves Grafmeyer , Sociologie urbaine , Paris , Nathan , 1994, p8.

3-Henri Lefebvre ,Le droit de la ville , ed Anthropos, Paris, 1974 ,
p64

J. Duvignaud. فإعتبرها " مؤسسة تمثل تجمع لأفراد يحملون ثقافات مختلفة ، وبالتالي يحصل ذلك التقارب في العادات و التقاليد المختلفة للسكان "1 هذا التقارب بين الأفراد يؤدي إلى ظهور قيم و معايير لديهم ، فتظهر تمثلاتو تصورات جديدة عند كل منهم تؤدي إلى ظهور ممارسات أخرى .

1- Jean Duvignaud , La solidarite , Fayard ,Paris, 1986 , p49

ب- المدينة من الناحية السوسولوجية

تعتبر المدينة ظاهرة إجتماعية تعبر عن الممارسات الجمعية والسلوكات العامة للناس، ولقد إهتم علماء الإجتماع بدراسة المدينة والحضر منذ القرن 19. وقد سبقهم إلى ذلك مفكرين أمثال إبن خلدون. وقد إختلفت آراءهم للمدينة بإختلاف إتجاهاتهم فكونوا علما خاصا هو علم الإجتماع الحضري الذي عمل على دراسة المدينة من كل النواحي، وأوجد وجوه الفروقات بينها وبين الريف، وتأثير الحياة الحضرية على الأفعال الإجتماعية. وفي ظل هذا العلم إختلفت الإتجاهات، فمنهم من رأى المدينة كفضاء مقابل للفضاء الريفي مثل توينز الذي وجد ثنائية المجتمع المحلي / المجتمع، ودوركايم التضامن الآلي / التضامن العضوي، وفيبر السلطة التقليدية / السلطة الرشيدة¹ و منهم من نظر إليها من خلال القيم الثقافية، وفئة أخرى فسرتها وربطتها بالعوامل الإيكولوجية، وقد ظهر إتجاهان لعباد دورا هامافي دراسة المدينة و إعطاء نظرة شاملة عنها :

الإتجاه الأول عبرت عنه المدرسة الألمانية أو مدرسة فرانكفوت وقد أكدت على الجانب النفسي الذي يميز الحياة الحضرية، ومن روادها ماكس فيبر الذي إعتبر المدينة مكان يعيش سكانه على

1 - محمد الجوهري ، علياء شكري ، دراسات في علم الإجتماع الريفي والحضري ، دار الكتاب للتوزيع ، الإسكندرية، ط3 ، 1979 ص ح من مقدمة الكتاب

التجارة و التبادلات أكثر من إعتادهم على الزراعة وهذا ما ركز عليه ابن خلدون عند دراسته الفروقات الحضريّة الريفية، ذلك أنه رأى أن سكان الحضر يرتكزون على الصناعة و التجارة أما سكان البدو فنشاطهم قائم على ضروريات الحياة و تقتصر على الفلاحة و تربية المواشي "إعلم أن إختلاف الأجيال في أحوالهم إنما هو إختلاف نحلّتهم من المعاش"1 و يعرف ماكس فيبر المدينة على أنها " ذلك الشكل "2 الإجماعي الذي يسمح بظهور أعلى درجات الفردية و التفرد، وهذا ما يفسر كون المدينة تشجع على الفردية عكس الريف الذي تتسم حياته بأنها جماعية يشترك أفرادها في تنظيم سلوكياتهم. وهذا ما عبر عنه دوركايم بالتضامن العضوي و التضامن الآلي، و لأن المدينة تشجع على الفردية فإن الضمير الجمعي و سلطته تقل بها، و بذلك تضعف الرقابة على الأفراد. مما يؤدي إلى فقدان بعض العادات و التقاليد عكس المجتمع الريفي الذي يعتمد على الجماعية، و بذلك فإنه يقوى فيه الضمير الجمعي و سلطته و تكون الرقابة شديدة على العادات و المعايير الإجماعية و أي إبتعاد عنها يؤدي بصاحبه إلى التهميش و العقاب من المجتمع. لذلك تعمل الفردية في المدينة على التقليل من سلطة الضمير الجمعي، و الجماعية تؤدي إلى تكوين روح الجماعة، و قد وصف سيمل Simeل الحياة بالمدينة بالميتروبوليتانية خالية من العواطف و فردانية، و ركز في تحليله على الأسس

1- عبد الرحمان بن خلدون، مرجع سبق ذكره، ص165 .

2- محمد عاطف غيت، علم الإجماع الحضري، مدخل نظري، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية 1979، ص 30

النفسية التي توجد وراء الحياة الحضرية ، و لكن في حقيقة الأمر فإن حتى ولو إنتشرت الفردانية في المدينة ، إلا أن سلطة الضمير الجمعي لا تقل بل تزيد لأن في الريف يشترك الأفراد و يتضامنون لذلك يشعرون بتماسكهم و جماعتهم فلا يحتاجون لبعضهم البعض ، و لكن في المدينة الفردانية تجعل الأفراد بعيدين عن بعضهم البعض، و لكن في الوقت ذاته يحتاج كل واحد منهم الآخر و يعتمد عليه في حياته مما في الواقع يقوي الضمير الجمعي و ينمي روح الجماعة .

أما الإتجاه الثاني فمثله مدرسة شيكاغو الأمريكية وركزت في دراستها على مبدئين :

- البحث عن الأسباب غير الإقتصادية التي تنشأ ثقافة المدينة .

- البحث عن كيفية تجديد ثقافة المدينة.

و كانت لهذه المدرسة نظرة أخرى للمدينة، حيث إعتبرتها مكان تتوفر فيه إمكانيات الحياة الثقافية و الأخلاقية ، و من روادها روبرت بارك و الذي إفترض أن ثقافة المدينة تتجسد في كل الأشياء المادية و إعتبر المدينة إتجاه عقلي مركب من العادات و التقاليد فالمدينة " هي المكان الطبيعي لإقامة الإنسان المتحضر "1 لذلك فهي تشكل البيئة الطبيعية ليعيش فيها البشر حيث تنظمها القوانين خاصة و تعرف درجة عالية من التنظيم ، كما أكد بارك على أن العلاقات بين الأفراد في المدينة سطحية لا تتعدى المحيط الذي يعيشون

1- سيد عبد العاطي ، علم الإجتماع الحضري ، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ، ج1 ، 1995 ، ص313 .

فيه .و بذلك فإن الرباط الإجتماعي في المدينة يقل و هذا ما يؤكد قلة الرقابة و السلطة الجمعية. فيها ومن تلامذة بارك لويس ويرث وقد نظر إلى المدينة من زاوية مخالفة عن أساتذته لأنه لم يسلم بالنظرية الإيكولوجية كنظرية حضرية نهائية، لأن الحضرية في نظره هي طريقة حياة خاصة بالمدينة و المدينة كيان إجتماعي، والحضرية في داخلها تتجسد في أنماط للفكر والسلوك يمثل السلوك الحضري ، وقد أكد على اللاتجانس في تعريفه للمدينة لأن في إعتقاده أن الحجم الكبير للمدينة وكثرة سكانها و لاتجانس حياتهم الإجتماعية عوامل تؤثر في طريقة الحياة بالمدينة ، لذلك نجده ربط في نظريته بين الثقافة والحضرية. وعليه فإن لاتجانس الحياة الإجتماعية في المدينة تغير من بعض العادات و التقاليد فتفقد إحداها و تظهر أخرى .

ومن هنا يظهر أن هناك إتجاهين في دراسة المدينة إتجاه نظر إليها من منظور إيكولوجي وربط مفهومها بحجم السكان، و الإتجاه الثاني نظر إليها على مستوى أنماط السلوك الإجتماعي ، وقد نظر إليها ماركس من ناحية التحولات التي طرأت على المجتمع الغربي والتي إرتبطت بما حدث في المجتمع الإقطاعي الزراعي وظهور الرأسمالية. وتبقى المدينة من الناحية السوسولوجية تشكل فكرة مجردة ولكن العناصر التي تكونها تشكل موجودات أو أشخاص لهم طبائع مختلفة ، وعموما المدينة تجمع سكاني تتشكل داخله علاقات إجتماعية تربط بين الأشخاص، فهي بنية إجتماعية يلعب أشخاصها أدوارا مختلفة تسهل لهم الحياة ، هذه الأدوار هي التي تحدد طبيعة العلاقات بين الأفراد. وتلعب المدينة

دورا هاما إذ هي المكان الذي تتطور فيه جميع أشكال العلاقات الإنسانية فهي "نتاج الحضارات"1. لأن بقدر ما توجد حضارات بقدر ما توجد مدن . فالمدينة كمكان تؤثر على العادات و التقاليد التي تتغير حسب المكان الجغرافي الذي يؤطرها .

1-Lewis Mumford , La cite a travers l’histoire , traduit par Guy et Gérard Durand , édition Le seuil ,Paris, 1961, p116

ج-المدينة من الناحية الأنثربولوجية

إذا كانت المدينة من الناحية السوسولوجية قد خصت لنفسها علم الإجتماع الحضري، فإنها من الناحية الأنثربولوجية قد خصت لنفسها علم الأنثربولوجيا الحضرية، وإذا كانت من الناحية السوسولوجية ربطت مفهومها بالإيكولوجيا، والقيم الثقافية فإنها من الناحية الأنثربولوجية ربطت مفهومها بمفهوم الثقافات و الهويات. ولقد شكلت الدراسات الأنثربولوجية عنصرا مهما لفهم الظواهر الإجتماعية بالمدينة، لأنها تسمح بدراسة النسيج الحضري و فهم تركيباته المختلفة. فالمدينة تمثل أرقى درجات التحضر وما التحضر إلا ثقافة خاصة يمتاز بها الأفراد، ولأن الأنثربولوجي ينظر إلى الثقافات و المجتمعات ككيانات ذات أبنية محددة تكون فيما بينها أنساقا متفاعلة ومتداخلة، فإنه يعتبر المدينة شكل إجتماعي ثقافي، فالأنثربولوجيا كانت ولا زالت تنظر دائما إلى المدينة من حيث أنها تشكل وحدة ثقافية إجتماعية، تتميز ببنيات تحكمها أنساق إجتماعية وتربطها علاقات فهي تنظر إليها من حيث أنماط الحياة، فالمدينة فضاء تماثل الهويات الفردية والجماعية و تلعب دورا أساسيا في تشكيل الهويات و العادات الإجتماعية و التقاليد، هي المكون الأساسي لهذه الهويات .

وما المدينة إلا مركز تكوين وإشعاع الثقافات، ومن بين الذين درسوا المدينة من زاوية أنثربولوجية روبرت رادفيلد Redfield بعد دراسته للقرى والمجتمعات المحلية الصغيرة بالمكسيك

فصاغ ماسماه بالثنائية الريفية الحضرية من منظور التطور الثقافي الإيكولوجي من حالة التقليد إلى حالة التحديث و الحضرية، فأقر بوجود مجتمعين ريفي و حضري على خط واحد يبدأ بالمجتمع الريفي وينتهي بالمجتمع الحضري، و كلما إقتربنا من المركز كلما زادت الثقافة الحضرية وهذا ما عبر عنه ابن خلدون بأن " خشونة البداوة قبل رقة الحضارة " 1 وإستنتج رادفيلد أن المجتمع الحضري نموذج مناقض لمجتمع الفولك كما سماه أي الريفي²، ولاحظ أن من مميزات المجتمع الحضري التفكك الثقافي ، الفردية ، العلمانية و الإتجاه نحو الدنيوية عكس خصائص المجتمع الريفي، الذي يتميز بالسيطرة التقليدية الجماعية و إرتفاع درجات الوعي الجمعي . وهذه أغلب الفروقات التي أوجدها ابن خلدون بين المجتمع الريفي والحضري، ذلك أن المجتمع الحضري يميل إلى حياة الترف والبخ ويهتمون بالكماليات لذلك نجد حتى حياتهم اليومية يطبعها هذا الترف، مما أثر على عاداتهم و تقاليدهم، أما المجتمع البدوي يتميز بحياة البساطة و الإهتمام بالضروريات . وإذا ربطنا بين النظرة السوسولوجية و النظرة الأنثربولوجية للمدينة، نلاحظ أن معاملة المدينة كأنظمة إجتماعية مرتبطة بعدد من السكان المزدحمين يتميزون بأنماط خاصة من الثقافة هي ما يطلق عليها بالحضرية .

1- عبد الرحمان بن خلدون ، مرجع سبق ذكره ،ص167 .

2-Guy Rocher , Introduction a la sociologie générale , l'organisation sociale , éditions HMH, Paris, 1968 , p88

2- المدينة العربية الإسلامية و تراثها :

لكل مدينة تراث إجتماعي خاص بها، هذا "التراث الذي يتضمن العديد من السنن الإجتماعية التي تنقلها الأجيال و يخضع الأفراد لأحكامها إحتراما لسلطتها و قداستها الزمنية"¹ . وتتميز المدينة العربية بقيمها وعاداتها و شكلها المتميز، حيث عرفت تطورات هامة على مدى العصور سواء من حيث المعمار أو من حيث الثقافة الإجتماعية، و لكن رغم ذلك ظلت المدينة الإسلامية تتجسد من خلال مظاهر تدل سيميائيا على أنها إسلامية، و ذلك من خلال البناء أو طريقة تفكير أفرادها و سلوكياتهم. فالمدينة العربية تمتاز بثقافة إسلامية فهي " فضاء مغلق يعيد إنتاج نفسه في فضاءات مماثلة متفرقة عن بعضها البعض و لكنها ترتبط بعلاقات مختلفة" ². ولكنها مهما إختلفت عمرانيا، إلا أنها ظلت و تظل عبارة عن تجمع سكاني لكل فرد فيه دوره الخاص ، بحيث تكون هذه الأدوار فيما بينها متكاملة و تربط بين أفرادها علاقات مختلفة أخلاقية و غيرها . هذه العلاقات بموجبها يحاولون تجسيد العادات و التقاليد التي جبلوا عليها و التثبت بها رغم ما يعرفونه من تغير في أنماط حياتهم ، و يحاولون القيام بها حتى ولو يدخلون عليها بعض العصرية ،

1 - حسين عبد الحميد أحمد رشوان ،المدينة دراسة في علم الإجتماع الحضري ،المكتب الجامعي الحديث ،الإسكندرية ، 1982 ، ص47

2- Abdelwaheb Bouhadiba et Dominique Chevallier, La Ville arabe dans l'islam ,Histoire et mutations ,actes du 2eme colloque De l'a.t.p ,1979, p548.

ويسيطر على كل ذلك مفهوم الزمن الذي يرتبط بمفهوم الفضاء، وما المدينة إلا فضاء، إذ الناس يمارسون حياتهم داخل المدينة مقيدون بمفهوم الزمن المقدس الذي يربط المسلمون أمور حياتهم اليومية به و هذا ما يفسر قيام البعض بطقس الختان في المناسبات الدينية كالمولد النبوي الشريف أو ليلة السابع و العشرون من رمضان، و ذلك لما تحمله الذاكرة الشعبية حول مكانة هذه المناسبات في التبرك بها، ومن هنا نرى أن المدينة العربية الإسلامية في إطارها العام مرتبطة بصور التفكير لدى أفرادها و التي يحكمها التراث العربي بسماته .

وما التراث العربي الإسلامي إلا إمتداد للتواصل بين الأجيال يحاولون الحفاظ عليه من أجل حماية هويتهم وهوية أجدادهم، وما هذا التراث إلا العودة إلى ما هو أصيل و متأصل، من عادات و تقاليد و قيم و بالتالي العودة إلى الماضي لذلك تعيش المدينة العربية حاليا سجيئة ثنائية أصالة / تجديد، إذ بقدر ما تعمل على اللحاق بركب الحضرة والتجديد في جميع مجالاتها الحيوية، تحاول الحفاظ على أصلها و ماضيها وتعود إليه دائما كنوع من الحماية والخوف من النموذج الغربي. أحيانا هذا الماضي الذي ما هو إلا إمتداد للمستقبل، فالمدينة تعيش صراعا بيثقافي صراع بين الأصالة و العصرية، بين عناصر الثقافة التقليدية وبين عناصر التحديث، ذلك أن التغير يحدث كلما عناصر التحديث فرضت قواها و غلبتها و تمكنت من السيطرة على سلوكات و تصرفات الأشخاص و بالتالي تمكنت من القضاء على عناصر الثقافة التقليدية، لذلك نجد الأفراد يحاولون التثبيت بعناصر التراث الشعبي لأنه يبقى المحك الوحيد الذي يربطهم بالماضي، وممارسة طقوس متعددة تحافظ على هذا الماضي والقيم المرتبطة به " فالطقس يضمن إستمرارية الماضي من خلال

خاصيته المولدة لقيم الماضي ورموزه"1 فمن خلال العودة إلى الماضي تحاول المدينة الحفاظ على ذاتها و الهروب من ذلك التجديد لذلك، فالدكتور محمد العابد الجابري أكد على أننا أصبحنا نوظف التراث كسلاح إيديولوجي من أجل تأكيد الذات والمحافظة على الهوية ،لأننا دائما ننظر إليه كعرقلة أمام التجديد دون أن ننظر إليه كأساس لتقدم.وعليه فإن التراث هو إمتداد الماضي بالحاضر و المستقبل .

1- نور الدين طوالي ، الدين ، الطقوس و التغيرات ، مرجع سبق ذكره ، ص9

3- المدينة العربية و مفهوم التحضر

تشهد مدننا العربية حالياً زخماً من الحداثة و التحضر، ويرتبط مفهوم المدينة دائماً بمفهوم الحضرو الحضرية والحضارة وغير ذلك من المعاني التي تدل على التمدن ، ولازال الإلتباس قائماً حول مفهوم الحضارة رغم أنها تعتبر الهدف الأسمى لتطور المجتمعات ، ويرى فيها تايلور أنها ذلك " الكل المعقد الذي يشمل المعارف و العقيدة والفن والقيم الأخلاقية والقانون والتقاليد الإجتماعية ، وكل القدرات والعادات التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضواً في المجتمع "1، ومن خلال هذا التعريف للحضارة فإنها تشمل كل ما يتعلق بالتنظيم الإجتماعي ، و ما الحضارة إلا نوع من الثقافة يمتاز بها سكان المدن و كانت إلى وقت لاحق مفهوماً ملازماً للثقافة . و اختلفت الرؤى حول هذا المفهوم لينظر إليه البعض على أنه مفهوم مرادف لمفهوم الثقافة، وإعتبره أصحاب الفكر الألماني صورة معبرة عن الروح العميقة للمجتمع لتشمل الفنون والآداب والديانات والأخلاقيات . ويراه المفكرون الفرنسيون كمفهوم شامل لكل أبعاد التقدم أي في جميع المجالات وبالتالي تشكل مجموع الظواهر الإجتماعية الموجودة في المجتمع ، ذات الطابع المادي والعلمي والفني وقد وجد فيها كلوكهون " عملية تاريخية نمطية أو إعتيادية تشمل القواعد و القوانين و المثل و المعرفة و العادات و كذلك الأدوات و الأفكار و الرموز "2 ، و في القرن 20 دخل مفهوم الحضارة إلى الدول العربية مع دخول

1 - عفت الشرقاوي ، في فلسفة الحضارة الإسلامية ، مرجع سبق ذكره ، ص 11

2- فاتن محمد شريف ، الثقافة و الفولكلور ، مرجع سبق ذكره ، ص 23.

الإستعمار مما أحدث خلطاً في القاموس العربي و أصبحت
الدلالة للفظ CIVILISATION واقعة في جدال كبير بين إتجاهين، إتجاه
فسرها على أنها المدنية ففي سنة 1936 إعتبروا هذا المفهوم دلالة
على حالة من الثقافة الإجتماعية تمتاز بإرتقاء نسبي في الفنون
والعلوم وتديبر الملك، وفي سنة 1957 أطلق هذا المفهوم على الظواهر
المادية في حياة المجتمع مقابل إطلاق لفظ الحضارة بمعنى culture
على الظواهر الثقافية والمعنوية، وهناك من ربط مفهوم الحضارة
بالوسائل التكنولوجية الحديثة أو العلوم والمعارف. ولكن الحضارة في
اللغة العربية مأخوذة من الفعل حضر عكس غاب، حضر يحضر حضورا
وحضارة والحضارة الإقامة في الحضر والحضر و الحضرة والحاضرة
هي المدن والقرى، فسيمائيا يرتبط إستخدام هذه الكلمة في اللغة العربية بدلالة
مكانية الإقامة في الحضر، ليتطور المفهوم بعد ذلك ويعني القيم الثقافية
والأخلاقية فيعتبرها ابن خلدون بذلك مصطلحا ويجعل منها غاية العمران
البشري كما يرى أن الحضارة صفة معينة من حياة المدينة، وإذا كانت
الحضارة أخذت هذا المفهوم في الثقافة العربية قديما فقد إرتبط مفهومها
حديثا بالتقدم و التطور الإنساني في جميع مجالات الحياة الإجتماعية والثقافية
بحيث ترتبط بتطور البشرية الفكرية والأدبي. و مما سبق نجد أن العلماء
العرب لم يضعوا مفهومي الحضارة والمدنية في نفس الدرجة من
المعنى، لذلك فعند التطرق إلى الحضارة والمدنية من الضروري الإشارة إلى
مفهوم المدنية الذي كثيرا ما يتردد على مسامعنا بمفهوم cité وحتى نتوصل
إلى تمييز بين المفاهيم والمصطلحات، حيث في العربية مدن بالمكان أي

أقام به وهو كمفهوم متصل بمظاهر التقدم الآلي و التكنولوجي. ومن هنا نرى الفرق الواضح بين المفهومين حضارة / مدنية أو مدينة / مدنية ، فإذا كانت الحضارة على علاقة بالمدنية من حيث الدلالة اللغوية على أنهما إرتباط مكاني بين الإنسان وبيئته، إلا أن لكل واحدة مفهوما الخاص "فالحضارة تمثل ثراتا متمثل في العقائد والقيم التي ترسم للحياة مغزى روحيا عميقا ، أما المدنية هي ثرات المعرفة التطبيقية الذي يرمي إلى السمو بالإنسان والإرتفاع به عن مستوى الإستسلام " 1

وهذا ما يفسر كون الحضارة تركيب يشمل القيم الروحية التي تحرك المجتمع، ولكن المدنية تركيب يشمل الجانب العقلي للإنسان. ولكن تبقى العلاقة بينهما جدلية حيث تؤثر الظروف المادية والجانب العقلي على توجيه القيم الروحية لمجتمع ما. لذلك لا يمكن الفصل بين المصطلحين لأن المجتمع لا يكون بدون واحدة منهما حيث كيانه الروحي لا يستغني عن كيانه المادي والعكس صحيح وإذا كانت الحضارة نمط من الحياة أو سلوك يختص بها سكان المدن تحت ما يسمى بالحضرية، فإنها على علاقة واضحة بالمدنية لأن المدينة بحاجة إلى حضارة وفي الوقت ذاته إلى مدنية أي إلى قيم روحية وقيم مادية معا. وإذا كانت الحضارة كما سبق ذكره تشمل الأفكار و الرموز و المعتقدات فإنها تشمل العادات و على علاقة بها و تتدخل بشكل أو بآخر في ممارسة الطقوس و العادات و التقاليد بالمدينة خصوصا و إن كانت تشكل هذه العادات محورا أساسيا في ضبط السلوكيات .

1- عفت الشرقاوي ، مرجع سبق ذكره ، ص18 .

4- الأسرة الحضرية و منظومة المعايير :

إن المدينة كغيرها من التراكيبات تحوي مجموعة من الأنساق الإجتماعية ، و أول نسق يرتبط بها هو نسق الأسرة كأساس أول تعتمد عليه المجتمعات في تكوين أفرادها و نقل إليهم قيمها و معاييرها ، و إذا كانت هذه الأنساق تتأثر بالتحضر و الحضرية فإن الأسرة كذلك تتأثر بهذه الحضرية و تؤثر فيها و في وظائفها و بنيتها. و لأن الأسرة هي الوسيلة المثلى لنقل المعايير الإجتماعية إلى الأفراد و المحافظ الأول على منظومة القيم و العادات و التقاليد ، فإن الحضارة في جوهرها تشكل هذا الكم الهائل من الأفعال و التراث البشري الذي ينتقل إجتماعيا من جيل لآخر ، فإن الأسرة تكون دائما متأثرة بهذه الحضرية خصوصا و أن الأسرة هي التي تعلم الفرد السلوكات التي يرضيها مجتمعه و تساهم في تكوين شخصيته ، وبما أن السلوك الحضري هو سلوك مكتسب يتعلمه الإنسان خلال عملية إحتكاكه بالمجتمع ، فإنه يمكن للفرد أن يكتسب هذا السلوك الحضري من أسرته و هذا ما أكده كل من كروير و كلوكهون اللذان إعتبرا الحضارة كنموذج داخلي أو خارجي من السلوك و السلوك في الواقع يشمل مجموعة من الرموز التي يتعلمها الفرد بواسطة محاكاته للمجتمع، وقد سبق أن رأينا دور المحاكاة في تأكيد عملية التنشئة الإجتماعية إذ و بفضلها ينتشر الفرد هذا السلوك الذي يتضمن مختلف الإنجازات التي حققتها الجماعة و توارثتها الأجيال. لذلك فإن التنشئة الإجتماعية مهمة في نقل السلوك الذي يريده المجتمع ولا يقوم بهذه العملية إلا الأسرة ، و مجمل القول فإن الأسرة تقوم بنقل الحضرية كسلوك و مجموعة من الرموز و الأفكار و العادات و المعتقدات إلى الأفراد عن طريق عملية التنشئة الإجتماعية ، خصوصا عندما قصد تالكوت بارسونز من الحضارة أنها عبارة عن ما هو رمزي و إعتبر العناصر الحضرية أنها عناصر رمزية للتقاليد الأساسية و كل ذلك يجعل من الحضرية مجمل العادات و الصفات الإجتماعية التي تدخل تأثيرا على حياة الإنسان .

و تعتبر ظاهرة التحضر من أهم معالم التغيير الإجتماعي، ويعرف مجتمعنا الجزائري زيادات معتبرة في عدد السكان الذين يسكنون التجمعات الحضرية ودراسة التنظيم الإجتماعي و البناء الأسري في المدينة يقودنا إلى دراسة طبيعة هذا البناء و نمط العلاقات الإجتماعية السائدة فيه و ذلك من خلال دراسة :

- حجم الأسرة و شكلها :

لقد إعتبرت العديد من الدراسات أن حجم الأسرة في المدينة و المناطق الحضرية قد تقلص إلى شكل الأسرة النووية، بسبب التحولات الحضرية التي عرفتها هذه المجتمعات. كما إعتبرت أن الأسرة الحضرية في المجتمعات الجزائرية هي أسر نووية و لكن ليست صغيرة الحجم و من الأسباب التي دعت إلى تقليص الأسرة في المدينة من حجمها :

أ- إرتفاع المستوى المعيشي الذي جعل من دخل الأسرة لا يكفي لسد حاجياتها إضافة إلى طبيعة المسكن الضيق في المدن، حيث أن المجال السكني الصغير يحدد عدد أفراد العائلة و إستقلالية الأبناء الإقتصادية بعد زوال الملكية الخاصة للأرض التي كانوا تابعين لها جعلهم لا يساهمون في إعالة الأسرة .

ب- العامل الإجتماعي و الثقافي : حيث ترغب معظم الأسر في المدن من تنظيم النسل ، و ذلك نتيجة و غيرها بأن قلة النسل تجعل ظروف العيش أحسن و توفر القدرة على تلبية حاجيات الأطفال. و لكن مع كل ذلك بينت عدة دراسات إستمرارية النمط الأسري الممتد في مجتمع المدينة هذا النمط ذو الإقامة الأبوية و مما ساعد على هذا الإستمرار عدة عوامل: أولها هو أن الإبن أصبح هو العائل لوالديه بعد توفره على عمل إضافة إلى غلاء المساكن التي فرضت على الأبناء أن يعيشوا مع آبائهم بعد الزواج . و العامل الثاني يتمثل في زواج الإبن وإقامته مع والديه قصد خدمتهما و الإشراف على شؤونهما ، و من بين القيم الأسرية

التي تدفع إلى نشأة الأسرة الممتدة الزواج المبكر للأبناء و الترابط و الوحدة الأسرية حيث يحرص الوالدين على أن يقيم الأبناء معهما .

- الخصائص الوظيفية للأسرة الحضرية :

إن الأسرة في المدينة لم تعد تلك الأسرة المكتفية بذاتها مشكلة وحدة إقتصادية ، حيث أصبحت كما سبق الإشارة إليه وحدة إستهلاكية و أضحت المهنة تعتمد على التخصص ، كما أن الأسرة فقدت العديد من وظائفها كالوظيفة التربوية و عملية التنشئة الإجتماعية التي أصبحت تساهم فيها مؤسسات أخرى .ومع خروج المرأة للعمل إنتقلت في المجتمع الحضري رعاية الأبناء و تربيتهم إلى المربية و هذا ما أثر على عملية نقل المعايير الإجتماعية و العادات و التقاليد .

- السلطة و بناء القوة :

مازال الأب يعتبر رئيسا للأسرة و لكن بصفة شكلية ،لأن خروج المرأة للعمل و مشاركتها في أعباء المنزل الإقتصادية و إرتفاع مستوى التعليم و الثقافة في المدينة، جعل الرجل لا يعتبر المرأة كتابع له بل إعتبرها شريكته في حياته ولم يعد للرجل السيطرة المطلقة، حيث أصبحت المرأة تشاركه في إتخاذ القرارات و أصبحت العلاقات بين الرجل و المرأة قائمة على مبدأ المشاركة و المساواة و العلاقة بين الأباء و البناء قائمة على مبدأ المحبة و ليس الخوف .

- العلاقات الأسرية الداخلية و الخارجية :

لقد ساد الإعتقاد عند البعض أن الحضرية تؤدي إلى عزل العائلة عن شبكة العلاقات القرابية، و لكن أثبتت العديد من الدراسات أن لازالت شبكة العلاقات القرابية في الأسرة الحضرية العربية عموما و الجزائرية خصوصا قائمة في المدن حيث أن العديد من الأسر النووية تضم الأقارب مثل الأمهات و الأباء و الأجداد لأنه يتكفل الأبناء برعايتهم ، وتمتاز الحياة الإجتماعية في الأسر

الحضرية بانتشار الفردية، و تكاد العادات و التقاليد و الأعراف لا تكون لها سلطة أو ضبط إجتماعي لأنه تغلب عليها الحياة القانونية. كما أن الحداثة و التغيير أديا بأفراد معظم الأسر إلى ضعف التمسك برواسب الحياة التقليدية و ذلك لأنها كثيرة الإحتكاك بالعالم الخارجي .

خلاصة الفصل :

تعتبر الأسرة وحدة أساسية في نقل التراث الثقافي لأفرادها الذين يلتزمون بما تقدمه لهم دون أي اعتراض أو مناقشة . ويظهر التفاعل بين الأسرة و التراث من خلال ما يحدده من قيم و عادات و تقاليد و معايير على الأسرة قبولها ، وداخل منظومة المعايير و القيم يتحدد سلوك الفرد المرغوب فيه و تقبل الأسرة ذلك النسق المعياري و تشربه لأفرادها ، و إذا كانت الوظيفة الظاهرة لما تقدمه الأسرة للنسق المعياري من عادات و تقاليد و قيم و أعراف تبدو من خلال الإلتزام التام لأعضائها بهذا النسق مما يساهم في دعمه و بقاءه فإن الوظيفة الكامنة لذلك الإلتزام بهذا النسق المعياري من قبل الأعضاء هي زيادة درجة التماسك داخل النسق الأسري ، و إذا كانت زيادة درجة التماسك داخل النسق الأسري هي الأساس الضروري لإستمرار بقاءه، فإن ذلك يبين الوظيفة التي تقدمها منظومة المعايير بدورها للأسرة في ضمان الوحدة بين أفرادها و ضمان بقاء روح الجماعة داخلها ، و إعتبرت الأسرة أهم مؤسسة تقوم بوظيفة إنتاج كائنات إجتماعية من خلال عملية التنشئة الإجتماعية ، فمن خلالها يحدد الفرد ما يجب فعله ليضمن إستحسان الجماعة ، و بذلك تتحقق في الإنسان الذات المثالية التي تدفع الفرد للإمتثال للمعايير الإجتماعية من أجل تحقيق الذات الإجتماعية . و لأن الأسرة جزء من المجتمع فإنه يصيبها ما يصيبه من تغير إجتماعي و ثقافي لأنها من أول النظم الإجتماعية التي تتأثر بالتغير في الوظائف و البنية بكل ما يشمله التغير من تحولات فيما يخص التجديد و الحضرية .

الفصل الثالث

عادات الزواج و الختان بين التباث و التغير

تمهيد :

يتميز المجتمع الجزائري بتنوع عاداته و تقاليده و عراقته و إختلافها من منطقة لأخرى في المناسبات المختلفة كالزواج و الختان ، و يبرز الإختلاف في الطقوس و المراسيم الإحتفالية و التي تبقى في صراع دائم بين ما هو تقليدي و ما هو حديث ، أي بين الماضي و الحاضر مما يدخل المجتمع في حلقة مغلقة في ظل التغير الإجتماعي و الثقافي و ما تقتضيه أمور العولمة و الحداثة ، مما يجعل الأفراد في تقاطب ثقافي بين ما هو أصيل و ضرورة الحفاظ عليه و ما هو معاصر و ضرورة تشربه و تبنيه. و في إطار ما يعرف بالحضرية تتنازع هذه العادات و التقاليد بين الثبات و التغير، و دراستنا هذه حاولنا في إطارها البحث عن موقف حامل التراث الشعبي، ألا وهو الإنسان من عادات الزواج و الختان التي أصبحت تساير العصرنة و معرفة درجة تكيفه لعاداته و تقاليده في إطار هذه الحضرية، بين ما كانت عليه في الماضي و ما أصبحت عليه اليوم في مجتمعين مختلفين المجتمع الندرومي و ما عرف به من قيم و معايير و تماسك إجتماعي، و المجتمع الوهراني و ما عرفه من تغيرات و إنعكاساتها على سلوكات الأفراد و ما عرفه من هجرات من مختلف المناطق، مما سمح بتنوع عادات العائلات به . و تعتبر عادات الزواج و الختان من أهم العادات الإجتماعية و التقاليد في المجتمع ، لما تمثله هذه الطقوس في ذهنية الإنسان العربي و الجزائري و المسلم من رمزية خاصة، لإتصال هذه الطقوس بجوانب دينية و بنواح أسطورية لذلك تبقى عاداتها و تقاليدھا الأساس الذي يحرص أي مجتمع الحفاظ عليه و تكيفه مع ما يعرفه من تغير .

المبحث الأول

الزواج و الختان المفهوم و الرمز

1- الختان :

1-الختان لغة و إصطلاحا :

الختان بكسر الخاء هو إسم لفعل الخائن و يسمى به موضع الختن، وهو الجلدة التي تقطع و التي تغطي الحشفة. أو هو قطع القلفة من عضو الذكر أو موضع قطعها 1 و هناك من اللغويين من يرى أن الختن مختص بالذكر ومنه ختن الولد يخته أي قطع غرلته 2.

أما إصطلاحا ختان الذكر حسب الماوردي، هو قطع الجلدة التي تغطي الحشفة و يقول إمام الحرمين : هو قطع القلفة و هي الجلدة التي تغطي الحشفة حتى لا يبقى من الجلد شيء متدلّ 3

و الملاحظ أنه يتشابه التعريف اللغوي و التعريف الإصطلاحي في المعنى و يقتربان في المفهوم الذي يدل على كلمة قطع .

1- علاء علي حسين نصر ، ختان الإناث دراسة مقارنة في الفقه الإسلامي و القانون الوضعي ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، 2008 ، ص80

2- نفس المرجع السابق ، ص81

3- نفس المرجع ص81

2-السيرورة والدلالة التاريخية- الثقافية للختان :

لقد إهتمت العديد من الدراسات بطقس الختان و درسوا تاريخه و توصلوا إلى معرفة بداياته الأولى ، حيث أشارت بعض المصادر التاريخية أن الأقسام القديمة قد مارست الختان و في إنجيل برنابا 1 إشارة إلى أن آدم عليه السلام كان أول من أختتن و أنه قام بذلك بعد توبته من أكل الشجرة ، كما أنه وجدت ألواح طينية تعود إلى الحضارتين البابلية و السومرية 3500ق م ذكرت تفاصيل عن عملية الختان ، كما دلت لوحات وجدت عند الفراعنة تصف عملية الختان على جدران المدافن 2 ،وتشير كيف كانوا يضعون مرهما مخدرا على الحشفة قبل الشروع في الإجراء و لكن غرضهم في ذلك صحي .

و الواقع أن الدراسات ربطت حقيقة الختان بأصل و جذور إفريقية، و أنه قديم قدم الإنسان تبنته عدة شعوب و أولها الشعوب البدائية ،حيث كانت تقوم به هذه الشعوب كإمتحان لأطفالها و ذلك لتختبر قوتهم الجسدية و النفسية فلم يكن له في تلك الفترة أي معنى، غير أنه المصادقية الأساسية لتجاوز المراهق مرحلة الطفولة و الإنتقال إلى درب الرجولة ،وهو ميلاد ثان للمراهق لأنه سيدخل في حياة جديدة . ويرى هيرودوت المؤرخ الإغريقي أن الذين زاولوا الختان منذ القديم هم المصريون ،و الآشوريون، و الكوشيديون، و الأحباش و لكن بقية الشعوب عرفت من المصريين ،حيث أكتشفت في مقبرة الأطباء رسوما فيها عمليات جراحية تعزى للختان و بالرجوع إلى الأساطير فإن المصريون مارسوا

1- علاء علي حسين نصر ،مرجع سبق ذكره ، ص17

2- Sigmond Freud , Moise et le monothéisme , éd Gallimard , Paris,1967 , p936 .

الختان تضرعا لإله الخصوبة و التكاثر " أوزيريس"، الذي كاد له عدوه "تيفون" وصنع تابوتا يهديه لمن يرقد فيه و يلائمه، و عندما رقد فيه "أوزيريس" لآممه فرموا به في البحر و لما سمعت "إيزيس" حبيبته الخبر أخذت تبحث عنه إلا أن وجدته مقطعا إلى عدة قطع. فجمعت القطعة تلوى الأخرى لكنها لم تجد عضوه الذكري لأنه رمى به في النهر، فقامت " إيزيس" بتقليد العضو الذكري و خصصت قضيب لذلك الغرض و أصبح المصريون يحتفلون بذلك نسبة إلى عضو " أوزيريس" الذكري، الذي كان له الفضل في تكاثر النيل ونموه لأن هذا الإله لطالما كان رمز القوة و الرجولة. و إضافة إلى المصريين فقد مارس اليهود هذه الطقوس و إهتموا بها و إعتبروا من لم يختن منهم من الوثنيين الأشرار، و يختن اليهود أولادهم في اليوم الثامن من ميلادهم و ذلك نسبة لسيدنا إبراهيم عليه السلام الذي ختن ابنه إسحاق عليه السلام في اليوم الثامن من ميلاده، و يعتقد البعض أن الختان عند اليهود هو العلامة التي أعطها الله لذرية إبراهيم عليه السلام دليلا على إستحقاق الولاية على البشر حيث ورد في التوراة كيف أن الله تحدث إلى نبيه إبراهيم و ذكره بأن هناك عهدا بين الله و بين ذرية إبراهيم عليه السلام ينبغي أن يحافظوا عليه ولا ينقضوه، و هو أن يختن كل ذكر ابن ثمانية أيام، ولكن عند تحليل النصوص الواردة في التوراة يتبين أن الختان عند اليهود هو علامة كونية على إستحقاق الولاية على البشر. وقد مارس العرب هذه العادة في الجاهلية، ثم واصلوا العمل بها بعد مجيء الإسلام كدليل على ما توحى به هذه الكلمة من معاني الطهارة التي تعتبر عند المسلمين بمثابة الطهور الذي يجعل الفرد يخرج من باب النجاسة ليدخل إلى باب الطهارة و هذا ما يجعلنا نستنتج أن الختان لم يعرفه المجتمع العربي فقط بل و الإسلامي بل موجود قبل العرب و قبل الإسلام، و تشير العديد من الدراسات أن القرآن لم ينص في سوره و آياته على ممارسة طقس الختان بطريقة مباشرة، و إنما فسر ذلك الفقهاء من خلال قوله تعالى " ثم أوحينا إليك أن إتبع ملة إبراهيم حنيفا

و ما كان من المشركين "1 ففي الآية دعوة إلى إتباع ملة إبراهيم عليه السلام و هي دعوة مباشرة إلى إتباع منهجه، ومن بين ذلك الختان لأن إبراهيم عليه السلام أول من ختن في سن الثمانية سنوات . و لكن الأحاديث النبوية كثيرة تجعل من الختان سنة ينبغي أن يتبعها المسلمون ولم يذكر يذكر أي إختلاف بطقس الختان في القرآن و السنة، و إنما الطقوس الإحتفالية في هذا الطقس ما هي إلى عادات إبتكرها العرب المسلمون لما لهذا الطقس من رمزية في الذاكرة الشعبية وقد عبرت عن ذلك جرمان تيون Germaine Tillion. في دراستها التي قامت بها عن المجتمعات العربية " الإسلام أريد أن يكون عاما و شاملا ، و كيف أنه مر على سكوت الكتاب المقدس للمسلمين (القرآن) حول مسألة قديمة مفروضة عند الشعوب السامية ، و المتمثلة في تختين الأطفال الذكور و كيف أنه لم ينظر في الإخلاص و الولاء المتشدد لهذه الممارسة و التي نجدها عند كل المؤيدين و التابعين للقرآن ظرفا و ليس عقيدة أو مبدأ . "2

وتشير بذلك كيف أن الإسلام الدين الشامل و التام لم يشر كتابه المقدس إلى طقس الختان في حين يمارسه التابعين كشرط أساسي للدخول في الإسلام .

وقد قام العديد من الباحثين بدراسة التاريخ الثقافي للختان في المجتمعات ما قبل الحديثة و الحديثة ، و معرفة أبعاده .

1- سورة النحل الآية 123

2- Germaine Tillion, Le harem et les cousins , éd Le seuil , Paris,1966, p94.

أ-التاريخ الثقافي للختان في المجتمعات ما قبل الحديثة:

لقد إعتنى العديد من علماء الأنثروبولوجيا بدراسة طقس الختان و معرفة دلالاته عند مختلف الجماعات البشرية على مر العصور ، فوجدوا أن هذه العادة معروفة عند المجتمعات الأولى منذ فجر التاريخ و لكن قد إختلفت رمزية هذا الطقس و دلالاته من مجتمع لآخر .

وقد أثبتت الدراسات أن هناك من الشعوب التي تمارس الختان تعطيه أهمية كبيرة و تحمله بقيم إنفعالية عالية و تحيط به قدسية خاصة، لأنها تعتبره عماد الحياة ، بينما تنظر الشعوب التي لا تمارس الختان إلى هذه العادة بكل إزدراء و لا تعطيه أهمية . و قد حاول العديد من العلماء البحث عن العوامل التاريخية و الثقافية المسؤولة عن إستمرار طقس الختان بين الشعوب رغم إختلاف مدلولاته عندها ، و رغم الألم الذي ينتج عنه ، و لكن أثبتت الدراسات أن الشعور بالألم عند بعض المجتمعات كان وسيلة لإختبار قوة تحمل الشاب ، و من بين من حاولوا دراسة الختان عند الجماعات البشرية "ديميو" الذي يرى أنه وجدت جدارية في مصر القديمة تمثل ختان الرجال، و لكن إعتبر المصريين ليس هم من إكتشفوا الختان و لكن وصل إليهم مع غزاة من البدو أمثال قوم " الهكسوس حوالي 3100 ق م لأن هؤلاء الرعاة كانوا يتصفون بصفات الثقافة " الذكورية المتسلطة" 1. وقد رأى ديميو أن إستمرار المجتمع الذكوري و المتميز بالنزعة العدوانية لا يتحقق إلا نتيجة رغبة طبيعية في القضاء على علاقة الحماية و الرعاية التي تحيط بها الأم إبنها ، و لا يكون ذلك إلا من خلال إيذاء الأطفال

1- سهام عبد السلام ، ختان الذكور بين الدين و الطب و الثقافة و التاريخ ، رؤية للنشر و التوزيع ، القاهرة ، 2006 ، ص30 .

لذلك هو يعتبر الختان رغبة طبيعية في إثبات السلطة الذكورية و إستمرارها في المجتمعات ، كما ذهبت دراسات أخرى للختان إلى أن تنظر إليه كظاهرة ثقافية قديمة الوجود و ربطتها بالنظام الإجتماعي السائد في هذه المجتمعات القديمة ، و أهم من قام بذلك " برونو بينلهاميم " الذي يعتبر أن الختان جاء نتيجة حاجة ضرورية لدى بني الإنسان أي أنه إقترن بالحاجة الآنية و النفسية لأنه تعبير عن شعور وجداني لدى الذكور، حسدا منهم للنساء على خصوبتهن المتمثلة في دم الحيض فأوجدوا لأنفسهم الختان كوسيلة لإثبات الذات و محاكاة رمزية لما تمتاز به الإناث. لذلك يعتبر الختان عند هؤلاء ما هو إلا إخصاء رمزي يمارسه الذكر الذي له سلطة الجماعة (الأب) على الذكور التابعين له، حتى يجسد فيهم مفهوم السيطرة و السلطة الذكورية .وقد توصل بينلهاميم إلى أن رغم وجود الختان في مناطق مختلفة من العالم ،إلا أنه كان يؤدي وظيفة إجتماعية واحدة و المتمثلة في كونه يحول الطفل رمزيا إلى ذكر لأنه بمثابة الميلاد الجديد للطفل ليدخل في عالم الذكور. و لكن هذه المرة يكون ميلاد باتريكي تابع للأب و لا تقوم به الأم وليس لها أي دور فيه ، و من ثم فإن هذا الطقس يلعب دورا رمزيا لتأكيد سيطرة الذكور البالغين من خلال منحهم سلطة الإخصاء الرمزي للصغار و منحهم قدرة رمزية على فعل ما يمكن للمرأة أن تقوم به و هو ولادة الطفل . و تزداد قوة هذه الرمزية عند اليهود عندما أصبح الأطفال يختنون في سن مبكرة حيث يكون الطفل بحاجة دائمة لوالديه و تحت سلطة أبوية . وقد ارجعت الدراسات الحديثة إرتباط الختان بالمجتمع الذكوري حيث ربط العديد من المفكرين و الباحثين نشأة الختان بظهور المجتمع الذكوري ،و يفسرون بقاء هذا الطقس ببقاء السلطة الذكورية و تأكيدها لأنه الطقس الوحيد الذي يقرّ هذه السلطة ، كما يعتبر الختان عند البعض تعديل لعلاقة الطفل الذكر بأمه و أبيه أو هو فصل الطفل عن العالم النسوي و أولهم أمه، التي طالما تعلق بها منذ ولادته نظرا لكونها الوحيدة التي تلبي حاجاته و طلباته البيولوجية و الإجتماعية و حتى النفسية و بذلك هو يفصل

عنه سلطة أمه، ليتلقى سلطة أبيه ويرى بولاك " إن الختان مرتبط بسيطرة الرجل على المرأة فهو يبطل سلطة الأم بفصل الطفل عنها و إيذائه دون تمكنها من الدفاع عنه في أشد الأوقات تعلقا بطفلها أي بعد ميلاده، فالسكين المصوب إلى ذكر الطفل هو في حقيقته مصوب إلى قلب الأم و الختان هو جرح للأم و إخضاع لها "1 لذلك عبر هذا الطقس عن القدرة على الإتكال على النفس حتى يعرف الطفل أن أمه التي كانت تحميه غير موجودة أمامه في وقت هو بحاجة إليها. و بذلك يصبح قادرا على الإتكال على نفسه ضد أي مكروه قريب منه و بذلك تتعود الأم على فصل ابنها عنها حتى ينفصل عنها مرة أخرى يوم زفافه

1- سهام عبد السلام ، مرجع سبق ذكره ، ص43

ب- التاريخ الثقافي للختان في المجتمعات الحديثة:

لقد تطورت حديثا النظرة إلى الختان و تجاوزت الأساطير و الخرافات و المعتقدات التي كانت سائدة حول أصل هذا الطقس ،حيث أصبح الختان في الفكر الحديث يشكل سلوكا إجتماعيا ناتجا عن عادة توارثتها الأجيال . فعند العودة إلى تحليلات تالكوت بارسونز لسلوك الأفراد في المجتمعات يرى أن كل سلوك فردي هدفه حفظ توازن النظام الإجتماعي السائد و يحاول كل مجتمع من خلال وسائل الضبط الإجتماعي ضبط سلوكيات الأفراد، من أجل الحفاظ على هذا التوازن و ما سلوك الأفراد إلا نتيجة لتفاعل مكونات و عناصر شخصيته مع ما هو سائد في المجتمع من نظام إجتماعي و ثقافي، هذا الأخير الذي لا يمكن فصله عن المجتمع بإعتباره يحمل القيم و المعايير المعبرة عن المجتمع .

فالمجتمع يبتكر معايير و قيم و رموز ثقافية تنتشر داخله و يتشربها أفراد و بعد إستقرارها تشكل هذه الرموز قوة توجه الأفراد حسب ما يرتضيه المجتمع لأفراده و بذلك تصبح هذه المعايير جزءا لا يتجزأ من الشخصية العامة للأفراد ، و بذلك تصبح الموجهة لسلوكياتهم و الأعمدة الأساسية التي تقوم عليها العلاقات بين أفراد المجتمع، و بذلك يحاول كل فرد أن يسير وفق ما يريده المجتمع و ما يقبله. وهذه الرغبة في القبول الإجتماعي هي التي تجعل الناس يتبنون المعايير الإجتماعية و يمثلون لها خوفا من إختلال توازن النظام القيمي. و لكن مع مرور الزمن تتغير إحتياجات الحياة الإجتماعية وفقا لما يعرفه المجتمع من تطور لذلك يحاول الأفراد إعادة النظر في موروثاتهم الثقافية و يختارون منها ما يناسب حياتهم الواقعية ،فيحاول المجتمع أن يتمسك بقيمه الموروثة حتى يتمكن من الدفاع عن ما يهدده و يهدد نسقه القيمي و لكن سرعان ما يجد المجتمع نفسه أمام موروثا قد يعيق أداء وظائفه حتى يضمن إستمراره فيجد بذلك الأفراد أنفسهم أمام أمرين :

- مسايرة القيم الموروثة و الإمتثال لها .

- مراجعة القيم السائدة مع ما يتناسب مع واقعهم الجديد. لذلك تسمح بعض المجتمعات بعبور بعض ما يناقض قيمها حتى تتمكن من الحفاظ على إستمرارها، حيث تجعل من هذه الموجات العابرة لا تهدد نظامها الإجتماعي و كيانها القائم ، وهذا ما يمهد لظهور التغير الإجتماعي و هذا ما يفسر في دراستنا إستمرارية الختان في مجتمعاتنا الحديثة بدافع المسايرة ، فقد حافظت عادة الختان على سيرورتها عبر الزمن رغم أنه قد تغيرت أساليبها و طرقها، فبعدما كان يقوم بها شخص عادي أصبحت تعزى إلى طبيب مختص للقيام بها و قد تمكن طقس الختان من الصمود نظرا لإعتباره من طرف العديد من الأفراد جراحة وقائية مفيدة، بحكم إجتماع الجراثيم في " غلفة " الذكر. و نظرا لهدفه الطبي و مزاياه إنتشر الختان و حافظ على سيرورته ، فالتطور العلمي إقتضى ضرورة إستمرار هذه العادة بعد التوصل إلى إثبات علميا أهميتها و فوائدها. و بذلك يصدق القول أن الحاجة تبرر الوسيلة فالحاجة إلى طقس الختان جعل إستمرارها و بقائها حتى و لو إعتبرت لدى البعض ذات نشأة أسطورية .

3- الختان في الديانات السماوية :

لقد كان الختان عند اليهود بمثابة عهد و ميثاق بين الإله و العبد، حيث أمر الله سيدنا إبراهيم عليه السلام بالختان و تختين كل ذكر يولد، ومن ثم قام سيدنا إبراهيم بتختين نفسه و ابنه إسماعيل عليه السلام. و بعد ذلك لما رزق بسيدنا إسحاق قام بتختينه و هو ابن الثمانية أيام، لذلك تبنى اليهود هذا السن في تختين أبنائهم بصفة منتظمة. و بعد دعوة إبراهيم عليه السلام قام سيدنا موسى بدعوة قومه اتختين ذكورهم ، ومارسها اليهود منذ ذلك الحين بصورة منتظمة و من لا يقوم بهذا الطقس عندهم كان يقصى و يهشم من مجموعة المخلصين، و لكن مورست هذه العادة من قبل من طرف المصريين القدامى و الفينيقيين

الختان عند المسلمين : إن ممارسة الختان من طرف القبائل العربية هو خارج عن الإسلام هذا ما يفسر كون الطقس ليس من الأوامر الإسلامية، و إنما التقاليد التي تربط العرب بسيدنا إسماعيل هي التي تفسر مدى إستمرارية العرب على ممارسة هذه العادة، حيث لا يوجد أي آية و سورة قرآنية تتحدث عن الختان، و هذا ما جعل جرمان تيون تتحدث عن حقيقة الختان عند المسلمين و الذي جعلته نتيجة ظروف و قد وردت في السنة أحاديث عن الختان. لتبقى لدى المسلمين هذه العبارة موالية لمفهوم التطهير من النجاسة و الدنس. و قد عزا بعض الباحثين هذه الأهمية التي يحظى بها الختان عند المسلمين، التي أنزلته منزلة الفرض الديني إلى " وظيفته الوقائية القائمة على إستئصال القلفة التي يعتقد أنها تعمل على تجميع الجراثيم تحت الثنية الغشائية للقضيب و بالأخص في المناطق الحارة و المتوسطة "1.

1-Malek Chebel , L'imaginaire arabo- musulman , Puf, Paris,1993, p314.

4- المقاربة المفاهيمية للختان :

أ- الختان رباط الإنسان بخالقه :

لقد سبق الإشارة إلى الختان عند اليهود كان رمزا لإتصالهم و إرتباطهم بالإله و لكن في الواقع الختان في العالم الروحي اليهودي هو عقد يربط الإنسان بالطبيعة الإلهية ،وبذلك يتحدد الهدف الأساسي وراء هذا الرباط و الذي إعتبره Gordon " إن الدم الذي يسيل من عضو الذكر، ما هو إلا هبة للإله و التي بفضلها يتحقق رمز الرباط و عليه و في هذا الإطار يصبح الختان حدث مقدس لأنه يعمل على تحقيق إقتراب روحي للإنسان مع خالقه كما أنه و في الوقت ذاته يحقق إمتزاج الإنسان بالقوة الإلهية الخاصة ."¹ و الرباط بذلك يتحقق فيصبح الرجل بذلك طاهرا مؤهلا فما كان من قبل محرما و ممنوعا عليه أصبح مسموحا، له و أول ذلك الزواج لذلك الختان يصبح شرطا أساسيا في الزواج عند اليهود حيث يجعل من الرجل قادرا على تحقيق ما تلقاه من الله بالإضافة إلى طاعته ، و بذلك فقد حقق شرطا أساسيا في حياته الروحية مما يظهر العلاقة التي تربط الختان و الزواج في الديانة اليهودية .و بالتالي يصبح الختان المؤسس الأول للقرابة نتيجة الإتحاد الجنسي بين الرجل و المرأة و الذي يمثله الزواج و بذلك هو يصبح طقس مرور و في الوقت ذاته طقس خصوبة ، طقس مرور لأن الختان يجعل الفرد ينتقل من المدنس إلى المقدس من خلال طهارة العضو في الجسد و طهارة الروح و النفس التي تجعل الإنسان قريبا من الله، و طقس خصوبة لأنه يسمح بالزواج و بذلك من ممارسة النشاط الجنسي الذي يصبح كثيف نتيجة القوة الإلهية الممنوحة من الختان .

1- Nourddine Toualbi , La circoncision blessure narcissique ou promotion sociale , Entreprise nationale du livre , Alger , 1983, p29

ب- الختان كطقس ديني :

إن الختان عند المسلم هو دليل إنتمائه إلى الإسلام، إذ في أيامنا ومنذ العهود الإسلامية شرط الدخول للإسلام هو التختين. لذلك فإن الختان في الديانات اليهودية و الإسلامية قد يتقارب من حيث كونه له هدفا معينا دينيا ، إلا أن الديانة الإسلامية لم يرد مفهوم الختان في القرآن على خلاف الديانة اليهودية رغم أن هذا الطقس معروف عند العرب منذ القدم. وترى جرمان تيون أنه رغم أنه لا يوجد أي مفهوم معبر عن الختان في سور القرآن إلا أنه لا يوجد أي يوم إحتفال في رمانة المسلم مخصصة للإحتفال بطقس الختان 1 و ترى أن القرآن كان صامتا في مجال الختان و قد إعتبرت أن ذلك ناتج عن كون الإسلام دين شامل و عام. و لكن يظل الختان أمرا ضروريا عند المسلمين لأنه من الرموز الأساسية للإنتماء إلى الهوية الإسلامية ، ويعتبر ربط الختان عندهم ببعض المناسبات الدينية مؤشرا و اضحا على أهمية هذا الطقس، فتختين الأطفال في رمضان عند العرب و عند الجزائريين لما يحمله هذا الشهر من معاني و دلالات في نفوس المسلمين خصوصا ليلة القدر دليل واضح على الأهمية التي يقرنها المسلمون لهذا الطقس و إعتبره أساسيا للدخول في الإسلام و بذلك فإنهم يجعلون منه طقسا دينيا بالدرجة الأولى، طقس مرور من المدنس إلى المقدس مما يظهر أنه رغم أن القرآن لم يرد فيه مفهوم الختان إلا أن المسلمين جعلوا منه دلالة دينية محضة و قد ورد في السنة ما دل على الختان كغيره من الأوامر مثل نظافة الجسم بإعتبار الختان في الفكر الإسلامي هو رمز للنقاء النفسي و الروحي و الجسمي ، إذ في نظر الجماعة الطفل نجس ما دام لم يختتن الشيء الذي يجعله نظيف و نقي و بالتالي قريب من الله هذا ما يربط مفهوم الختان في

1- Germaine Tillion , opcit,p94

المجتمع العربي الإسلامي و الجزائري بمفهوم الطهارة أي النقاء و الصفاء .
و حسب العديد من المفكرين الإسلاميين أن الله لما أمر إبراهيم عليه السلام
بالختان كان ذلك في نفس منظور الطهارة و النظافة و النقاء العقلي و الروحي ،
و بهذا يبقى طقس الختان عند المسلمين و اليهود هو ذو هدف ديني و هو التقرب
من الله حتى ولو كان الإختلاف و ارد في ظهور الختان بشكل رسمي و مباشر
في الديانة اليهودية عنها في الإسلامية .

ج - الختان ترقية إجتماعية :

يرى Van Genep " أن أكبر الطقوس تتكون من طقوس بسيطة و تأتي على
شكل دورات متعاقبة في حياة الأفراد و ذلك في مرحلة محددة و تكون متسلسلة
ضرورية هي ما نسميها طقوس المرور، و يقصد به مجمل الأفعال التي ترافق
تحول الحالة و المكانة و الوضعية " 1 فختان الذكور يرمز إلى تغير إجتماعي
و ترقية تعزى إلى مرور الطفل من حالة إجتماعية إلى حالة إجتماعية أخرى،
مما يؤهله إلى أن يدخل في عالم الرجال بعدما كان يعيش عالم الإبنات لذلك
يرمز الختان إلى الرجولة .

" عندنا الطهارة هي رمز الرجولة تعلم الولد الخشونية
ويولي يتحمل الصوالح ما يخافش كما يقولوا ناس بكري
يولي صنديد يغلب الحديد هذالشي يخليه يولي راجل
على بيها كي يطهر نشوفوه يتبدلوا طبيعه مايقاش صغير

1- Marcel Mauss , Les fonctions sociales du sacre , ed Minuit , Paris ,
1968 , p553

مايلسقى في أمه كما كان و ما يتكلش على لخرين باش

ايدافعو عليه" (المقابلة رقم 20)

" يرمز الختان لدينا إلى الرجولة حيث يتعلم الطفل

الخشونة و يصبح يتحمل الصعوبات لا يخاف

أي يصبح رجلا ، فبعد التختين نراه تتغير بعض

سلوكاته لا يبقى صغيرا فلا يكثر الإتصال بأمه

كما كان ، ولا يتكل على الآخرين للدفاع عنه "

وحسب المبحوث فإن الختان طقس ضروري لأنه يعلم القوة و الشجاعة للطفل ،

كما أنه يجعله يبتعد عن كنف أمه حيث لا ينتظر دفاع الآخرين بل يصبح قادرا

على الدفاع عن نفسه . فالختان كرمز الرجولة ما هو إلا طقس إنتقال و مرور

من عالم كان يعيشه الطفل بجوار أمه، إلى عالم آخر أصبح يعيشه إلى

جانب أقرانه من الذكور و بالأخص والده ، كما أن طقس الختان بهذا المفهوم

يجعل من الأب يجسد سلطته في أطفاله الذكور فما هو إلا إستمرارية لعالم

الذكورية و هذا الإنتقال في طقوس المرور يمر بثلاث مراحل عند جونيبي :

- مرحلة التفرقة : بعد الختان يدخل الطفل الذكر في مرحلة تجعله يفترق و يبتعد

عن أفراد جماعته .

- مرحلة التهميش : هذه المرحلة متغيرة الوقت الطفل فيها يكون مهمشا عن

الآخرين لأنه يعايش الإنتظار بأن يقبله المجتمع و يدمجه حيث يكون بمعزل عن

الحضور بمفرده خصوصا العالم النسوي .

- مرحلة القبول و هي مرحلة الإعراف بالطفل كفرد عضو في المجتمع قادرا

و مؤهلا لأن يخوض الحياة بمجرياتها .

ويمكن تحديد هذه المراحل من خلال المخطط التالي :

مخطط رقم 04 يبين مراحل طقوس المرور التي يمر بها الطفل

مرحلة التفرة

الإحساس بالوحدة و البعد عن الأم



مرحلة التهميش

معاشة الإنتظار من أجل بلوغ الهدف

وهو القبول الإجتماعي



مرحلة القبول

ويكون فيها الإنتقال و الإعتراف

لذلك فالختان كطقس مرور يسمح للفرد بالترقية إلى حال و درجة جديدة من الوجود، حيث ثم من خلاله المرور من الطفولة إلى عالم البلوغ و أيضا المرور من حالة إجتماعية مقيدة مليئة بالممنوعات إلى حالة إجتماعية ترخص له فيها عدة أشياء، وذلك من خلال إكتسابه نفس الأدوار و المسؤوليات الإجتماعية التي هي ممنوحة للبالغين في المجتمع و تمنح له نفس الإمتيازات التي يتمتعون بها كحق التناسل . و بالتالي فهو طقس مرور من عالم داخلي أي المنزل إلى عالم خارجي هو المجتمع الذي يتطلب الرجولة و الشجاعة لأن ذلك الألم الذي يحسه الطفل يجعله قويا قادرا على تحمل الأشياء القوية ،و بذلك يصبح رجلا صامدا يختلف عن غيره الذين لم يخنتوا بعد و عن عالم الإناث لأنه هنا تبدأ التفرقة و التمييز بين عالم الذكور و عالم الإناث، و هنا يحدث تحديد الأدوار بين الأطفال مبني على مفهوم الرجولة ، كما أن ممارسة الختان تكمن في حاجة المجتمع لشخصيات الطفل و هي العملية التي بمقتضاها سوف يصبح الأطفال قادرين على تقلد أدوار البالغين . هذا ما أكدته المبحوثة:

" يولي الولد راجل يقدر يدافع على روجه لخطرش
يمشي له الخوف اللي كان فيه من قبل ومن ثم يعرف
روحو بلي ما بقاش صغير راه ولا كبير ولا ينجم يكون
مع الرجال يخرج مع بوه ولا جده لبرا وحتى النعاس
مراهش ينعس مع أمه ولا أخته يولي ينعس وحده "

(المقابلة رقم 02)

" يصبح الطفل رجلا يستطيع الدفاع عن نفسه لأنه
سيذهب عنه ما كان يشعر به من الخوف من قبل
ثم يصبح يعي أنه لم يعد صغيرا بل أصبح كبيرا
ويستطيع أن يكون مع الرجال يخرج مع والده

أو جده وحتى النوم لم يعد ينام في حضن أمه أو

أخته بل أصبح بمقدوره النوم بمفرده "

وهنا تتحقق عملية الإعراف و القبول الإجتماعي داخل محيط الطفل .

د- الختان موت و ميلاد جديد :

يعتبر طقس الختان موت ثم ميلاد جديد و ذلك لأنه يخرج الطفل من عالم الطفولة ليدخل عالم البالغين و يولد من جديد حيث يموت الطفل الخائف و يولد الرجل الشجاع الصامد ، حيث أنه عند المجتمعات البدائية طقس الختان و من خلال طقوس الإحتفال و المرور، يتيح للطفل أن يموت و يولد من جديد في ظل عملية تجعل منه يبتعد عن أحضان أمه كما إبتعد عنها بعد خروجه من بطنها. فههدف المجتمع من هذا الطقس هو إبعاد الطفل من العالم الذي أدخلته فيه أمه عالم الخوف و الخشية ، لأن عاطفة الأمومة تجعلها تخاف عليه و تحميه دائما في أحضانها ، لذلك الختان يبعده عنها و بذلك تحس أنه قد أصبح رجلا و بذلك يمكنها أن تتعود على إبتعاده عنها .

فعند تحليل طقس الختان أنثربولوجيا يمكن النظر إليه على أنه طقس إرتقاء إلى درجة الفرد الراشد الصامد للآلام، و بالتالي هو يرمز إلى الضمان الذي يحمي الطفل من العالم النسوي الذي كان يعيش فيه قبل الختان ، لأن الطفل في السنوات الأولى يكون تابعا لأمه بصفقتها الأساس الأولى الذي يعتمد عليه في تلبية أهم حاجياته الضرورية، ثم ينتقل بطقس إلى عالم الرشد، لذلك الأنثربولوجيا جعلت من طقس الختان كونه الوسيلة الأولى للإرتقاء من درجة إجتماعية إلى درجة إجتماعية عليا ، درجة أولى دالة على الضعف و الحاجة إلى أم إلى درجة ثانية دالة على الرجولة و الصمود بعيدة عن الأم و حنانها، و بالتالي هي تأكيد على موت شخص و ميلاد آخر أي موت الضعف و ميلاد القوة لذلك فإن أنثربولوجيا يأخذ الختان بعدا ثقافيا لأن فيه إعادة إنتاج ثقافي .

و لكن هذا الموت هو موت رمزي ثم إعادة بعثه على صورة ذكرية جديدة ،
و هذا الميلاد يكون بواسطة الأب لا الأم و هذا ما يجعل ختان الذكور يلعب
دورا رمزيا لتأكيد سيطرة كبار الذكور (الأب، الجد)، و ذلك بمنحهم سلطة
الإخصاء الرمزي للصغار و قدرة رمزية على فعل شئ يتغلبون به على النساء
هو ولادة الأطفال بصورة رجولية ذكورية في مملكة لا يمتلكها إلا الذكور .

هـ - الختان بين الرمز و الواقع :

يرمز ختان الذكور إلى الذبح الأصغر / الفداء و يرمز الكبش المذبوح عوضاً من إسماعيل إلى ذبح آخر، ذلك أنه إذا كان عيد الأضحى مرتبط بذبح أضحية يوم الوقوف بعرفة بالمقابل الختان مرتبط بالذبح المباشر لعضو الذكر ، فالختان برمزيته كذبح أصغر للعضو التناسلي يعني من جهة طهور بالدم ، و من جهة أخرى تطهر من الدم لذلك في الواقع فإن الختان دائماً يرتبط بخلفية دينية رمزا للتضحية و إنتقالاً من الرمز إلى الواقع . هذه التضحية تجعل من الطفل مؤهلاً للإرتقاء الإجتماعي و الدخول في الدين الإسلام و العالم الذكوري و في الواقع ذلك الدم الناتج عن الختان عند الذكر يقابل دم البكارة لدى الإناث ، كما أن تضحية الطفل بجزء من قضيبه ما هو إلا لينال رضى مجتمعه و مكانة فيه و يحصل على الإرتقاء الذي يريده له مجتمعه ، و على هذا الأساس فإن طقس الختان يحمل معانيه دلالات سوسيو ثقافية و هي :

- أن الختان يعود الطفل على تحدي الصعاب و قبول التضحية .
- إختبار الطفل على تجربة وجدانية يفصله عن والدته التي هو بحاجة إليها .
- دم المختون هو رمز الرجولة و الذكورية و القوة و الشجاعة .

و- الختان من لحظة إستيهام للأبوة إلى الترميز :

تعتبر معظم الدراسات أن الختان ماهو إلا لحظة إرتجاعية لإستيهامات الأبوية المكبوتة ، و ذلك من خلال إعادة تحيينها عبر شخص الإبن حيث يتذكر الأب لحظة تخثينه " إنتقام إستيهامي للأب من المنافسة اللاشعورية للإبن ، نزوع عصبي أبوي إلى السيطرة و السيادة ،بنيات لتناقض وجداني مختلفة " 1 مما يجعل الختان مثير حاضر لأنه يستحضر القلق الماضي لأنه في الحقيقة يستحضر ختانه هو .إضافة إلى ذلك فإنه يقترن بإستيهامات الأب إستيهامات الإبن الذي ينتقل في وقت قصير من حالة إلى أخرى، حالة ظلت فيها الممارسة الجنسية الذاتية سائدة إلى حالة ثقافية حيث تأخذ هذه الممارسة طابع منظم و مقنن بفعل التنشئة الإجتماعية. لذلك الختان في معناه هو حامل للثنائية طبيعة /ثقافة فهذه الجروح الرمزية التي بموجبها يتم بتر القضيب هي جروح أبدية لاتجعل الطفل يدخل إلى عالم الذكورية إلا عن طريقها و بموجبها . فالختان كطقس يسمح ببروز الرمز و ذلك بإعتبار أن مضمون العملية يبقى مفتوحا على عالم تواصل يتجاوز الفرد و ذلك بوجود الأنا في الجماعة الذي يبرز من خلال فعل التضحية لذلك إعتبر لا بلانش هذه العملية بمثابة ترميز إجتماعي دال على الخصوبة . هناك عدة نظريات عن الختان و لكن النظرية المعترف بها هي أن الختان يعتبر لحظة إسترجاع لذكريات الأب عن الختان، هذه الذكريات المكبوتة و التي يريد من وراء ذلك تحيينها من خلال شخص إبنه ،هذه الذكريات المؤلمة و الغامضة عن لحظة ختان الأب حيث يتصرف كما ولو أنه هو الذي سيختن و ما هذه الإستيهامات إلا إمتداد لإستيهامات الإبن التي هي إستيهامات أنية مؤقتة

1- مالك شبال ، الجنس و الحريم روح السراري ، السلوكات الجنسية المهمشة في المغرب

الكبير ، ترجمة عبد الله زارو ، أفريقيا الشرق ، المغرب ، 2010 ، ص177

إذ ينتقل في وقت قصير من حالة أولية لا جنسية إلى حالة جنسية منظمة مضبوطة بفعل التنشئة الاجتماعية. و بذلك فإن طقس الختان يجمع بين تناقض طبيعة /ثقافة إذ يكون الطفل في حالة طبيعية ليصبح في حالة ثقافية تسطرها ثقافة مجتمعه، إذ لا يعتبر المجتمع هذا الطفل ينتمي إلى عالم ذكوري إلا بنزع القلفة و الذي يعتبر سببا من أسباب التكيف مع المثل العليا للمجتمع ، وما إستيهامات الأب إلا مؤشر للترميز الذي يعرفه طقس الختان إستيهامات معبرة عن الرجولة التي سيحقق بها الطفل و العالم الذكوري، فبقدر ما تكون هذه الإستيهامات مؤلمة للأب بقدر ما تكون مفرحة له لأنه سيمدد سلطته الذكورية من خلال شخص الابن .

ز- الختان رهان إجتماعي :

يعتبر الختان بمثابة نظام للجسد يهدف إلى جعل الفرد يتشرب المبادئ المثالية للجماعة التي هو ينتمي إليها لذلك طقس الختان يفصل بين الثنائيات بين عالمين مختلفين عالم الطفولة /عالم البلوغ ، عالم المدنس / عالم المقدس ، العالم اللاجنسي / العالم الجنسي ، و بذلك هو يشكل القطيعة بين ما كان عليه الطفل و ما سيكون عليه لذلك هو يشكل فعلا توصليا داخليا و أحد المحاور الفعالة لبقاء الجماعة و إستمراريتها (الجماعة الذكورية) .

خ-الختان جرح رمزي و رمز إجتماعي في الإسلام :

يعتبر الختان طقس جسدي لأنه يمس جسد الطفل و يطرأ عليه تغييرا، لذلك هو جرح مؤذ لا يقوم به إلا الإنسان يرى مونتاجيو " أن الإنسان هو الكائن الحي الوحيد الذي يجري عمليات تشويه لأجساد أفراده بإسم العقل و الدين و العادات و التقاليد و العرف " 1 هذا الجرح الذي يغير جزئيا بعضو في الجسد الذكوري و ما هذا التغيير إلا رسالة إجتماعية معبرة عن التسجيل العضوي، حيث يعتبر الطفل معتنقا للدين الإسلامي حيث لا تجوز العبادات إلا إذا كانت مسبوقة بممارسة طقس الختان على هذا المتعبد. و بذلك يصبح الختان و لو أنه جرح جسدي رمزي له نتائجها إلا أنه يشكل رمزا له دلالة إجتماعية في الإسلام وهي مرور و إنتقال الطفل إلى مرحلة الرشد ،و المرور بتلك المرحلة تعني جعل الراشد مستعدا لإستقبال الحياة الزوجية و قادرا على ممارسة الأدوار البيولوجية و الجنسية المرتبطة بالزواج لأن الختان هو عملية ضرورية ترتبط بالدور الإيجابي لفكرة الخصوبة و الإنجاب لدى الذكر .

1- سهام عبد السلام ، ختان الذكور بين الدين و الطب و الثقافة و التاريخ ، مرجع سبق

ط - الختان طقس إنتقال من المدنس إلى المقدس :

يعتبر طقس الختان مرحلة هامة في الإنتقال من العالم المدنس إلى العالم المقدس حيث يظهر ذلك ضمن فكرة التطهير من الدنس المتمثلة في عبارة الدخول فسي الإسلام .

" حنا المسلمين عندنا كي يطهر الولد راه دخل

دين الإسلام لخطرش ولا نقي و مبقاش كافر راه

ولا مسلم غير الكفار اللي ما يطهروش "

(المقابلة رقم 04)

" نحن المسلمون عندما يختن الولد فإنه يدخل الإسلام

لأنه يصبح نقياً و لم يعد كافراً بل أصبح مسلماً ليس

كالكفار الذين لا يختنون "

فالدنس يكون فيه الطفل بمثابة الكافر قبل التختين ، أما بعد التختين يدخل عالم المقدس المتمثل في الإسلام و ذلك من خلال عبارة الطهارة و التي تتردد كثيراً عند المجتمعات العربية و الجزائرية. لذلك الختان يعد مؤشر الدخول للإسلام.

" حنا نقولوا نختنوا ولا نطهروا كيف كيف لخطرش

كل منطقة و عندها لهجتها و كيفاش يهدروا و كايين

اللي يقولوا نزينوا للولد الصغير و معناها الطهارة "

(المقابلة رقم 16)

" نحن نقول الختان أو الطهارة متماثلان لأن لكل

منطقة لهجتها التي تميزها و هناك من يقول نزين

للطفل و معناها الختان "

فمهما اختلفت اللهجات من منطقة لأخرى إلا أن الختان يبقى يرمز لشيء واحد هو الطهارة و النقاء .

فكلمة " طهارة " دالة على النقاء و النظافة من الدنس إذ يمكن فهم المعاني التي يحملها هذا المصطلح عند ربطه بإصطلاحات دينية أخرى ،مثل التطهير و الطهر ليعبر في الوقت ذاته عن التطهير الطقوسي المسمى الغسل أو الطهارة الكبرى " الختان عملية ترمز إلى طهارة الروح و الأخلاق " 1 لذلك فإن الختان يحمل في طياته ثنائية نقاوة / نجاسة، حيث تعبر القلفة عن جزء من جسم الإنسان غير نقي لأنه معرض للأوساخ و الختان وسيلة لتطهير الجسم من هذه النجاسة بقطع هذا الجزء النجس المدنس ليظهر و يشبه الطفل قبل الختان بالكافر

" الولد كي يظهر عندنا ما يبقاش كافر لخطرش

قبل الطهارة يكون يشبه للكفار اللي ما يطهروش

على بيها المسلمين يطهروولادهم باش ما يقعدوش

مسخين و يتنقاو " (المقابلة رقم 17)

" الطفل لما يختتن لا يصبح كافرا لأنه قبل ذلك يكون

مماثل للكفار الذين لا يعرفون الختان لذلك المسلمين

يختنون أبناءهم كي يطهروا و يتنظفوا، وتذهب

عنهم الأوساخ "

فهذه القلفة هي ترمز للكفر و بقطعها يتطهر الفرد ليدخل العالم المقدس ألا وهو الإسلام ، فهذه الممارسة تتضمن جوانب رمزية للسلوك الظاهر و الكامن حيث يشير المعنى الرمزي لعملية الختان إلى إكتساب الطفل فكرة الطهارة و النقاء

التي تمكنه من المشاركة في ممارسة الصلوات و العبادات الدينية .

كما أن المرور من المدنس إلى المقدس يعبر عنه عالم النسوة الذي يكون محيطا بالطفل قبل تخثينه من خلال إرتباطه بأمه بإعتبار عالم النساء عالم مدنس

" الولد نظهروه باش يولي راجل ما ييقاش طفل

صغير لخطرش الطهارة تعطيه القوة و تعلموا

ما يخافش كي لبنات و يولي راجل و يروح الولد

الصغير مع واحد من الرجال نتاع العائلة جدو

ولا عمو ولا بوه لخطرش لازم يكون معاه

راجل باش يشدو و يمشي لو الخوف لو كان

يشوف ماه يخاف و يتقلق و هي حنينة " (المقابلة رقم 19)

" الطفل يخثن كي يصبح رجلا و لا يبقى طفلا

صغيرا لأن الختان يعطيه القوة و يجعله لا يخشى

الأشياء مثل البنات و يصبح رجلا يذهب الطفل

مع أحد أفراد العائلة الرجال الجد أو العم أو الأب

لأنه ينبغي أن يصطحبه رجل كي يذهب عنه

الخوف إذا رأى والدته سيخاف و يقلق و الأم حنونة "

و الدليل على ذلك إصطحاب الأب لإبنه في عملية التخثين أو ذكر من العائلة

كدليل على دخوله العالم الذكوري و حتى المخثن يكون ذكرا .

لذلك تعد هذه المرحلة بداية إستقلالية الطفل عن مصاحبته أمه أفراش نومه،

فطقس الختان هو طقس مرور من عالم مدنس إلى عالم مقدس ،حيث يتشرب

الطفل المعايير الذكورية للمرور إلى عالم الذكورية حيث يستبدل الطفل قلفته

بالرجولة و معانيها لذلك فالمرور من العالم المذنس إلى العالم المقدس إضافة إلى الطهارة من النجاسة هو الإرتقاء من العالم النسوي إلى العالم الذكوري .

فالإعتقاد الشعبي السائد هو ضرورة إجراء الختان لأن هناك إلتزام ديني بضرورة إجرائه، وبالتالي هو شرط الدخول في الإسلام و الإقتراب من المقدس "من هنا جاءت تسمية الطهارة التي تطلق عليها ، حيث أنها تطهر الأطفال و تجعلهم على إستعداد للقيام بالممارسات الدينية مستقبلا بالإضافة إلى الإعتقاد بأهمية هذه العملية بالنسبة للزواج و الإخصاب في المستقبل " 1

1- فاروق أحمد مصطفى ، الأنثروبولوجيا و دراسة التراث الشعبي ، مرجع سبق ذكره ، ص217.

5-الطفل و الختان :

إن رمزية الختان عند الطفل تحمل في الحقيقة في دلالتها معاني كثيرة و إن كان هذا الطفل في الواقع يمر أثناء الختان بلحظات حرجة من حياته، لحظات قد تترك في نفسيته آلام و يمكن أن تقسم هذه اللحظات إلى لحظتين :

- فترة الإستباق : و التي يتعرض فيها الطفل إلى إرتباك سابق لعملية الختان، مندهش لما يدور حوله خصوصا في الأيام التي تسبق يوم الختان من خلال ما يلاحظه من إستعدادات تقوم بها عائلته .

- فترة الأوج: و هي اللحظة التي يخثن فيها الطفل و حضور المخثن، حيث يتوقف العالم عند هذا الطفل كما يتوقف الزمن و الوقت ، لأنه مقيد أمام رجل لا يعرفه يحمل المقص المريب الذي يخيف كل من يراه ، و هنا يجد الطفل نفسه لوحده أمام الخطر و الألم الذي سيحس به .

و لكن هذا الألم سرعان ما يختفي بعد الإنتهاء من العملية ليجد الطفل نفسه أمام واقع جديد تغيرت فيه عدة أمور، حيث يحس هذا الطفل بتغير كبير في وضعه الجنسي و الجسدي ، حيث يشعرون بأن أعضاء هم التناسلية قد كبر حجمها أصبح بارزا و بذلك أصبحوا رجالا . و ترى فينيك ريسو Fennek Reyso أن

الختان طقس جنسي هدفه هو أن يحس المخثن بمسؤوليته المستقبلية كعضو من جماعة الذكور .1 و قد إعتبر بوحذبية أن ذلك واقعي إذ إعتبر الختان وسيلة

1-Fennek Reyso , Pèlerinage au Maroc , éditions de la maison des sciences sociales , Paris , 1991 , p103

إعداد لفض البكارة وممارسة الجنس و تحسيسا مبكرا بالنشاط الإيجابي¹ لذلك
فحتى و لو يترك الختان في نفسية الطفل أحاسيس بالألم، إلا أنه يبيث فيهم روح
الذكورة و الرجولة و الشجاعة ، كما أنه يحسسهم بها من خلال ما يرونه من
تغيرات في أجسادهم .

1-Abdel Waheb Bouhadiba , Sexualité en islam , Puf ,Paris, 1975 ,
p223.

6- المفهوم السيميائي للختان في العائلة الجزائرية المكانة و الدور :

يشكل الختان عند المسلمين كما سبق و أن رأينا رمزا يحيل إلى الإنتماء و الدخول في الدين الإسلامي ، و تعتبر الجزائر من الدول الإسلامية التي تجعل للختان مكانة أساسية و ألية في حياة ذكورها، لذلك يرتبط الختان في الأسرة الجزائرية بمفهوم المكانة و الدور الذي تؤديه فئة الذكور كأفراد فاعلين في الأسرة و بعد الدراسات المتعددة حول العائلة الجزائرية و التي قام بها العديد من الباحثين أمثال مصطفى بوتفنوشات و نور الدين طوالي و غيرهم، تبين أن العائلة الجزائرية هي عائلة موسعة و ذلك لأنها تضم تحت سقف واحد عدة عائلات زواجية ، كما أن هذه العائلة الجزائرية هي تحت نظام بطريكي بحيث يمثل الأب القائد الروحي للجماعة العائلية وهو الذي ينظم فيها أمور تسيير التراث الجماعي ، كما أن العائلة الجزائرية هي عائلة أكناتية لأن النسب فيها يعود للأب كما أنها لا منقسمة بحيث الأب له مهمة و مسؤولية على الأشياء¹ و بالتالي فإن العائلة في الجزائر هي مؤسسة إجتماعية ذات نظام ذكوري بحيث الأب هو مركز السلطة ، هذه المكانة و الدور الذي إكتسبه نتيجة القيم الثقافية للمجتمع الجزائري لذلك هو رمز القوة و السلطة حيث له دور في تسيير شؤون البيت، و بذلك هو يشكل " رب الدار" لأنه العمود الأساسي في البيت بحيث هو كموجود يشكل سلطة لا تعارض و لا يعلى عليها و على الصعيد السوسولوجي يشكل القوة التناسلية لأنه هو الذي يقوم بعملية التلقيح أي أن الإنجاب متعلق بالرجل أو بالأحرى بالأب لذلك يفضل الزوجان دائما أن يكون مولودهما الأول ذكرا و هذا دليل على القوة الذكرية الموجودة داخل العائلة الجزائرية و لعل هذا ما يجعل طقس الختان أساسيا في تحديد مكانة و دور الذكر داخل العائلة

1- مصطفى بوتفنوشات ، ترجمة دمري أحمد ، مرجع سبق ذكره ، ص37

باعتباره طقس مرور من مرحلة الطفولة إلى مرحلة الرشد التي من خلالها يصبح الطفل رجلاً، و هذا ما يجعل الختان يأخذ قيمة كبيرة داخل السلم الثقافي و الإجتماعي و المعياري للمجتمع الجزائري، بما أنه يحدد مكانة هذا الطفل المخنون داخل أسرته و دوره المستقبلي و تؤهله ليكون أباً ذو سلطة في المستقبل لأنه رمز الذكورة ، حيث يتمكن الطفل من خلاله إلى الانتقال إلى طبقة إجتماعية جديدة يلتزم من خلالها القيام بأدوار خاصة تتناسب مع شخصيته الذكورية الجديدة، و هذه المرحلة هي التي يتم فيها تكوين الضمير عند الطفل و مرحلة تكوين الأنا الأعلى لديه .

" يظهر الولد باش يكبر و يولي راجل كي بوه
ويزوج هو تاني و يدير الدار بلا طهارة ما ينجمش
يتزوج على بيها الطهارة هي العرس الصغير على
بيها نقولو للمطهر العريس الصغير " (المقابلة رقم 05)

" يخثن الطفل كي يكبر و يصبح مثل أبيه و يتزوج
هو كذلك و يكون أسرة بدون ختان لا يستطيع الزواج
لذلك الختان هو عرس صغير ونقول عن المخثن أنه
عريس صغير "

ومن هنا تظهر رمزية الإحتفال بطقس الختان عند المسلمين، إذ يرى بيتلهام أن ختان الذكور قد نشأ بسبب حسد الرجال للنساء على خصوبتهن، لإرتباطها بنزول دم من أعضائهن الجنسية عند البلوغ، فكان ختان الذكر وسيلة محاكاة رمزية لهذه الخاصية الأنثوية¹ لذلك و في إطار التقارب بين دم العذرية و دم

1- سهام عبد السلام ، مرجع سبق ذكره ، ص31

الختان فإن المدلول العام لطقس الختان يبقى مرتبطا حسب بعض المفكرين بدم العذرية عند المرأة و دم الحيض كإثبات الذات، ويكمن الارتباط في كون دم العذرية في المجتمع العربي هو الشرط الوحيد لإتمام الزواج، في حين دم الختان هو كذلك يعتبر شرطا أساسيا للزواج و بذلك فإن التقارب و اضح في المعنى و الدلالة. و هذا ما جعل بيتلهيم يرى أن نشأة الختان جاء نتيجة رؤية الرجل للمرأة أن خصوبتها مقرونة بنزول دم الحيض في حين الذكر لا يمكنه ذلك ، و عليه فإن هذه الخصوبة لابد أن تتعزز عند الرجل خصوصا و أنه هو الذي يملك القوة على الولادة فإنه أوجد الختان كطريقة ووسيلة تؤهله للإخصاب و بالتالي الزواج .

II- الزواج :

1- مفهوم الزواج لغة و شرعا :

لغويا الزواج مأخوذ من الفعل زوّج يزوج تزوجا بمعنى إقترن أحد الجنسين بآخر أي إجتماعهما بعد إنفرادهما، و قد شاع إستعمال هذا المفهوم في التعبير عن إقتران الرجل بالمرأة على سبيل الدوام و الإستمرار و إلى عملية الإزدواج و الإرتباط و الإستمتاع و التناسل¹. وقد تردد مصطلح الزواج إستعماله في القرآن الكريم لقوله تعالى " ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها و جعل بينكم مودة و رحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون " 2

كما ورد مصطلح النكاح بمفهوم الزواج لقوله تعالى " و أنكحوا الأيامى منكم و الصالحين من عبادكم " 3، كما ورد هذا المفهوم في أحاديث الرسول (ص) " تناكحوا تناسلوا فإني مباه بكم الأمم يوم القيامة " و أصل النكاح في كلام العرب الوطاء و قيل للزوج نكاح لأنه سبب للوطء المباح، و يعني الزواج الشرعي المحلل 4 وقد وجد الزواج في الجاهلية و كان يسمى زواج البعولة 5 وينشأ بالخطبة و المهر و العقد ، ثم أقره الإسلام و دعاه الزواج الشرعي وهو عبارة عن علاقة جنسية تتم في إطار شرعي و عموما يعرف الزواج أنه مؤسسة

1- معن خليل العمر ، علم الإجتماع الأسرة ، دار الشروق ، عمان ، 1994 ، ص55

2- سورة الروم الآية 21

3- سورة النور الآية 32

4- حسن أمين البعيني ، عادات الزواج و تقاليده في لبنان ، بيسان للنشر و التوزيع ، بيروت ، 1998 ، ص17

5- عبد السلام الترماني ، الزواج عند العرب في الجاهلية و الإسلام ،دراسة مقارنة ، عالم المعرفة ، الكويت، 1984 ، ص11 .

إجتماعية أو مركب من المعايير يحدد العلاقة بين الرجل و المرأة، و يفرض عليها نسقا من الإلتزامات و الحقوق المتبادلة الضرورية لإستمرار الحياة الأسرية و ضمان أدائها لوظائفها 1.

ويعرف الزواج شرعا أنه رباط شرعي بين الرجل و المرأة و عند الفقهاء هو عقد بين الزوجين .

قانونيا يعرف الزواج أنه ميثاق يقوم على أساس من المودة و الرحمة و السكينة تحل به العلاقة بين الرجل و المرأة ليس أحدهما محرما على الآخر 2

أما إجتماعيا يعتبر الزواج نظام إجتماعي و قانوني من خلاله تتجلى بنية الجماعة و تظهر طبائعها و خصائصها ، و يرتبط في جوهره بتقاليد و عادات الجماعة بحيث بموجبه يتسنى للرجل أن يطاء المرأة .حيث ينشأ عن هذه الرابطة أولاد شرعيين، و لذلك هذا الزواج يتميز بقدر من الإستقرار من خلال الإمتثال للمعايير الإجتماعية .

1- فاتن محمد شريف ، الثقافة و الفولكلور مرجع سبق ذكره ، ص338

2- الوحيشي أحمد بييري ، الأسرة و الزواج مقدمة في علم الإجتماع العائلي ، مرجع سبق ذكره ، ص316.

2- معايير تفسير الزواج في علم الاجتماع :

لقد تعددت معايير حسب علم الاجتماع العائلي في تفسير الزواج وهي :

- المعيار الاجتماعي التقليدي : وقد إعتبر الزواج ظاهرة مقدسة خلقه الله و أكدته الشرائع السماوية بإعتباره الأساس الأول الذي تقوم عليه الحياة الإنسانية ،حيث يعتبر هذا المعيار أن الزواج يأتي في بداية تطلعات الإنسان بإعتباره يخص الإرادة الإلهية .لذلك يعتبر هذا المعيار الأول الذي يؤكد قداسة الزواج و يعطيه أهمية كبرى .

- المعيار التقليدي :و يعتبر هذا المعيار الزواج مراعاة للإلتزامات و المطالب الاجتماعية ،بحيث يضع هذا المعيار الزوج و الزوجة لهما حرية إتخاذ قرار الزواج و أهم ما يقتضيه هو أن هدفه المحافظة على الإحترام الإجتماعي و الإمتثال لقواعد الأسرة و المجتمع .

- المعيار الفردي : و الذي يعتبر الزواج نشأ من أجل الفرد هدفه هو إرضاء الفرد لأنه متعلق به لوحده و ليس بأسرته .

والمستنتج هو أن الزواج هو مؤسسة إجتماعية يرتبط من خلالها الرجل بالمرأة ضمن علاقة شرعية يحددها القانون بغرض إنجاب الأطفال و يعرفه جوف

Gough " أنه مؤسسة إجتماعية منتشرة عالميا تؤسس شرعية الأطفال " 1

و إن كان الزواج في إطاره العام هو علاقة جنسية منظمة و مقررة إجتماعيا

1- محمد عبده ، فاتن محمد شريف ، التراث الشعبي دراسة ميدانية في مجتمعات ريفية و

بدوية ، دار الوفاء لندنيا الطباعة و النشر ، الإسكندرية ، 2007 ، ص145

تحت عقد قانوني يضمن هذه العلاقة ،فإنه في الوقت ذاته هو مؤسسة إجتماعية تتم ضمن معايير و عادات إجتماعية بحيث يحدد العلاقة الشرعية بين الرجل و المرأة في إطار يسمح بتكوين أسرة .

3- الزواج في الشرائع الدينية :

لقد نظمت الشرائع الدينية الزواج و ألغت بعض مظاهره التي كانت سائدة في القديم ، ويعتبر الزواج في مجمل الشرائع أمر مقدس حيث يستمد شرعيته من الإشهار به و إعلانه وموافقة الجماعة عليه حيث يحصل وفق عادات و تقاليد الجماعة .

- الزواج في الشرع المسيحي :

إن الشرع المسيحي لم يشدد على وجوب الزواج و إنما سمح بالتبطل كأمر ديني و ذلك لأن السيد المسيح و لد من عذراء و عاش متبتلا، و هذا ما جعل من الكنيسة مؤسسة للتبطل و العذرية و لكن في الوقت ذاته إعتبرت العقيدة المسيحية أن الزواج خلاص من الزنى لمن لم يتحمل التبطل . و عند المسيحيين فإن إجراء عقد الزواج و المعروف لديهم بالتكليل ماهو إلا ترقية العروسين ملكين في ملكوت الله، و جرعات الخمر التي يعطيها لهما الكاهن هي رمز القداسة لأنها بمثابة جرعات من دم المسيح و ذلك لتطهير جسديهما ، بحيث هذه الجرعات تقربهما ليصبحا جسدا واحدا و بذلك يجتمعان بكيان المسيح .

- الزواج في الديانة اليهودية :

لقد إعتبر الشرع اليهودي الزواج مفروضا على كل يهودي ،ومن لم يقيم بهذا الواجب و عاش عازبا كان سببا في غضب الله على بني إسرائيل ، و من لم يتزوج عند بلوغ السن العشرين يستحق اللعن .

- الزواج في الشريعة الإسلامية :

إن الإسلام عكس الدين المسيحي لأنه نظم الزواج و قدسه و أعطى مكانة للمرأة في إطاره بحيث جعل من الزواج عقدا يصون كرامة المرأة و حقوقها حيث شدد على وجوب الزواج،و ذلك لتحصين الزوجين من الوقوع في المحرمات

و حفاظا على الأخلاق لقوله (ص) " يامعشر الشباب من إستطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أعض للبصر و أحسن للفرج ومن لم يستطع فعليه الصوم فإنه له وجاء " فالرسول (ص) في هذا الحديث حث على الزواج و عوضه بالصوم لمن لم يستطع بلوغه، لأن الصوم يحفظ الإنسان من المحرمات كما يحفظه الزواج ، ولكن رغم إختلاف مفهوم الزواج عند كل من المسيحيين و المسلمين إلا أنه له هدف واحد هو صيانة النفس من الوقوع في المحرمات، لما للزواج من أهمية عند المسلمين فإنه مقدس و مرتبط بالدين في الذاكرة الجمعية للمجتمع إذ يربطه الناس دائما بما هو ديني .

" حنا مسلمين و الله شرعنا الزواج باش

نكملوا نصف دينا و باش ما نقوموش

بالمحرمات الزواج يصونا و يحمينا باش

ما نقربوش للحرام و الزواج مسؤولية ما

يتحملها غير اللي قادر عليها" (المقابلة رقم 18)

"نحن مسلمون شرع لنا الله الزواج حتى

نكمل نصف الدين و يعصمنا عن الوقوع

في المحرمات ، وهو مسؤولية لا يتحملها

إلا القادر "

حيث يعتبر المسلم أن بالزواج قد يتم ما تبقى من دينه لما يرمز الزواج عنده من قداسة، إذ أنه معايشة للمقدس في رمزية تشير إلى تجدد الحياة مع بناء الأسرة ، و تدعو للتعبير عن مكبوتات تحاصر الفرد، و تجعله يتذكر لحظة الخلق في جو إحتفالي متأصل تحكمه قوانين و نظام ، و تسوده الروح الجماعية و بالتالي فإن عبارة نصف الدين دليل على الحصانة التي يعطيها الزواج لكل من الرجل و المرأة . فالمسلم يربط الزواج بمرجعية دينية نظرا لقدسيته

في الدين الإسلامي كعلاقة ليس أساسها إقامة العلاقة الجنسية على حد سواء بل كذلك تكوين أسرة و حفظ البقاء الإنساني .

4-الغرض من الزواج في الإسلام :

تقد سبق و رأينا كيف أن الزواج في الدين الإسلامي ليس هدفه جنسي و إنما هدفه هو حفظ النسل و بقاء النوع الإنساني بطريقة منظمة و شرعية ،و يظهر من العديد من الأبحاث و عند النظر إلى شروط الزواج في الإسلام أن أغراضه هدفها هو حفظ كرامة الإنسان حتى لا يتساوى مع الحيوانات، و ذلك من خلال تنظيم العلاقة بين الرجال و النساء حتى لا يصبح سلوكهم تحكمه الغريزة ، نشر المودة و الرحمة من خلال التعايش المشترك و التعاون بين الزوجين ، حماية الأنساب و الحفاظ عليها ، بناء أسرة و توسيع العلاقات القرابية و توطيدها و حفظ النوع الإنساني و كذلك ضمان بقاءه و إستمراره . فالإسلام نظم الزواج و حدده بما يكون فيه صالح المجتمع لذلك جعله رباطا مقدسا ووضع له أحكاما عديدة، و قد وردت العديد من الآيات القرآنية الدالة على سمو هذه العلاقة لقوله تعالى " و من آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها و جعل بينكم مودة و رحمة "1 و قوله عزّ وجلّ " و الله جعل لكم من أنفسكم أزواجا و جعل لكم من أزواجكم بنين و حفدة " 2 و من هنا يظهر أن غاية الزواج إجتماعية محضة بتكوين الأسرة و العائلة وإنجاب الأطفال.

1- سورة الروم الآية 21

2- سورة النحل الآية 72

5- أنماط الزواج :

لقد وضع ماكلينان Maclennan العالم الأنثروبولوجي البريطاني للزواج نمطين الزواج الإضوائي " الداخلي endogamy" و الزواج الإغترابي أو الخارجي exogamy وتختلف مدى الإضوائية و الإغترابية في الأنماط المجتمعية المتنوعة .

لما إهتم ليفي ستروس بالأبنية الأولية للقرابة فقد وضح كيف إرتبطت بتفضيل الزواج من أشخاص يرتبطون فيما بينهم عن طريق روابط الدم و في المقابل هناك الأبنية الأولية المعقدة ، و يربطه ليفي ستروس بالزواج بين أفراد تربطهم علاقات و روابط دم و ذلك لأن هذا الزواج يكون قائما على أغراض متنوعة قد تكون إجتماعية أو غير ذلك، و بالتالي فإنه رأى بأن الأبنية الأولية للقرابة تقترن بمفهوم الزواج الداخلي و من الأقارب الذين يرتبطون بينهم بروابط الدم (روابط بيولوجية) ، أما البنية المعقدة فإنها ترتبط بمفهوم الزواج الخارجي من خارج دائرة الأقارب ، أي الذين لا تربطهم روابط الدم (الزواج حسب الحاجة الإجتماعية أو الإقتصادية أو غير ذلك) مثال أن يبحث الرجل عن زوجة من مستواه الثقافي و ذلك بغرض التوافق و التفاهم .

أ - الزواج الإغترابي (الخارجي) :

يعرف بأنه " الزواج الذي تقوم القاعدة الأساسية فيه على ضرورة الزواج من خارج الجماعة القرابية " 1، و بذلك فإن هذا الزواج خارج الجماعة قد يكون قائما على الإختيار الحر أو على الإختيار المقيد من طرف الأهل، بإختيارهم لزوجة إبتهم أو زوج إبتهم وقد عرفت المجتمعات الزواج الإغترابي منذ

1- فاتن محمد شريف ، الثقافة و الفلكلور ، مرجع سبق ذكره ، ص344

العصور القديمة، و قد وجد العلماء أنه عرف عند القبائل التي كانت تقوم بوأد البنات حيث أجبر أعضاؤها على البحث عن زوجة خارج القبيلة ، حيث وجد سبنسر أن الزواج الإغترابي بدأ بين القبائل المتناحرة. حيث كانت هذه القبائل تقوم بخطف النساء من مختلف الجماعات القريبة منها و المتحاربة معها أي عملية السبا . و لكن في الحقيقة وستر مارك رأى عكس ذلك إذ وجد أن الزواج الإغترابي وجد نتيجة النفور الذي ينشأ عادة بين الأفراد ذوو روابط دم واحدة خصوصا الذين يتربون في بيت واحد، إذ يعتبر هؤلاء أنفسهم إخوة لبعضهم البعض و لا يمكنهم أن يتزوجوا بحكم تلك الألفة التي بينهم و هدف هذا الزواج هو توسيع نطاق القرابة بالزواج من جماعة أخرى و دعم الوحدات القرابية من خلال العلاقات الإجتماعية المتشابكة و التي قد تترتب على علاقة المصاهرة 1

وفي الشريعة الإسلامية لا طالما حبيب الرسول (ص) من الزواج بالأبعاد و خارج نطاق القرابة ، و ذلك بغرض تكوين علاقة جديدة قائمة على المصاهرة و توسيع علاقة القرابة . كما أن هذا النوع من الزواج يسمح بتبادل الثقافات من خلال التعرف على عادات و تقاليد و طقوس جماعة لجماعة أخرى عند الزواج بين أعضائهم و بالتالي يحدث تبادل في هذه العادات كما أنه وسيلة للتعرف بين العائلات . و لقد تعددت الدراسات حول نمط الزواج الإغترابي في المجتمعات المختلفة و أولها قبائل مانو في أمريكا الجنوبية تفضل الزواج من خارج القبيلة و قد قامت إلى جانب ذلك دراسات بغرض بحث الدلالة الإقتصادية و السياسية للإختلاف بين نمطي الزواج الإضوائي و الإغترابي عند جماعة الميرينا و تؤكد

1- أحمد أبو زيد ، البناء الإجتماعي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الإسكندرية ، 1976 ،

أن قاعدة الزواج الإغترابي عندهم هي تحريم الزواج بين أعضاء الجماعة من نفس السلالة ، و بهذا يكون ذلك إمتداد لتحريم الزنا بالمحارم للأقارب الذين يتشابهون قليلا مع أعضاء الأسرة النواة 1 و عموما فإنه يظهر بأن الزواج الإغترابي هو وسيلة في المجتمع للربط بين أعضائه و نشر المحبة و المودة ، و بالتالي هو وسيلة للتضامن الإجتماعي و زيادة الرباط الإجتماعي داخل المجتمع و تأكيده و تعزيزه لذلك كان هذا الزواج مفضلا في المجتمعات القديمة لأنه كان يضمن الأمن بين القبائل و عدم التناحر .

ب- الزواج الإضوائي (الداخلي) :

هو زواج مبدؤه الأساسي الإختيار من داخل الجماعة و هدفه هو المحافظة على تماسك الجماعة كما وجد فيه البعض وسيلة للقضاء على العنوسة داخل الجماعة إذ انه في نظر مؤيديه أن الزواج بالقريبات أولى من الغريبات و يتخذ الزواج الإضوائي أشكالا مختلفة :

- الزواج من الطائفة :

يقوم الزواج الإضوائي على أساس إختيار شريك حياة مناسب و ملائم و يكون التلاءم و التناسب في عدة أمور: كالسلالة و التدين، و المكانة الإجتماعية و الإقتصادية و السمات الإجتماعية و المستوى التعليميو يفضل العديد من الناس الزواج من نفس طائفتهم أو جماعتهم القرابية. و يكثر هذا النوع من الزواج في المجتمعات التي يسودها النظام الطائفي و غرضه الحفاظ على طهارة الأصل .

1- محمد عبده ، فاتن محمد شريف ، التراث الشعبي ، مرجع سبق ذكره ، ص154

- الزواج بين أبناء العمومة :يعتبر هذا النوع من الزواج أكثر الأنواع شيوعا في أشكال الزواج بين الأقارب، و يفضله الناس ذلك حفاظا على النسب الأبوي و عدم الإختلاط بدم آخر، ومن ثمة فإنه يكون لكلي الزوجين نفس الجد و الجدة من ناحية الأب .و عليه فإنه يتعمق لديهم الشعور بالقرابة و يتعزز وكذلك يعمل هذا الزواج على الحفاظ على روابط الأسرة و وحدتها و تماسكها . و عموما يتعمق الشعور بالقربى بين أعضاء الأجيال المتزامنة في البدنة الواحدة و يقوى هذا الشعور بالزواج بين أبناء العمومة 1 .

" بكري كانوا يزوجونا من ولاد عمونا لخطرش
كانوا يخافوا من الخلطة نتاع لنساب و كانوا يبغيو
باش تقعد السلالة و إسم العائلة يقعد محفوظ و البنات
ما تخرجش لدار و حدخرا دار عمها معروفة و كانوا
بناتهم لا ينغبنا مع البراني على بيها كانوا يمدوهم لولاد
عمومهم " (المقابلة رقم 02)

" في الماضي كنا نتزوج مع أبناء الأعمام لأن الأولياء
كانوا يخافون من إختلاط الأنساب و كانوا يريدون
الحفاظ على السلالة و إسم العائلة يبقى محفوظا
و الفتاة لا تذهب إلى بيت غريب حيث بيت عمها
معروف ، إذ يخاف الناس على بناتهن من المشاكل
التي تعترضهن مع الغريب لذلك كانوا يفضلون الزواج

1- محمد عبده محجوب ، مقدمة في الإتجاه السوسيو -أنثربولوجي ، الهيئة المصرية العامة

للكتاب ،الإسكندرية ، 1977 ، ص290

بأبناء العمومة "

فالزواج بالأقارب خصوصا أبناء العمومة يحفظ وحدة الأسرة و عدم تشتتها ، كما أنه يحفظ إختلاط الأنساب من أجل الحفاظ على السلالة و الحفاظ على إسم العائلة ، وخوف العائلات على بناتها عند الغريب زاد من تزكية هذا النوع من الزواج في العائلة الجزائرية عموما و العائلة في مجتمع البحث خصوصا ، إذ ابن العم سيحافظ على إبنة عمه و يصون كرامتها ، وعمها وزوجته لن يخذلها بل ستعامل البنت و كأنها إبنة لهما ، وبذلك يطمئن الوالدان على إبنتهما لكونها في بيت العائلة وليس بيت الغريب .

وقد أثبتت العديد من الدراسات تفضيل المجتمعات للزواج بأبناء العمومة و يؤكد Maurean mulloy أن هذا الزواج يبقى مفضلا حتى و لو هجرت بعض الجماعات القرابية موطنها الأصلي، و عدة دراسات رأت أن الزواج بإبنة العم يقلل من المشاكل التي تعترض الزوجين أو المشاكل بين الزوجة و أم زوجها، و ذلك حفاظا على أواصر القرابة و صلاتها و بالتالي فإن هذا الزواج يساعد على دعم العلاقات العائلية المتجانسة 1

- الزواج من أبناء الخؤولة :

لقد أثبتت الدراسات المختلفة لمجتمعات متعددة أن الزواج من أبناء الخؤولة يتواجد في المجتمعات المنحدرة عن الأم و علاقة الخال بأبناء أخته متنوعة حيث قد تكون ذات طابع سلطوي إذا كان هذا الأخير مصدر السلطة و قد يكون ذات طابع ودي إذا كان الأب هو مصدر السلطة و قد بين ذلك كلود ليفي ستروس عندما درس الأبنية القرابية الأولية حيث وجد أنه في المجتمعات

1- محمد عبده ، فاتن محمد شريف ، التراث الشعبي ، مرجع سبق ذكره ، ص164

الأبوية يأخذ الأب مركز السلطة و يكون الخال مصدر الحنان لإبن أخته حيث قد يصادقه و يصاحبه أحيانا . وقد كان لرادكليف براون دراسات عن العلاقة بين الخال و إبن الأخت و إعتبرها علاقات مهمة لأنها علاقات بنائية نظرا لأهميتها في البناء الإجتماعي . لذلك فإن هذا النوع من الزواج ينتشر في المجتمعات الأمومية أو المجتمعات التي تعترف بقرابة الأم إلى جانب قرابة الأب .

- الزواج التبادلي :

وهو نوع من نمط الزواج الإضوائي و المقصود به هو تبادل العائلات لأبنائها في الزواج حيث يتزوج الإبن من فتاة في عائلة و يزوج أخته من شقيق زوجته و يعتبر هذا الزواج مهما عند بعض المجتمعات، و ذلك نظرا لكونه يضمن إستقرار العائلة إضافة إلى تقوية روابط القرابة ، ومهما كانت أنماط الزواج فإنها سائدة في جل المجتمعات و نجدها في واقعنا الإجتماعي و المجتمع الجزائري كغيره من المجتمعات يعرف هذه الأنماط بأشكالها بين أفرادها ، فالزواج الداخلي موجود في معظم المجتمعات العربية الإسلامية ، حيث يلعب هذا النمط من الزواج دورا أساسيا و مهيمنا في الإختيار الزواجي خصوصا و أنه يضمن تماسك وحدة الأفراد و بالتالي يخلق بينهم ما يسمى بروح الجماعة " إن الفضل في الزواج عند العرب هو من المؤكد الزواج بين أبناء الأخوين إنكار لكل تبادل و تحسيس لتساو مناسب بين النسايب من ناحية الأب " 1

1- Faouzi Adel , La crise du mariage en Algérie , Insaniyat , revue Algérienne d'Anthropologie et de sciences sociales , janvier – avril , 1998 , n°4 ,Oran, p59

إن الأسرة العربية عموماً و الجزائرية خصوصاً و على مر العصور كانت تفضل الزواج الداخلي، لما يضمنه هذا الأخير من حماية المصالح العائلية والحفاظ على وحدة وتماسك العائلة " إن الزواج الداخلي لم يرس كقاعدة إلا لإرتباطه شأنه شأن الخصائص العائلية التقليدية الأخرى بجوانب حيوية ، إنه وسيلة لتماسك العائلة ووحدهافإن الزواج داخل العائلة يحول دون توزيع الميراث و بالتالي دون تشتت الملكية العائلية " 1 كما أننا لا يفوتنا أن نذكر أنه من سمات الأسرة الجزائرية التقليدية وحدة الملكية العائلية خصوصاً و أنه كان الإقتصاد المنزلي قائماً على الزراعة بالدرجة الأولى، و التي تجعل أفراد العائلة يشتركون في خدمة الأرض و بالتالي يشتركون في توزيع و تسيير مواردها المادية ، فالخوف من إنقسام هذه الملكية جعل الزواج الداخلي داخل الأسرة واقعا و ممارسة إجتماعية معمول بها . و بالنظر إلى هذا كله يظهر أن الزواج كان يخدم المصلحة العائلية العامة مما يتبث سلطة الجماعة على الأفراد التي تدفعهم إلى قبول ما يفترض عليهم دون نقاش من أجل الحفاظ على وحدة الجماعة .

1- محمد حمداوي ، مرجع سبق ذكره ، ص250

6- أشكال الزواج :

لقد إتفق الأنثروبولوجيون مع علماء الإجتماع على أن الزواج في تاريخيته عرف أشكالاً متنوعة و هي :

- الزواج الأحادي : وهو الزواج الذي يكون بمقتضاه للرجل زوجة واحدة و للمرأة زوج واحد ، وقد عرف هذا الزواج منذ القدم خصوصا عند اليونان و الرومان كما مارسته مختلف المجتمعات الإنسانية. و يعتبر هذا النوع من الزواج الأفضل في الدين المسيحي و قد سار عليه القديس المسيحيين ذلك لأن تقاليدهم كانت تحرم عليهم تعدد الزوجات و ساروا على ذلك حتى بعد إعتناقهم للمسيحية ، و رغم أن الإسلام سمح بتعدد الزوجات إلا أنه إشتراط في ذلك العدل بينهن و من ثم حيب الزواج الأحادي لأن العدل بين الزوجات كان سمة الرسول (ص) فقط و يعتبر هذا الزواج أهم أشكال تطور نظم الأسرة .

- الزواج التعددي : وهو الزواج الذي يتمكن بموجبه الرجل من الزواج بعدة نساء أو زواج المرأة بعدة رجال أو زواج مجموعة من الرجال بمجموعة من النساء و يسمى الزواج الجماعي .

أ- تعدد الزوجات :

لقد إتبع العديد من الشعوب هذا النظام من الزواج سواء قديماً أو حديثاً و يكون بدافع تحقيق بعض الغايات أحياناً، فقد يكون بغرض إبراز المكانة و الهيبة أو الحاجة إلى أطفال أو مرض الزوجة أو غير ذلك من الأسباب و لكن بالتمعن في هذا النوع من الزواج و إنتشاره هو تأكيد للسلطة الأبوية من خلال إبراز الرجل قدرته على الزواج بأكثر من واحدة ، إضافة إلى رغبته في نشر سلطته هذه و جعلها تصمد أمام النساء من خلال إنجاب عدة أطفال و لذلك يمكن إرجاع هذا

النوع من الزواج إلى رغبة شخصية في الرجل على فرض هيمنته و سلطته و منها رغبة فيه ليبقى دائما القوى و ضمان لإستمرارية سلطته .

و قد أباح الدين الإسلامي تعدد الزوجات و لكن قيده بشروط و حدود وذلك حيث حدد عدد النساء التي يمكن أن يجمع بينهن الرجل إلى أربعة مع واجب العدل بينهن . و لم يمنع أي حائل من ظهور هذا الشكل من الزواج في المجتمع الجزائري كغيره من المجتمعات حيث عرف هذا المجتمع تعدد الزوجات قبل مجيء الإسلام من طرف القبائل الأمازيغية ، ومهما كانت لتعدد الزوجات من دور مهم في القضاء على العنوسة عند الفتيات إلا أنه لا يخلو من نتائج نفسية عند الزوجة التي يترعرع داخلها شعور بالخوف من زوجة ثانية يتخذها زوجها الشيء الذي يؤثر على طبيعة الحياة الإجتماعية بين الزوج و زوجته .

ب- تعدد الأزواج :

و هذا الشكل من الزواج هو نادر لا ينتشر إلا قليلا و يغلب عليه الزواج من الأشقاء أي الإخوة من البدنة، حيث تتزوج امرأة واحدة بجميع الإخوة في نفس العائلة و بذلك يشترك مجموعة من الإخوة في زوجة واحدة و يكون ذلك منتشر بكثرة في المجتمعات الفقيرة. ففي الهند و في قبائل التودا عندما تتزوج المرأة برجل تصبح زوجة لإخوته في وقت واحد بحكم الأعراف الموجودة هناك و قد رأى ماكلينان أن هذا الزواج عرف في العصور الإنسانية الأولى و لكنه لم ينتشر في المجتمعات الإنسانية إنتشارا كبيرا .

ج- الزواج الجماعي :

لقد ساد الزواج في المجتمعات البدائية و بموجبه يتزوج عدد من الرجال عدد من النساء حيث يكون حقا مشاعا بينهم أي زواج عدد محدد من الذكور من عدد مماثل من النساء و نظرا لتعدد العيش في هذا الزواج فإنه نادر الحدوث .و

إلى جانب هذه الأنواع هناك أشكال أخرى وهي أشكال منتشرة بكثرة في العديد من المجتمعات المسلمة و غير المسلمة و هي :

- الزواج الليفراتي :

وهو الزواج بأرملة الأخ المتوفي و قد أقرت هذا الشكل من الزواج الشريعة اليهودية و ما زال الإسرائيليون يقومون به إلى يومنا هذا ، كما مارسه العرب في الجاهلية و ما زال سائدا لدى بعض القبائل العربية حاليا و قد فسر العديد من العلماء هذا الزواج على أنه إمتداد لعصبوية الأب و سلطته، حيث عندما يحل العم زوجا تحفظ سلطة الأب القائمة على أسرته خصوصا و أن العم هو من نسب الأب و بذلك هذا الزواج يحقق الإمتداد للإنتساب الأبوي .و بالتالي ينشأ الأطفال على قيم عائلتهم الأبوية و لا ينفصلون عن قيمها و مبادئها .

- الزواج السوروراتي :

و هو زواج الرجل من أخت زوجته المتوفاة و هو محلل في الشريعة الإسلامية بشرط أن لا يجمع الرجل بين الأختين. و قد تزوج عثمان بن عفان من ابنتي الرسول (ص) حيث بعد وفاة الأولى تزوج من أختها فلقب بذي النورين، و هذا دليل على مشروعية هذا الزواج ووجوده عند العرب قديما و ذلك بحكم أن الخالة هي إمتداد لحنان الأم و هي في مقامها .

و يبقى الهدف الذي يحققه الزواج الليفراتي و الزواج السوروراتي هدفا يضمن توازن الأسرة و الأطفال ، خصوصا لأنهم يجدون أنفسهم في أحضان أقاربهم و بذلك لا يفتقدون جو الدفء و الحنان الأسري بوجود زوجة أب أو زوج أم أجنبيين .

المبحث الثاني

عادات الختان و الزواج في مجتمع البحث

بين الثبات و التغيير

- عادات الزواج و الختان :

1- عادة الزغاريد في المجتمعات :

قبل التحدث عن الطقوس الإحتفالية في الختان و الزواج ،ينبغي الإشارة إلى عادة تعمل بها النساء و تحرص على بقائها بإعتبارها أساس الإحتفالات كدليل على الفرحة، و هي الزغاريد إذ لا يخلو حفل منها كبشائر الفرح و الإبتهاج .

الزغاريد بين المفهوم و الرمز :

تسمى الزغاريد في المغرب العربي بإسم " اليويو" بالدارجة كما يطلق عليها إسم زغاريد أو التولويل ،و ترجع أصول التسمية إلى فجر الحضارة حيث بين هيرودوت أن هذه الزغاريد هي نوع من الصياح الطقوسي كانت تقوم به نساء الإغريق في المعابد .لذلك تعتبر الزغاريد طقس جماعي تتحدد فيه جهود كل النساء و قد بينت جرمان تيون " أن في ليبيا أين أستمع أولاً صياح حاد مصاحب للإحتفالات الدينية لأن الإستعمال لهذه الصياحات كثيرة الإنتشار عند الليبيين و يستعملونها بقوة " 1 و يظهر أن أصل الزغاريد هو ليبيا ، و للزغاريد وظيفة مزدوجة فهي وسيلة إخبارية من خلالها يتم الإخبار و الإشهار بالحفل المقام، كما أن لها وظيفة نفسية هي التعبير عن الفرح و النشوة أي تعبير عن المشاعر ، و في حقيقة الأمر هي تحمل وظيفة إستمرارية توثيق ذات طابع نسوي تحاول من خلالها النساء إثبات و جودهن و تحديد مكانتهن و قدرتهن إذ تعبر من خلالها المرأة عن وجودها بطقس لا يمكن لسواها من إستحداثه، و لا يكون مقتصرًا إلا على العالم النسوي و ليس لعالم الذكور أي دخل فيه و أي علاقة به ، كما تشكل الزغاريد علامة حضور إجباري للعالم النسوي فإن كانت المرأة محضور عليها مشاهدة الرجال و مقابلتهم فإنها يمكن أن تستير مشاعرهم

1- Germaine Tillion , opcit , p98

بوجودها من خلال صوتها لذلك تشكل هذه الزغاريد علامة بروز إجتماعي
ووسيلة إعراف في الوقت ذاته ، بروز إجتماعي من خلاله تبرز المرأة و هناك
من النساء من تعلمن بناتهن الزغاريد منذ بلوغهن و حتى الفتيات في لعبهن
يمارسن هذه الزغاريد و يؤكد ذلك دومنيك شامبولت D.Champault
" تتدرب الصبايا اللاتي تتجاوز أعمارهن عشر سنواتعلى إتقان
الزغرودة " 1.

" ملي تكون البنت صغيرة و هي تتعلم تزغرد كنا
نلعبوا عرايس و نزغرتوا و حدنا و في لعراس نبدأوا
نديروا كي لكبار و نزغرتوا حنا تاني حتى تعلمنا
لمرا عندها غير الزغاريد اللي تبين بيهم فرحتها
والفرح بلا زغاريد ما يكونش حتى الدين نتاعنا
ينصحننا باش نشهروا بالفرح والزغاريد مديورين
باش نشهروا بيهم الفرحة " (المقابلة رقم 15)
" منذ أن تكون الفتاة صغيرة و هي تتعلم الزغاريد
حيث كانت الفتيات يلعبن لعبة العرايس و يزغردن
لوحدهن و في الأعراس يقلدن النساء و يقمن
بالزغاريد حتى يتعلمن فالمرأة تملك فقط الزغاريد
حتى تظهر فرحتها ، والأفراح بدون زغاريد لا تكون

1- مالك شبال ، الجنس و الحریم روح السراري ، مرجع سبق ذكره ، ص 159 .

حتى ديننا يدعونا للإشهار بالفرح و الزغاريد تؤدي

تلك الوظيفة "

فالفئة منذ صغرها تداوم على تعلم الزغاريد لأنها الوسيلة الوحيدة التي تبدي بها المرأة فرحتها ، وتبدي بها جمالها و وجودها ، كما أنه ومن بين الوسائل المستعملة للإشهار بالأفراح في مجتمعاتنا العربية الإسلامية تعتبر الزغاريد إحداها . لذلك فالأمهات يحرصن على بناتهن لتعلم الزغاريد و التنعم بها بمختلف الأصوات .

2- طقوس الإحتفال بالختان و عاداته :

رأينا مما سبق كيف أن الختان عند العرب و المسلمين و خصوصا في مجتمع البحث يمثل رمز الرجولة و أساس دخول الإسلام ،لذلك فقد خصه المجتمع بإحتفالات خاصة تجسد مكانته عندهم و سنعرض هذه الإحتفالات في مجتمع البحث بين ماكانت عليه في الماضي و الحاضر لمعرفة التباث و التغير .

3- طرق الختان في مجتمعي البحث بين الماضي و الحاضر :

لقد إتخذ الختان على مر الزمن عدة طرق في تطبيق هذه العملية حيث تطورت هذه الطرق و تأثرت بمعالم الحداثة و العلم .

أ- الطريقة التقليدية :

إن العملية التقليدية للختان كانت تركز على المعروف بالعامية " الطهار " و هو الذي يقوم بفعل الختان. و يعتبر هذا الرجل رمزا يلجأ إليه كل من يريد تخثين ابنه لأنه معروف لدى المجتمع و يتميز بمكانته رغم أنه إنسان عادي في حد ذاته غالبا ما يكون حلاقا .

" كان بكري واحد إسمه الجازولي معروف في

ندرومة هو اللي يطهر الدراري و كان كوافور

وكانوا قاع الناس يعيطوا له باش يطهر ولادهم "

(المقابلة رقم 05)

" كان في الماضي شخص إسمه الجازولي وهو

معروف في مدينة ندرومة يخثن الأطفال الذكور

و كان حلاقا حيث يستدعيه الناس لتخثين أبنائهم "

فالطهار الذي كان معروفا في القديم بهذا الإسم ماهو إلا إنسان عادي ، و لكن يملك التأهيل و الخبرة اللذان تساعدانه على القيام بعمله في طقس الختان .

" كان كاين واحد يجي لدار يطهر ما هو لطبيب

و لا حكيم بصح كانت عندو الحكمة و الحرفة

يكون عطار و لا حلاق بصح متخصص في

الطهارة " (المقابلة رقم 16)

" كان هناك رجل يأتي للبيت ليس طبيا ولا حكما

لكنه كانت لديه الحكمة و الحرفة حيث مهنته عطار

أو حلاق و لكنه مختص في الختان "

و الملاحظ في مجتمعي البحث أن الختان كان في الماضي يقام كعملية من طرف رجل واحد هو الحلاق الذي كان يلعب دورا مهما في عملية التخثين ، وكان هذا الحلاق يأتي إلى البيت للقيام بهذه العملية حيث في الماضي كان الطفل يبقى في البيت ثم يأتي الطهار لتخثينه ، و هذا ما يبرز أن الطفل لا يكون بمعزل عن مجتمعه عند القيام بالعملية بل يكون عضوا فيه .

" كان الطهار يجي لدار و يطهر الدراري راجل

عادي ماشي طبيب يطهر بوسائل تقليدية موس

و شفرة أنا طهرني إمام نتاع لجامع فالداروكان

يقول هدره وحدة شوف الزاوش راه فايت "

(المقابلة رقم 10)

" كان الرجل الذي يقوم بالتخثين يأتي للبيت

و يخثن الأطفال إنه رجل عادي ليس طبيا

و يقوم بذلك بواسطة وسائل تقليدية سكين

وشفرة حلاقة لقد ختنتني إمام المسجد في

البيت وكان له نفس الكلام أنظر العصفور"

و الإحتفال الذي يقام لا يكون منقطعا عن العملية بل هو مستمر و بذلك يشعر
الطفل بالأمان و لا يعيش لحظات القلق، و كانت الوسائل التي تستعمل في هذه
العملية بسيطة جدا تدل على طبيعة الحياة التي كان يعيشها المجتمع و التي هي
غالبا مقص عادي أو شفرة حلاقة و تتم العملية في دقائق قليلة و لكنها تكون في
الصباح الباكر قبل شروق الشمس .

" كان بكري الدراري يطهروا في الصباح بكري

قبل ما يطلع النهار باش ما يندروش في السخانة

و نديروا في السترة " (المقابلة رقم 09)

" كان الأولاد في الماضي يختنون في الصباح

الباكر قبل طلوع النهار كي لا يتأثرون بالحرارة

المرتفعة و كذلك حتى يكون ذلك في الخفاء "

و بتتبع هذه العملية في الماضي فإن الملاحظ أنها كانت شديدة الألم بالنسبة للطفل
و الغرض من ذلك هو حتى يحس هذا الطفل برجولته و يستمد شجاعته ، فالألم
الذي يشعر به ما هو إلا رمز الرجولة و كان هذا النوع من الختان التقليدي هو
وحده الأكثر شرعية، و بالتالي فإن الطهار هو الوحيد الذي يضيف على العملية
"التبجيل الديني " و يد الطهار هي المليئة بالبركة التي تجسد نجاح العملية و هذا
كله كان يحدث دون أن تكون هناك تعقيدات في عملية الختان و يرجع الناس
ذلك إلى عامل " النية " التي كانت سائدة .

" بكري كانت النية عليها ماكانش نخافوا على

الدراري كي يطهروا في الدار و لا الحلاق

يطهر و ما كان يصرا لهم والوا " (المقابلة رقم 17)

" في الماضي كانت النية غالبية على الناس لذلك

لم يملكهم الخوف على أبنائهم لما يختنون في

البيت من طرف الحلاق ولم يكن يحدث لهم شيئاً "

هذه النية و التي في غالب الأمر هي الأساس الذي تركز عليه الذاكرة الجمعية و التي من خلالها يتم حماية الفرد لنفسه ، هذه النية التي كانت تضمن نجاح كل مقاصد الناس و بالتالي كانت تسيير الحياة اليومية للأفراد، لذلك فهي مرتبطة لديهم بالإعتقاد لأنهم في إعتقادهم تكمن هذه النية التي تبارك أعمالهم في نجاح أمورهم مما يرفع هذه العادات إلى درجة القداسة إذ إرتباط العادة بالمعتقد جعلها مقدسة و التقديس في جوهره الشعور المبهم بالرهبة المقدسة التي تدخل نفوسنا .

ب- الطريقة الحديثة :

تختلف الطريقة الحديثة عن تلك التقليدية ليس في جوهرها بل في شكلها، حيث بعد أن كانت تقام في البيت أصبح يخص لها مكانا في العيادات الطبية ، و بعدما كان يقوم بالعملية مجرد شخص عادي أصبح يقوم بها شخص مختص " طبيب " .

" دروك كلشي تبدل و الولد راهم يدوه للطبيب

هو اللي راه يطهر في العيادة الخاصة

و لا في السبيطار مابقاتش كما بكري غير

لكوافور اللي يطهر دروك راه العلم وكلشي

تبدل الناس ولاو يعرفوا ومتعلمين " (المقابلة رقم 19)

" اليوم تغير كل شئ و الطفل أصبحوا يأخذونه

للطبيب كي يختنه في العيادة الخاصة أو في
المستشفى لم يعد كالماضي الحلاق يختن الطفل
لأنه يوجد العلم حاليا وكل شيء تغير ، أصبح
الناس متعلمين "

وبعدما كانت العملية تقام دون موعد فإنها أصبحت مقترنة بالطبيب الذي هو
يحدد يوم العملية ، و بالتالي فإن الطبيب هو الذي أصبح يقرر و يتحكم في زمن
القيام بطقس الختان .

" كنا نطهروهم في الوقت اللي حنا نختاروه لخطرش
نهدروا مع الطهار و يجي لدار في النهار اللي حنا نحبوه
بصح دروك الطبيب هو اللي راه يعطي رانديفو و يحدد
النهار على حساب ماكن عنده من خدمة وكي يكون قاعد
وزيد ما يطهرش غير واحد في هداك النهار يلم جماعة
نتاع الدراري و يطهرهم في وقت واحد لخطرش ما
يطهرش كليوم غير شي نهارات بصح الطهار كان
يطهر كل يوم و في كل وقت لخطرش معندوش
المواعيد " (المقابلة رقم 17)

" كنا في الماضي نختن الأطفال في الزمن الذي نريده
نحن لأننا كنا نستدعي من يقوم بذلك في البيت في
اليوم الذي نريده ، لكن حاليا الطبيب هو الذي يتحكم في
موعد الختان و يحدد اليوم بقدر ما تستدعيه إرتباطاته
كما أنه يقوم بتختين مجموعة من الأطفال في نفس

اليوم لأنه لا يقوم بذلك كل يوم بل في أيام معينة في
حين في الماضي الشخص المكلف بذلك يقوم به في
كل وقت "

فالرمزية التي كان يتمتع بها الطهار في الماضي زالت بزواله و أصبح الطبيب
هو الذي يشكل هذه الرمزية و لكن في الدلالة معنى الطهار لم يختلف و التسمية
بقيت على حالها و إنما الشخص تغير حيث أصبح أكثر تأهيلا للقيام بالعملية ،
و بعد أن كانت العملية تتم في الصباح الباكر، لم يصبح لها وقت محدد فأحيانا
تكون في منتصف النهار أو في المساء حسب إنشغالات الطبيب ووقت فراغه .

و عند ذهاب الطفل للطبيب يجد أطفالا أمثاله يراد تخثينهم فلا يشعر بالوحدة
و إنما هو عضو في مجتمع طفولي، يريد الإرتقاء إلى درجة البلوغ و هنا في
الطريقة الحديثة تتجسد عملية فصل الطفل عن عالم الإناث تماما و عن حضن
أمه . لأنه يؤخذ إلى مكان آخر للقيام بالختان و لا يبقى في البيت قريبا من أمه
ينتظر تدخلها في كل لحظة لإغائته، بل هو الآن وحيدا في مكان جديد لا يعرفه
بوجود ناس لا يعرفهم و لا ينتظر أمه التي ستحميه و تنقذه بل يوجد فقط والده
الذي يخشاه و يخشى سلطته و يعرف أنه لن يتدخل ليحميه . و بالتالي فإن هدف
الختان في الذهنية المجتمعية في الحقيقة تتأكد من خلال الطريقة الحديثة التي
تتم فيها فعلا إبتعاد الطفل عن العالم الأنثوي و المسجد في أمه و الإنتقال إلى
العالم الذكوري الذي يجسده الأب و الطبيب

و في الطريقة الحديثة لا يشعر الطفل بالألم كثيرا لأنه إبتكرت تقنيات حديثة
لتفادي ذلك و هي تقنية التخدير الجزئي للعضو التناسلي الذكري.

" دروك ماراهمش ينضروا راه كاين لمسيكرا راهم "

يسكروهم ما يفطنوش وبيديرو لهم الدواء و يخيطوهم بصح

بكري كانوا ما يسكروهم ما والوا مسكين عينوا
تشوف وهو يتوجع و يطهر وما نديوروا لا دواء لا
خياطة غير بدوا لعرب ويبرا كما الشب "

(المقابلة رقم 05)

" حاليا لم يعد الطفل يتألم يوجد ما يخدرون به المنطقة
المراد تختينها (العضو الذكري) ويضمضون جروحهم
بالدواء ثم يخيطنون الجروح ، لكن في الماضي كانوا لا
يخدرون العضو حيث يرى الطفل كل ما يحدث له وهو
يتألم ولا تضمض جروحه إلا بالدواء التقليدي كالشب "

كما أنه تستعمل أدوات حديثة في العملية تخضع لمقاييس النظافة و التعقيم
و عوض المقص وجد BISTOURI ويستعمل الملقاط ، كما أن الجرح أصبح
يضمد و تخاط حافتي الجرح و لا يخرج الطفل من العيادة إلا وهو مصحوبا
بوصفة تحمل عددا من الأدوية بغرض شفاء الجرح .

" بكري ما كانوا يعطيونا الدواء لولادنا كنا غير بالشب
يتكمش اللحم و يبرا و دروك راهم يعطيونا الدواء باش
يبرا الولد بلخف و هكذا و خطرات يمرض لخطر
بكري كانت النية ماشي كي دروك الناس ولات متأمنش
بالصوالح نتاع بكري " (المقابلة رقم 09)

" في الماضي لم يكن هناك الدواء للأطفال بل فقط الدواء
التقليدي كان يضمض الجروح ، أما حاليا هناك الدواء
الذي يشفي الجرح بسرعة ومع ذلك أحيانا يمرض الطفل

لأنه في الماضي كانت توجد النية ليس كالحاضر حيث

أصبحت الناس لا تؤمن بالأشياء القديمة ."

و هنا كذلك يتدخل عامل النية كما يدعي الناس إذ هذه النية كانت تجعل الشفاء بأدوية تقليدية ، هذه النية التي كانت تمنع الناس عن التفكير في أخطار عملية الختان و الأمراض الناجمة عن عدم تضميد الجروح ، وهذا ما يدعيه البعض حاليا أن إنعدام النية عند الناس في وقتنا الحالي هي التي جعلت الأمراض كثيرة في هذا الزمن ، و الملاحظ من معايشة مجتمعي البحث أن هذه الطريقة الحديثة أصبحت مفضلة سواء في مدينة وهران أو مدينة ندرومة و لعل أول الأسباب هو خوف الوالدين على أبنائهم إضافة إلى تطور العلم مما سهل ظروف الحياة و تطور و عي الناس .

4- أشكال الختان في مجتمع البحث :

إن طقس الختان في حقيقته يأخذ أشكالا مختلفة في مجتمع البحث ، و ذلك مرتبط بمعتقدات الأفراد فمنه من يفضل أن يكون بطريقة سرية و منهم من يفضل أن يكون بطريقة علنية و يشهر له و تقام الأعراس و الأفراح .

أ- الشكل الأول : الختان بطريقة سرية

تعتمد العديد من العائلات الجزائرية في عادات الختان على هذه الطريقة و تمارسها و الأساس الأول الذي تقوم عليه هذه الطريقة هو مبدأ السرقة ، و السرقة هي أن يؤخذ الطفل في غفلة عن أبيه و يقوم بهذه السرقة أقرب المقربين إلى الأب أو الأم ، كالجد و العم و الخال .

" حنا في عادتنا نسرقتوا الولد بلا ما يعرفوا والديه
نخليوهم كي يكونوا لاهين في عرس و يديه عموا
ولا جدوا و لا يروح لدارهم واحد منهم و يقول لوالديه
نخرجوا معايا نحوس بيه و من تما يديه عند الطهار "

(المقابلة رقم 14)

" نحن من عاداتنا نسرقتوا الولد دون أن يشعر والديه
نتركهم عندما ينشغلون في حفل زفاف و يأخذه عمه
أو جده أو يذهب أحدهم لبيته و يطلب من والديه أن
يتركه يخرج معه للنزهة ثم يأخذه لتختينه "

و لا يجب أن يكون للوالدين علما بذلك و لا لأحد من أفراد العائلة الآخرين حتى لا يصاب الولد بأذى، إذ يعتقد من يتبع هذه الطريقة أنه إذا علم الناس و خصوصا الوالدين سيلحق الطفل أذى أو يحدث مكروها فعملية الختان

عندهم مقترنة بمعتقدات مسبقة لديهم هذه المعتقدات مرتبطة بمبدأ الإساءة
و الضرر .

" اللي يخونو لازم عليهم يديروا عاداتهم لو كان ما
يديروش هكذا تخرجهم و يصرا للولد كاش حاجة
على بيها يخافوا لو كان ما يديروش هكذا يلا تخرجهم
هذي عادات الجدود وكانو الوالدين ديما يوصيو باش
الدراري ينخونو باش يطهروهم وفي السترة بلا ما
يعرف حتى واحد " (المقابلة رقم 07)
" الذين يسرقون الأطفال في الختان ينبغي عليهم
إحترام عاداتهم لأنهم إذ لا يقومون بذلك يخشون
حدوث مكروه للطفل هذه عادات الأجداد والوالدين
دائما يوصيان بسرقة الأبناء من أجل تخثينهم في
جو من التستر "

وهنا يتغلب الإعتقاد على طقس الختان و بذلك يبقى الطقس يعايش هذا المعتقد
خصوصا و إذا تضمن المعتقد مفهوم السوء والضرر، و الناس تخاف من ذلك
و أول ما يخافون منه عين الحسود التي تتسبب في إذايتهم، و حتى لو أن هذه
الإساءة أو المكروه حدث في إطار الصدفة فإنه يصبح حقيقة وواقعا لديهم، لذلك
يعملون على الحفاظ على عاداتهم تحت عامل الخوف و قد تكون هذه السرقة
مقترنة ببعض المناسبات خصوصا الأعراس أين يكون الوالدين منشغلين عن
أبنائهم.

" خطرات يسرقوا الدراري كي يكون كاين عرس
باش يطهروهم لخطرش يكونوا والديه غافلين

وباش تكون خسارة وحدة زعما عمو ولا واحد من
لافاامي يتزوج هناك النهار يخونوا فيه الولد ويطهروه
وتكون فرحة وحدة لخطررش خاسرين خاسرين في
العرس باش ما يعاودوش يخسروا يخلطوا الطهارة
مع العرس و يخونوا الولد " (المقابلة رقم 01)
" أحيانا كانوا يسرقون الطفل في حفل الزفاف كي يختنونه
إذ يكون والديه في غفلة عنه وحتى تكون فرحة واحدة
ومصروف واحد ، حيث يستغل زواج أحد الأقارب من
أجل القيام بذلك ، كما أن ذلك يكون حفاظا على الوالدين
من صرف الأموال عند تختين الطفل لذلك يمزجون بين
العرس و الختان "

هذه السرقة تكون في المناسبات حتى لا ينتبه الأولياء لأولادهم عندما يؤخدون
للختين، و الغرض من هذه الطريقة هو حتى لا يتألم الوالدان أي تخفيف عنهما
الألم و الشعور به نتيجة ما يشعره إبنهم .

و لكن هذه الطريقة تبقى مقرونة ببعض العائلات و ليس كلهم سواء في مدينة
وهراة أو ندرومة هذه الطريقة التي ورثوها أبا عن جد ولا زالوا محافظين عليها
ليبقى الإعتقاد سيد الموقف و قد يصل ذلك أحيانا إلى درجة القداسة حيث يصبح
ذلك المعتقد مقدسا مما يفرض حتمية القيام بتلك العادة و يجعلها أمرا لا مفر منه
راسخا تحت مبدأ التقاليد و تابعا لسلطة الأسلاف .

ب- الشكل الثاني : الطريقة العلنية للختان :

هو الطقس الغالب على العائلة الجزائرية و تمارسه معظم العائلات و يقصد به الإشهار بالختان و تقام له الحفلات و الأعراس لذلك.

" حنا ما نخونوش في الطهارة ونزينوا للولد

الصغير و نزهيو ونحتافلوا مع لافامي ونديروا

له ليلتو نتاع الفرحة " (المقابلة رقم 04)

" نحن لا نسرق في الختان نزين للطفل الصغير

ونحتفل مع العائلة ونحيي له هذه الليلة بالفرح"

ومبدأ هذه العائلات في إحتفالية الختان هو عدم السرقة بل إقامة عرس الختان و ذلك لإعتقادهم أن إذا سرق الطفل فإنه سيصاب بمكروه، لذلك تبقى هذه الطريقة عكس الطريقة السرية و لكن تتفقان في نفس المعتقد .

" حنا ما نخونوش الولد نخافوا تخرجنا على بيها نزهيو

لخطر لو كان نديروا بالسكات تخرجنا في عادتنا يليق

كامل الناس يعرفوا بلي عندنا طهارة و نعرضوا الناس

ونحتافلوا و نوكلوا " (المقابلة رقم 06)

" نحن لا نسرق الطفل في الختان نخشى أن يصاب

بمكروه إذا قمنا بتختينه في جو صامت ، إذ في

عادتنا أن نشهر بذلك و يعلم كل الناس وندعو من

أجل ذلك الأهل و الأحباب "

وعليه فإن الإعتقاد يبقى هو المتحكم في طقس الختان وذلك نابع عن خوف في شعور الأفراد خوف مقترن بالأذى .

" في عادتنا نديروا الحفلة وما نخونوش لخطرش

تخرج الولد و ينضر على بيها نخافوا لو كان ما

نديروش الحفلة و تكون الطهارة في السكات ولا

نخونوا تخرجنا " (المقابلة رقم 15)

" من عاداتنا أننا نقيم إحتفالا و لا نسرق حتى

لا يتسبب ذلك في حدوث مكروه للطفل لذلك

نخشى إذا لم نقم بهذه العادة و نخالفها ويكون

تختين الطفل بشكل صامت أن يتحقق ذلك "

و الملاحظ أن الإعتقاد في هذه الأمور الحياتية يبقى سيد الأمر و ذلك لما يلعبه الإعتقاد في حياة الناس لأنه بعض المعتقدات مترسخة في ذهنية الأفراد و لا يمكنهم التخلص منها لتسليمهم بمصداقية و يقين هذه المعتقدات و هنا يظهر جليا علاقة العادة بالمعتقد الذي ينتقل من التصور إلى الواقع من خلال الممارسة في طقس الختان ، كما تظهر قوة المعتقدات التي تجعل من الطقس ضرورة مؤكدة و حتمية يجب القيام بها عند جميع الأفراد مهما كانت درجة و عيهم بهذا المعتقد لأنه تحركهم المشاعر المغروسة و أو المتوارثة من طرف الأسلاف و المرتبطة بمبدأ الخوف ، و في هذه الطريقة العلنية توجه الدعوات للناس و تقدم المأكولات و ذلك تعبيرا عن الفرحة بإنتقال الطفل إلى عالم البلوغ، كما أنه يتجسد مبدأ الإحتفالية و أهميتها عند الأفراد بإعتبار الإحتفال في كل المجتمعات هو شكل أو وسيلة أساسية يعبر فيها الإنسان عن مشاعره و تمكنه من إخراج مكبوتاته. إذ بالإحتفال يظهر الوالدان فرحتهم بإبنهم الذي قد تخطى طقس المرور هذا ، كما أن هذا الإحتفال في الواقع هو تحيين للماضي لأنه زيادة على دور الحفلة في تمثين مشاعر الجماعة و زيادة الإحساس عندها بالوحدة الجماعية فإنه يسمح للإنسان بالإرتباط بالماضي فيتواصل الحاضر بالماضي "كل حفلة هي مذكرة و

لكن مذكرة لماضي وهمي " 1 و عليه فإن الإحتفالات التي تصاحب طقس الختان في العائلات الندرومية و الوهرانية هي تعبير صادق عن أهمية الطقس و حجم الإهتمام الشعبي الذي يصاحب هذه الحادثة الهامة في حياتي الطفل و الأسرة .و بما أن الإحتفال تحيين للماضي فهو يجسد في طقس الختان تحيين ذاكرة الأب الذي يفخر برجوليته عن طريق تخثين ولده و تأكيدا لسلطته كما إعتبره العديد أن الأب بفرحته بإبنه فإنه يتذكر لحظة تخثينه.

1- Abderrahmane Moussaoui , Logiques du sacre et modes d'organisation de l'espace dans le sud –ouest algérien , CNRS édition ,Paris , 2002, p19 .

5- الطقوس الإحتفالية في الختان بمجتمع البحث بين الماضي و الحاضر :

كل إحتفال يعمل أصحابه على تحضيره و القيام بالتجهيزات اللازمة وفق مجموعة من العادات و التقاليد التي يمارسونها وحسب حجم الإهتمام الذي يصاحب هذه الحادثة الهامة في حياة الطفل و حياة العائلة و يرتكز طقس الختان على بعض الطقوس الإحتفالية في مجتمعي البحث وهي :

أ- حلق الرأس :

قبل إحتفالية الختان يقاد الطفل إلى الحلاق وهذه العادة كانت ولا تزال تقوم بها العديد من العائلات سواء بغاية التزيين أو لغاية أخرى ، ويصاحب الطفل غالبا والده أو جده أو عمه وبالتالي هذه العادة ذكورية لا محالة إذ لايمكن لعالم الإناث أن يتدخل في أداء هذه العادة. و هنا يبدأ فصل الطفل عن العالم الأنثوي إذ من خلال حلق الرأس تعطى للطفل هيئة الذكور فهي ترمز إلى أهمية المرور النهائي للطفل من عالم الطفولة إلى عالم الرشد .

" نبدأو بالحلاق نديو الولد الصغير عنده باش يقصلوا

شعره يديه بوه ولا عمه ولا واحد من رجال العائلة

باش يولي كيما الرجال و يأخذ تحسينة الرجال "

(المقابلة رقم 06)

" نبدأ بالحلاق نأخذ الطفل إليه حتى يقص له شعره

ويأخذه والده أو عمه أو أحد أفراد العائلة من رجال

حتى يصبح رجلا و يحلق شعره مثلهم "

" إذا كانت حلاقة شعر الطفل عادة يمارسها الرجال و تتمثل في تمييز الذكر عن الأنثى بحلاقة شعره الطويل الذي يجعله شبيها بأخواته " 1 .

فيلغ الطفل أنه يجب أن يحلق شعره و غالبا ما تحرص العائلات على أن لا يحلق الطفل رأسه قبل الختان ليتم ذلك عند تخثينه، و ذلك بهدف تمييزه عن النساء و إعطائه هيئة ذكورية و تشبيهه بوالده و أعمامه الذكور و الذين يعتبرون رمز الرجولة و السلطة. لذلك يستثنى من هذه العملية الإناث و يتولاها فقط الذكور ، و عليه فإن طقس المرور و الإدماج في العالم الذكوري يبدأ في هذا اليوم و هذا ما يعطي صبغة لطقس الختان بأنه طقس ذكوري رجولي محض ، ما غايته إلا تكوين فرد قادر على أن يصبح رجلا في المستقبل كما أن الذهاب للحلاق هو بغرض التزيين و ذلك لأنه بمثابة العريس حتى أنه يلقب عند بعض العائلات بالعريس الصغير .

" في هاذ النهار يكون الولد عريس صغير قاع

الناس مهتمة بيه على بيها ندوه عند الحسان

باش بيان و يولي شباب كي لعريس "

(المقابلة رقم 16)

" في هذا اليوم يكون الطفل عريسا صغيرا

تهتم به كل الناس لذلك نأخده عند الحلاق كي

يصبح جميلا ويكون كالعريس "

ويرمز مفهوم العريس هنا إلى كون هذا الطفل ينتقل بواسطة طقس الختان من عالم الطفولة إلى عالم الرشد الذي يكون فيه مؤهلاً لأن يقوم بأهم وظيفة في الحياة وهي الزواج و التناسل ، وبالتالي هو طقس يمنحه مكانة جديدة يكتسب الفرد من خلالها نفس الأدوار و المسؤوليات الإجتماعية و الحقوق و أولها الزواج لذلك هو بمثابة العريس كما أن طقس الختان هو العرس الأول المؤهل للعرس الثاني و هو الزواج .

ب- ليلة الحناء :

بعد حلق الرأس تأتي عملية " وضع الحناء " و يتفاعل المسلمون بالحناء كثيرا و يعتبرونها قدوة برسول الله (ص) لما ترمز إليه الحناء من أمان و الفأل الجيد و البركة لذلك تمثل الحناء رمزا من الرموز المؤسسة للعادات " تبدو ليلة الحناء كمرحلة خاصة بالعرب تتصل بمعتقداتهم القديمة و كما يؤكد لنا ويستتر مارك كان العرب يعتقدون بأن الحناء قوة رمزية بمقدورها أن تطهر الإنسان و تقوم بالدفاع عنه ضد شر ما " 1 فيلبس الطفل عباءة بيضاء و "بلغة " وذلك إستعدادا منه لوضع الحناء، و العباءة دلالة على إنتماء الطفل إلى المجتمع العربي الإسلامي حيث و المعروف تاريخيا إرتداء العرب المسلمين العباءة خصوصا في منطقة المغرب العربي حيث يعتبر هذا اللباس الزي التقليدي لسكان المنطقة

"كي نجو نربطو لحنا للولد نلبسوا له العبايا و البلغة

نتاع جدودنا لخطرش هذاك هو اللباس التقليدي نتاع

المسلمين على بيها نلبسوه للطفل " (المقابلة رقم 02).

" عندما نريد وضع الحناء للطفل يرتدي العباءة

و الحذاء الذي كان يرتديه الأجداد لأن ذلك هو

اللباس التقليدي الخاص بالمسلمين "

ومن خلال عملية الحناء يتغير محيط الطفل حيث بعدما كان في عالم ذكوري محض ينتقل إلى عالم أنثوي حيث تتولى النساء عملية وضع الحناء إضافة إلى

1- كريستينا سكار جينيسكا ، وحدة التراث الشعبي العربي مدخل تاريخي للوحدة العربية ،

الملاحح العربية المشتركة في الزواج ، التراث الشعبي ، مجلة شهرية تصدر عن وزارة

الثقافة و الإعلام ، دار الجاحظ ، العراق ، العدد 10 ، 1980 ، ص39

حضور الأطفال ذكور و إناث يحملون الشموع و تتعالى الزغاريد المعبرة عن الفرحة وتتوالى الأغاني و المديح .

" كي نربطوا لحناء للولد نغنيوا و نمدحوا و نذكروا الرسول (ص) بالصلاة عليه باش يبارك فيه ويوقف معاه في الشدة نتاعو المسلم ديما يستعين بالله و بالرسول في أعماله و المديح مليح " (المقابلة رقم 05).

" عند ربط الحناء للطفل نغني و نمدح و نذكر الرسول (ص) بالصلاة عليه كي يبارك الطفل و يقف لجانبه في محنته فالمسلم دائما يستعين بالله و الرسول في أعماله و المديح حسن "

فعادة الحناء كانت تقام في جو بهيج يحضره الأحباب و الجيران و الأقارب ، وتشكل الشموع تعبيرا عن الفرحة بهذا اليوم الذي سينتقل فيه الطفل إلى عالم الرجولة وهذا ما أكدته المبحوثة .

" كنا كي نبغيا نديروا الحنا نعروضوا قاع لحباب يجيوا يحضروا و يجمعوه في قصعاء يلبسوله عبايا و جدته تربط له في يديه و رجليه الحناء و نشعلوا الشمع و نديروا له لويزة في الحنا باش يقعد عزيز كي اللويزة و من بعد يدوحو بيه في القصعة "

(المقابلة رقم 16)

" عند وضع الحناء للطفل كنا ندعو كل الأحباب كي يحضروا الحفل ثم يجلس الطفل في قصعاء بعد أن

يرتدي العباءة ، وتقوم جدته بوضع الحناء في يديه
ورجليه ثم نشعل الشموع و نضع قطعة من الذهب
في الحناء حتى تكون له مكانة الذهب المرموقة ثم
يهزونه بهذه القصعاء يمينا و شمالا "

وما المديح إلا للتعبير عن كون الرسول (ص) يقف إلى جانب الطفل و يكون
في عونه فبركة الرسول تتولاه كما ترمز إلى قدسية هذا الطقس المرتبط بسنة
الرسول فهو بمثابة الولاء الجماعي . و بعد ذلك تتولى جدة الطفل لأمه أو أبيه
عملية ربط الحناء حيث تضعها في يديه و رجليه * ثم تؤخذ الصور للطفل حيث
أصبح الطفل يرتدي عدة أزياء وكأنه عارض وهذه موضة جديدة دخيلة على
العادات أصبح يتبناها العديد من العائلات.

" كل خطرا يخرجو صوالح جدد لاموض راهي
نتاع التبدال بزاف للمطهر باش يفرحو بيه
أنا بدلت الولدي بزاف التبادل باش صورتو من
السعودي ، للمغربي ، للسوريباش يقعدوله
سوفنيركي يكبر." (المقابلة رقم 13)

"كل مرة توجد موضات جديدة وفي الختان
ظهرت موضة تغيير الملابس للطفل وتنويعها
لقد إرتدى إبنني عدة أنواع من الملابس حتى
تؤخذ له صورة من لباس ، سعودي مغربي ،
سوري.....كي تبقى له هذه الصور ذكرى

* أنظر الملاحق الصورة رقم 01

عندما يكبر "

وهذه الموضوعات ماهي إلا عادات جديدة يتبناها المجتمع إنطلاقا من الإحتكاك بالثقافات الأخرى ، و هنا تحدث عملية التبادل الثقافي و تبني ما هو دخیل على الثقافة الأصلية و من الناس من أصبح يقوم بالختان في الصالات الكبيرة و يعطي للإحتفال حجما أكبر و ذلك بهدف التباهي أو التقليد للثقافات الأخرى

" أنا عمتي دارت الطهارة نتاع وليدها في الصالة
بغات تفرح بيه و بدلتوا كي لعريس دارت عرس
صغير ما تعبت ما خسرت دارها و دارت غير عشية
عرضت فيها لحباب و لأصحاب باش يفرحو معاها "

(المقابلة رقم 11)

" أنا عمتي قامت بحفل الختان في صالة أرادت
أن تفرح بإبنها و إرتدى عدة ملابس مثل العريس
أقامت عرسا صغيرا لم تتعب فيه و تركت بيتها
نظيفا قامت بالحفل في عشية حيث دعت كل
الأحباب و الأصحاب كي يفرحوا معاها "

وهنا تظهر كيف يتغلب التغير على بعض العادات و يدفع الناس إلى إبتكار عادات جديدة ، و تلعب وسائل الإعلام دورا في هذا التبادل الثقافي .
و بعد وضع الحناء يحمل الطفل إلى غرفة النوم حيث يقضي ليلته و تكون هذه الغرفة قد هيأتها الأم له خصيصا بعد أن أفرشتها بأحسن الفرشة .

ج- يوم الختان :

هذا اليوم هو يوم التختين أو اليوم المنتظر الذي تجهز له العائلة منذ بداية الإحتفال وكان في الصباح الباكر يأتي الطهار و يختار هذا الوقت تجنباً للحرارة في النهار.

" يجي الطهار في الصباح بكري كنا نطهروا
غير في الصباح باش يكون الولد عداك فايق و
نشيط و النهار يكون عداك ما طلعتش يكون الحال
عداك بارد لخطرش السخانة ماشي مليحة للولد
الصغير " (المقابلة رقم 01)

" يأتي من يقوم بتختين الطفل في الصباح الباكر
كنا نقوم بذلك إلا في الصباح لأن الطفل يكون
في حالة حسنة و نشيط و يكون الجو بارداً لأن
الحرارة المرتفعة ليست حسنة للولد الصغير "

ويدخل الطفل الغرفة المخصصة للعملية ثم يأتي الطهار و تبدأ الزغاريد
و المواويل و ذلك لتلين يد الطهار على الطفل من جهة و حتى لا تسمع الأم
صراخ ابنها من جهة أخرى .

"كنا كي يبدوا يطهروا الولد نغنيوا و نقعدوا
نضربوا بالمهرازونديرو لحس باش الأم ما
تسمعش بكا نتاع وليدها و ما تتضرش "
(المقابلة رقم 02)

" لما يبدأ تختين الطفل نغني و نضرب في

الهاون كي لا تسمع الأم بكاء طفلها ولا تتألم "
والملاحظ في هذا اليوم أن إحساس الأم و الإبن يتشابهان إحساس مليئ بالخوف
و الألم معبر عن الإفتراق النهائي .

" كانت الأم دير خدمي في فمها و تشدوا بين سنيها ودير
كرعيها في الماء بارد باش ما يحسش الولد بالألم
لوحدا زعما تخفف عليه لوجع ولا دير مسياسة
في فمها باش تبرد هذيك الحرارة نتاع الوجع تاع ولدها
و تبرد الحرقه اللي فقلبها نتاع ولدها اللي راه بيكي "
(المقابلة رقم 16)

" كانت الأم تضع سكينها في فمها و تشده بين أسنانها
وتضع رجليها في الماء البارد كي تشارك إبنها في
ألمه و تخفف عنه الألم أو تضع إسورة في فمها كي
تخفف من ألم إبنها و تخفف تلك النار المشتعلة في
قلبها عن إبنها الذي بيكي "

وبذلك تتبنى الأم هذه الطريقة التقليدية و التي ترمز إلى مقاسمتها طفلها آلامه
و أحيانا ترمز إلى إستلهاهم الألم كله و تحمله عن إبنها، و هذا إعتقاد كان سائدا
لدى النساء في القديم . إعتقاد يحول إلى صعوبة هذا الإفتراق التي تشعر به الأم
عن أحضانها و كذلك تعبيرا عن إحساس موحد بين الأم و إبنها إحساس بالألم
المزدوج و يجلس الطفل في إناء خشبي أو حديدي كبير معروف بالقصعة
و أحيانا يملأ بالرمل .

" بكري كان الولد يقف في قصعة معمرة بالرملة

باش كي يسيل الدم ما يشوفوش يتخلط مع الرملة

وما يخافش مين يعطينا الطهار هذيك القطعة
اللي قلعها من ذكر الولد يعطينا باش ندفنوها
تحت لرض وكانت الأم و الجدة يحرصوا باش
يديو هذيك القطعة و يدفنوها " (المقابلة رقم 09)
" في الماضي كان الطفل يقف في قصعة مليئة
بالرمل كي يختن حتى لا يرى الدم المتساقط
عندما يختلط مع الرمل وبذلك لا يخاف لما
يعطينا الذي يختن القطعة التي تم قطعها من
عضو ذكر الطفل ندفنها في الأرض وكانت الأم
و الجدة تحرصان على أخذ هذه القطعة و دفنها "

و يوضع عادة الرمل حتى تقع القطعة المقطوعة في الرمل و توضع في الأرض
مباشرة حيث كانت هذه القطعة و لا زالت تدفن تحت الأرض .

وتختار الأرض نسبة لكون الأرض معبرة عن الخصوبة فتدفن فيها تلك القطعة
حتى يكون الطفل رجلا خصبا ، كما أن الاعتقاد السائد عند الناس أن القطعة إذا
رمىت يلتقطها حيوان و بذلك قد يصاب الطفل في حياته بمكروه ، و إذا تتبنا
العادات نجدها مرتبطة بشدة بالإعتقادات و ربما هذا ما يجعلها مستمرة
و متواصلة لأن كل ماهو مرتبط بالمعتقدات يخافه الناس و يخافون تركه
و التخلي. عنه فهذه الطقوس غرضها إبعاد الخطر " إن الكثير من الطقوس
الثانويةتعبّر عن قصد عن الرغبة في إبعاد الخطر " 1 و بعد إتمام الطهار

1- مالك شبال ، الجنس و الحريم ، مرجع سبق ذكره ، ص181

لعملية التخثين تكون التحضيرات قد إنتهت و أعدت، و كان أشهر طعام يقدم في هذه الإحتفالات هو الكسكس بإعتباره الأكلة الشعبية المشهورة في الجزائر و ذلك بعد أن يكون الأب قد قام بذبح شاة لغرض الوليمة.

" بكري كانوا يذبحوا لبهايم باش يديروا الطهارة
و يوجدوا الماكلة المشهورة وهي الطعام والعرب
مشهورين بذبح الشاة في الأفراح و الطعام هي
الأكل اللي يديروه الجزائريين في الفرح ولا الفرح
لخطرش هي أكلة إقتصادية وما تكلفش يقدر عليها
المسكين و اللي بخير عليه "

(المقابلة رقم 07)

" في الماضي كانوا يذبحون الشياه في حفل الختان
ويطهون الأكل المشهور وهو الكسكس والعرب
إشتهروا منذ القديم بذبح الشياه في أفراحهم والكسكس
أكلة جزائرية تقدمها كل العائلات في الأفراح و الأفراح
لأنها أكلة إقتصادية ولا تكلف كثيرا يستطيع عليها
الفقير و الغني "

وهنا يبدأ حضور المدعوين من أقارب و جيران و أحباب للإحتفال و تقدم
المأكولات و المشروبات و الحلويات، و يقدم كل حاضر الهدايا للطفل المختون
و غالبا ما تكون نقودا و هذا كله تعبيرا عن فرحتهم بالطفل الذي أصبح رجلا
" وفي المقابل فإن الإنتقال من سن إلى آخر هو غالبا مطبوع بإحتفالات والتي

أعطاهما جونيبي إسم طقوس الإنتقال " 1 كما أن هذه النقود هي هدية يقدمها المجتمع للطفل الذي تبرع بجزء من جسده و إستطاع الإستغناء عنه ليصبح قويا و شجاعا ، و الملاحظ في الطقوس الإحتفالية للختان أنها كانت تدوم لعدة أيام مقارنة بما هي عليه في الوقت الراهن حيث أصبح الإحتفال مقتصرًا على يوم واحد أو أمسية فقط و يكون عائليا حيث لا يتواجد إلا أقرب الناس لعائلة الطفل .

" دروك ما بقاوش الناس يديروا الطهارة في سبعة
أيام كما بكري راه نهار واحد يطهروا فيه الولد
ويعرضوا غير لقراب يحضروا باش يحتفلوا إحتفال
صغير بيناتهم " (المقابلة رقم 15)
" حاليا لم يعد الناس يحتفلون بالختان في سبعة أيام
كالماضي الآن هناك حفل واحد يختنون فيه الطفل
ويدعون فقط الأقارب كي يحضروا للإحتفال بين
العائلة "

إن التغير الذي مس الحياة اليومية أثر كذلك على بعض الطقوس الإحتفالية التي أصبحت تقام في يوم واحد بدل عدة أيام، للتخفيف عن العائلة سواء ماديا أو معنويا.

" دروك كلشي تبدل حتى المدة نتاع الفرح
ما بقاش اللي راهم يديروا الطهارة كما بكري

1- Guy Rocher , L'organisation sociale , opcit , p94

كل واحد راه يديرها في نهار ولا عشية باش
ينقص عليه ما راهمش يحملوا الهراج و الشقا ولاو
يحوسو غير اللي يريحهم ماشي كما بكري ماراهمش
بيغيو يتعبو " (المقابلة رقم 03)

" حاليا لم يعد الناس يحتفلون في الختان كالماضي
أصبحوا يحتفلون في يوم أو عشية كي ينقص عنهم
الضجيج و التعب أصبحوا يبحثون فقط عما يريحهم
لأنهم لا يريدون أن يتعبوا "

وقد فقد طقس الختان طابع الزمن الذي إنتقل من الإحتفال في أسبوع إلى يوم واحد أو بعض السويغات، و تتدخل عدة عوامل في ذلك نتيجة إنشغالات الناس المتعددة في المدينة خصوصا العمل حيث أصبحت الأم تعمل و لم يعد بمقدورها إقامة حفلات كبيرة و التحضير لها ، إضافة إلى غلاء المعيشة التي تدفع الناس في أغلب الأحيان إلى جمع النقود لمدة من الوقت حتى يتسنى لهم القيام بحفلات و لا يخفى علينا عامل الفردية الذي أصبح منتشرا و قضى على النزعة الجماعية التي كانت موجودة حيث كانت كل العائلة وحتى الجيران يساهمون في الحفلات و يساعدون أصحاب الحفل سواء ماديا أو معنويا هذه العوامل كلها جعلت العائلة تعمل على تقليص الزمن و التعايش معه ، وهذا ما أدى إلى التخلي عن عدة عادات كانت موجودة من قبل إضافة إلى الشكل العمراني للمنازل الذي تغير حيث أصبحت العائلة تسكن في منازل ضيقة لا تستطيع أن تدعو فيها الكثير من الناس ، و حجم العائلة الذي تضاعف وزاد فرض عليها الإكتفاء بالأقارب فقط في هذا النوع من الإحتفالات. وعليه فإنه تتداخل عدة عوامل حتى تدفع العائلة بالتخلي عن بعض العادات أو تحويلها أولها عامل الوقت ثم الوعي الذي تغير حيث أصبح الناس يعون عدة أمور نتيجة التطور الشيء، الذي دفع

بهم إلى التخلي عن عادة الطهار و تغييرها بالعيادة الطبية و الطبيب خوفا من النتائج السيئة التي تحدث للأطفال ، كما أن الوعي جعل الأم تتخلى عن عادة السكين و الماء لأنها أصبحت لا تحس بألم إبنها بعد أن أصبح يختن بعيدا عنها في عيادة طبية ، و أصبحت تشعر أكثر بالأمان و الإطمئنان على إبنها و أحيانا قد تصطحبه مع والده للقيام بالعملية ولكن في حقيقة الأمر تلك الصلة القوية التي كانت بين الأم و إبنها قد خفّت، لأن الطفل أصبح يتردد على دور الحضانة و المربيات في سن مبكرة نتيجة عمل أمه ، وبالتالي فإن ذلك الرباط القوي الذي كان يربطه بأمه لم يعد كذلك وبالتالي شعورها بالفراق لم يعد يهددها و يقلقها كما كان في الأول عندما كانت تحتضن طفلها حتى يكبر . و كل هذا ناتج عن التحضر الذي غير من سلوكيات الناس و لم يعد الرجل ذلك الذكر المتسلط بل أصبحت الزوجة تشاركه العديد من أمور حياتهما اليومية ، وهناك من أصبح يبالغ في الإحتفال بالختان . و من هنا يظهر أن طقس الختان يفقد دلالاته المعنوية للحدث لأن المختتن يقوم من رفقته و تألمه ليلعب و يلهو و يمشي عاديا و كأنه لم يجري العملية ، حيث بمجرد إنتهاء يوم الختان يصبح الطفل شخصا عاديا و هنا في هذا النمط الجديد ومع تطور التفكير فإن تلك العلاقة مع الأم و أطروحة قطعها نجدها تنقص و لا تبرز ولكن مهما إختلفت عادات الختان بين الماضي و الحاضر لازال يحتفظ بدلالاته و معانيه و رمزيته و لكن بكيفية جديدة متناسبة مع الأفكار و العقليات الراهنة المواكبة للتمدن و التحضر . ولكن تبقى عدة أشياء تربط الإنسان بماضيه و بعادات أجداده خصوصا و أنه يرى في هذه العادات إمتثال للأسلاف خصوصا تلك المتعلقة بالمعتقدات و التي يدرجونها في ظل ما هو مقدس " العلاقة بالأسلاف تمثل رمزيا الخضوع للروابط الإجتماعية الموجودة

و تبرر في لغة المقدس " 1

وهذا الخضوع لسلطة الأجداد ليس خوفا منهم بقدر ما هو تقديرا لتقاليدهم و لأن بنية المجتمع تفرض ذلك . والقيام بهذه العادات يتجلى في ممارسة طقوسها باعتبارها المؤهل الوحيد لضمان الإنتماء إلى الجماعة " الوظيفة الأكثر شمولاً من بين كل وظائف الطقوس هي ضمان الاندماج الإجتماعي و الثقافي للفرد في الجماعة" 2 أي تحقيق الإنتماء .

ومهما تطورت العائلة الوهرانية و الندرومية ومهما عاشت من تحضر إلا أنها تبقى تقوم ببعض العادات ولكن أدخلت عليها بعض العصرية، فجمعت بذلك بين التقليد و العصرية نتيجة الحداثة و تخلت عن بعض آخر بعد تطور الوعي لديها لذلك العادة وليدة الظروف الإجتماعية و مقرونة بها ، و لا يمكنها أن تكون ثابتة على صورة واحدة بل متغيرة بتغير ظروف الحياة و العصر التي تتواجد فيه .

مما يتركنا نقول أن الأسرة الجزائرية تمر في مرحلة إنتقالية لأنها تقطن في مناطق قد تكون شبيهة بالبيئات الأوروبية و في الوقت نفسه هناك عائلات قروية ووجود نوعين من الأسر في مدينة واحدة دليل على أن هذه المدينة تحوي أسر إنتقالية ، كما أن الجزائري يتصف بصفات داخلية قديمة و صفات خارجية مستحدثة لأنه يجمع بين الإعتقاد بمثل و أخلاق و قيم و أعراف داخلية قديمة يحافظ عليها و لا يمكنه التخلي عنها ، و ظاهرة حديثة لأنه يتماشى مع الموضوعات الجديدة و يتبنى سلوكات غريبة عن ثقافته مما يجعله يعيش في إغتراب

1- Georges Balandier , opcit. , p227.

2- Claude Rivière , Pour une théorie du quotidien ritualisé , La ritualisation du quotidien , Ethnologie française xxvi , Armand Colin , Paris, 1996, p233

بيو- ثقافي ، أي في ثقافة غير ثقافته و يولد داخله صراعا دائما بين وجوب الحفاظ على ما هو قديم ووجوب تبني ما هو جديد أي صراع بيو-ثقافي، وهذا ما يجسد مفهوم الإنتقالية في الأسرة إضافة إلى وجود عائلات قديمة و عائلات حديثة في نفس المنطقة .

II- الطقوس الإحتفالية بالزواج في مجتمعي البحث :

1- الإختيار للزواج و أساليبه:

يقوم الزواج في المجتمع العربي أساسا على عدة مراحل ينبغي أن يحترمها الفرد و يؤديها المجتمع و يحرص على القيام بها بحكم أنه مجتمع عربي إسلامي، و لكن في إطار هذه المراحل هناك عادات و تقاليد يقوم بها الناس و تختلف هذه العادات من منطقة لأخرى .

إن أي إقدام للزواج في أي عائلة يسبق بالإختيار للعروس المناسبة للإبن كمرحلة أولى من مراحل الزواج العربي و الجزائري و هذا الإختيار تصطحبه عادات و تقاليد متنوعة بتنوع المناطق :

" الإختيار للزواج سلوك إجتماعي لا يتحدد فقط برغبات الشخص بل وفق معايير المجتمع "1 و يعتبر الإختيار للزواج طريقة يمكن للفرد أن ينتقي بها زوجته المستقبلية، و هذه الطريقة تتوافق مع ثقافة المجتمع و قيمه و تعتبر هذه المرحلة أهم مراحل الزواج لأنها العمود الأساسي الذي يقوم عليه بناء الأسرة حيث إذا كان الإختيار صحيحا فإنه تتكون الأسرة المثالية و إذا كان الإختيار غير صحيح تبدأ المشاكل التي تؤدي حتما إلى الطلاق .

و لكل مجتمع و كل عصر أسلوبا معيناً للإختيار للزواج يتوافق مع مستدلات الواقع و مع الظروف الإجتماعية للأسرة، و قد دلت الدراسات على وجود أسلوبان شائعان في الإختيار للزواج عند المجتمعات خصوصا منها العربية الإسلامية و يتجلى ذلك كذلك في مجتمع بحثنا و ذلك يكون حسب ثقافة و تقاليد

1- سامية حسن الساعاتي ، الإختيار للزواج و التغير الإجتماعي ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر ، بيروت ، 1984 ، ص27.

كل مجتمع و تتفاوت درجة إنتشار هذان الأسلوبان حسب درجة تطور المجتمعات .

أ- الأسلوب الوالدي : أو التدخل الوالدي في الإختيار للزواج .

ويقصد به ذلك "الإختيار في الزواج الذي يظهر فيه تدخل الأهل أو الأقارب خصوصا الوالدين أو أحدهما جليا واضحا" 1 و قد يشارك بعض الأقارب في الإختيار للزواج حيث لا يتدخل الرجل و المرأة في هذا الإختيار و ذلك دليل على الطاعة و الخضوع التام للأسرة حيث هذا النوع من الإختيار كان منتشرا في الماضي و يوجد منه في الوقت الحاضر .

" كنا بكري نتزوجوا بنعت و لا أم لعريس هي اللي

تختار المرأة في عرس ولا في الحمام ما كاناش

نشوفوا الراجل و ما يشوفناش كانوا غير الوالدين اللي

يشوفوا و يختاروا لمراه ويرضى بها ولدهم "

(المقابلة رقم 02)

" في الماضي كنا نتزوج عن طريق الوساطة أو

أم العريس تختار في عرس أو في الحمام لم نكن

نرى الرجل ولم يرانا ، كان الوالدين يختاران المرأة"

لم يكن يتسنى في هذا النوع من الزواج للعروسين رؤية بعضهما البعض ، إذ يتزوجون عن طريق الوساطة أو إختيار الوالدين ، وهذا ما يجعل من الزواج هنا مسألة إجتماعية وليست فردية . لأن الفتاة كانت نادرا ما تخرج ، كما أن

1- سامية حسن الساعاتي ، مرجع سبق ذكره ، ص95

منع الإختلاط بين الجنسين في الماضي و التربية التي كان يتلقاها الأفراد و القائمة على مبدأ المحافظة جعلت الفرد سواء رجل أو امرأة ليس بإمكانهم إختيار شريك الحياة .لذلك كانت توكل العملية للوالدين أو أحد أفراد العائلة .

" كانت البنت يخطبها بالنعيث فالحمام و لا لافامي
لخطرش ما كناش نخرجوا بزاف وكانوا يشوفوا
الشيرة يلا تعجبهم يتقدموا و يخطبوها ، وكانت الأم
و لا أخت العريس هي اللي تختار و اللا الأب نتاع
لعريس يختار له وحدة من بنات صحابوا بلا ما
يشوفها غي شاف بلي صاحبو ناس ملاح وسمع بلي
عنده بنت يخطبها لولده " (المقابلة رقم 17)
" كانت الفتاة تخطب عن طريق الوساطة في
الحمام أو العائلة ، لأننا لم نكن نخرج كثيرا وكانوا
يرون الفتاة إذا أعجبتهم يذهبون لخطبتها ، وكانت
الأم أو أخت العريس هي التي تختار أو الأب إذ
يختار لأبنة إبنة صديقه عندما يرى أنه إنسان
صالح و يعرف أن له فتاة فيخطبها لإبنة "

كان الإختيار للزواج في الماضي من إختصاص الوالدين و العائلة و غالبا ما يكون عن طريق " النعت" كما يقال بالدارجة حيث تقول إمراة لأم العريس هناك فتاة بنت فلان و تأتي لها بالمعلومات عنها ،فتذهب لرؤيتها سواء في حمام أو غير ذلك و تتقدم لخطبتها و يعود السبب في إنتشار هذا النوع من الإختيار قديما لكون الفتاة كانت ماكثة في البيت و كان الحمام أو الأعراس المكان الوحيد

التي يمكن للفتاة أن تظهر فيها و تتصرف فيه بكل حرية بحكم أن الحمام تجسيد للمكان الأنثوي ، كما أن العادات و التقاليد و الأخلاق لم تسمح للرجل بإختيار زوجته بنفسه أو بمشاهدتها و الإختلاط معها قبل ليلة الزفاف لذلك كانت مسألة إختيار الشريك توكل للوالدين أو الأقارب و في الوقت ذاته لم تسمح هذه العادات للفتاة بمصارحة عائلتها حول موضوع الزواج " كما أنها كانت تنبه بعدم مشاهدة الرجال أو التكلم معهم حيث أن هذا الأمر لا يتعارض مع طهارتها و شرفها فحسب بل يتعارض أيضا مع شرف و سمعة عائلتها " 1 لذلك كانت الفتاة دائما تنبه إلى عدم الإختلاط مع الرجال ، " لتفادي أسباب الإتصال بين الجنسين وما قد ينجم عن ذلك من إختراق لقاعدة التحريم المذكورة ، يعمل المجتمع على الفصل بين المجالين الذكوري و الأنثوي ، و يجعل الدول الأدوات المرتبط بالمجالات الخارجية حكرا على الرجل و يمنع على المرأة إعتياد الأماكن المخصصة للرجال وحدهم " 2 كما أن سلطة الأب في البيت أو بصفة عامة السلطة الذكورية ترسخت في ذهن الفتاة و كانت تراها في كل رجل لذلك كانت عملية إختيار الزوجة من إختصاص الوالدين، وما كان ذلك إلا لرفع من شأن الوالدين أمام زوجة المستقبل حتى تبقى دائما طائعة محترمة لهما " بمنح الأولياء حق إختيار الشريك يعد عاملا مهما في دعم و إسناد لسلطة العائلة و رفع شأن و مركز الأب " 3 كما أن الرجل كان يعتبر والديه خبيران بإختيار الفتاة الملائمة لأنهما يتميزان بالنضج و الإدراك .

1- علي الوردي ، طبيعة المجتمع العراقي ، ط1 ، بغداد ، 1965 ، ص213

2- محمد حمداوي ، مرجع سبق ذكره ، ص240

3- إحسان محمد الحسن ، العائلة و القرابة و الزواج ، دار الطليعة ، بيروت ، ط1 ،

1981 ، ص62

" كانوا والدينا يعرفوا يختاروا الزوجة لخطرش الوالدة
كانت بكري مجربة وتعرف تختار وتميز وتشوف
اللي تناسب ولدها و عائلتوو كان الولد يوصي أمه
كي تجي تشوف البنت باش تجيب له وحدة كيفها "

(المقابلة رقم 07)

" كان أولياؤنا يحسنون إختيار الزوجة لأبنائهم لأن
الوالدة كانت في الماضي لها تجربة و تعرف إختيار
الفتاة و ترى من يناسب إبنها و عائلته كان الإبن يوصي
أمه لما تذهب لرؤية الفتاة أن تختار له فتاة مثلها "

وهنا يتدخل دور الأم و تتحدد مكانتها و هنا يظهر ميل الولد دائما لأمه حتى في
إختيار زوجته، كما أن تفضيل زوجة كأمه يجسد مفهوم عقدة أوديب التي تحدث
عنها فرويد و التي تعزز ميل الولد لأمه لدرجة أنه يريد الحصول على زوجة
تشبهها . و لا زال هذا النوع من الإختيار موجود حاليا في مجتمعات البحث
خاصة في مدينة ندرومة إذ لا زالت الأم هي الأساس الأول في إختيار زوجة
لإبنها في الأعراس و غير ذلك . كما كان الزواج بالأقارب هو المفضل
خصوصا إبن العم .

" كنا نتزوجوا من لافامي أنا زوجوني مع ولد عمي
هما كانوا بيغيو يحافظو على إسم العائلة باش ما
يروحش الدم للبراني و ما يتخلطش الدم و النسب
وثاني يعرفوا بلي ولد العم يتهلّى في بنت عمو وما
يغبناهاش و حتى العم ومرتو يتهلّو فيها و البنت تكون
موالفتهم ما تحشمش منهم وثاني باش الورث يبقى بيناتهم

على بيها كانوا والدين بيناتهم يتفاهمو على الزواج
وخطرات مين يكونو الدراري صغار يتواعدو والدين
باش يزوجو الولد مع بنت عمو ويقولو فلان لفلانة
كي يكبرو "

(المقابلة رقم 03)

" كنا نتزوج من العائلة أنا تزوجت مع ابن عمي
لأنهم كانوا يريدون المحافظة على إسم العائلة كي
لا يذهب للغريب ولا تختلط الدماء والنسب ويعرفون
كذلك أن ابن العم يحسن لابنة عمه ولا يؤذيها وحتى
العم و زوجته يحسنان معاملتها ، أما الفتاة تكون متعودة
عليهم فلا تخجل كثيرا وكذلك للحفاظ على الميراث حتى
يبقى بينهم لذلك كان الوالدان يتفكان على الزواج و أحيانا
منذ صغر الأطفال يتواعد الوالدان على تزويج الإبن من
ابنة عمه ويقولون فلان لفلانة مستقبلا "

و الإختيار الأول كان يميل للأقارب بحكم التعارف بينهم و ذلك وفقا للمثل القائل
" زيتنا في بيتنا " و ذلك وفق مبدأ الحفاظ على النسل و الميراث و غير ذلك من
الأمور، و بحكم ما يقال في الأمثال الشعبية " والفة خير من تالفة " لأن رجل
معروف يعرفون طباعه أحسن من المجهول و كذلك فإن الزواج بالأقارب يجعل
من عائلة الزوج تحافظ على الفتاة و هذه الأخيرة تكون مألوفة لديهم ، ولكن
حاليا يرفض الكثير من الشباب الزواج من الأقارب و ذلك بعد وعيهم لما أتبثه
الطب من أمراض ناجمة عن الزواج بالأقارب .

" دروك ماراهمش بيغيوا يتزوجوا مع لافامي

خطرات يقول لك مربية معيا كيما أختي تربينا
في رحبا وبصح كما أنا موالف بنت عمي ما
نجمش نتزوجها كبرنا في رحبا ولعبنا مع بعض
كانت كيما أختي على بيها كي بغيت نتزوج قلت لهم
ما نديش من لافامي لخطرش قاع كيما خواتاتي وديت
وحدا برانية كنت نعرفها و أنا ختاريتها و ثاني زواج
لافامي يجيب المشاكل بين العائلات "

(المقابلة رقم 12)

" حاليا لا يقبلون الزواج بفتاة من العائلة أحيانا يعتبرونها
أختا لهم لأنهم تربوا مع بعض و أيضا تعودوا على بعضهم
لذلك أنا لما أردت أن أتزوج قلت لأمي لا أتزوج من العائلة
لأن كل الفتيات مثل أخواتي وتزوجت من فتاة ليست من
العائلة كنت قد تعرفت عليها و أنا إخترتها ، وزواج العائلة
يثير المشاكل بين العائلات "

كما أنه و إضافة إلى ذلك فأى مشكلة بين الزوجين تتسبب في انفصال بين
العائلات وخصام بينها، لذلك فزواج الأقارب قد يؤدي إلى تفكيك المجتمع
و أواصر الترابط بين أفراده .

ويسمى الزواج الذي تترك فيه الحرية لإختيار الزوجة للأهل بالزواج المرتب
نتيجة لأن الأهل و الأقارب هم الذين يقومون بترتيبه ، و هنا يصبح الزواج ليس
فقط تكويننا لأسرة جديدة بل وسيلة لإستمرارية و تباث الأسرة الأصلية . و قد
يعود إنتشار هذا النوع من الزواج في الماضي إلى التبعية الإقتصادية ضمن
وحدة الملكية التي كانت تفرض على الرجل أن يبقى دائما تابعا لأسرته حتى

في مجال إختيار الزوجة .ومازال هذا النوع من الزواج معمول به عند بعض العائلات .

" لدروك مازال شي رجال يطلبو من ماتهم يختارولهم
لعروسة كاين اللي ما يبغيش يغضب أماه وكاين اللي
يخاف يختار ما تعجبش والديه ولا يطيح في وحده ما
شي مليحة على بيها يخلي ماه تختار له كاين اللي
يقول الوقت راه صعيب و البنات ماراهمش كما
بكري على بيها يوكل والديه يختاروله لمرأة "

(المقابلة رقم 05)

" لحد وقتنا الحالي لا زال بعض الشباب يطلبون من
أمهاتهم إختيار العروسة ، هناك من لا يريد إغضاب
أمه ، وهناك من يخشى الإختيار لذلك يترك أمه
تختار له وهناك من يعتبر الزمن صعب و الفتيات لم
يعدن كالماضي فيوكل عملية الإختيار لأمه "

ومن هنا يظهر أن الزواج كان و لايزال عند العائلة الندرومية و حتى بعض
العائلات الوهرانية ليس مسألة فردية بل هو مسألة جماعية تشترك فيها كل
العائلة " كون العائلة وحدة إنتاجية إجتماعية إقتصادية جعل القرارات شأنًا عائليًا
و ليس شأنًا فرديًا " 1.ومنه فإن العروسة يجب أن تكون مرضية ليس فقط
لعريسها بل لجميع أفراد عائلته و على رأسهم الأب و الأم كما أن هذا الزواج ما

1- نخبة من المختصين ، علم الإجتماع الأسري ، مرجع سبق ذكره ، ص487

هو إلا وسيلة لإقامة علاقات بين عائلتين هدفها تعزيز الرباط الإجتماعي و الوحدة الإجتماعية و عند النظر إلى هذا النوع من الزواج يتجسد أمامنا مفهوم روح الجماعة التي تجعل من الزواج ليس مسألة فردية بل هو مصير الجماعة وهذا ما كان يزيد من وحدة الجماعة .وإذا كان هذا النوع من الزواج لازال منتشرا في مدينة ندرومة ذلك أن نمط الأسرة الممتدة لازال قائما بها إذ لازالت العائلات تسكن معها أولادها بعد الزواج وبحكم أن المجتمع الندرومي مجتمع حرفي فإن أغلب الأولاد لازالوا يشتغلون مع آبائهم لذلك فإن الرجل لازال يوكل لأمه عملية إختيار المرأة ،إضافة إلى كون هذا المجتمع تتعارف في إطاره العائلات فيما بينها على خلاف المجتمع الوهراني الذي حدث فيه إختلاط بين العائلات النازحة إلى وهران من كل المناطق مما جعلها لا تتعارف فيما بينها و جعل البعض يفضل الإختيار الحر .

ب- الأسس التي يقوم عليها الإختيار الوالدي للزواج :

إن الإختيار الوالدي للفتاة يقوم أساسا على مجموعة من الأسس يجب أن تتوفر فيها سواء قديما أو حديثا و أهم هذه الأسس :

- الشرف و المكانة الإجتماعية :

أهم ما يميز الإختيار للزواج في مجتمع البحث هو المكانة الإجتماعية التي تمتاز بها العائلة المراد خطبة إبنتها و ذلك لما تلعبه المكانة في الحياة الإجتماعية بحكم أنها المكان الذي يأخذه الفرد في النسق الإجتماعي، لذلك عند الإختيار للزواج كان يبحث عن أصل العائلة و المقصود به الحسب و النسب و الأخلاق الكريمة و الشرف ودائما عند البحث عن زوجة يتردد السؤال البديهي إبنة من ؟

" كانت الأم كي تشوف البنت تحوس على أصلها
و فصلها و بنت من وشكون باش يعرفوا عائلتها
لخطرش كانت الناس تتعارف بالعائلات يقولوا بنت
من هذيك و شكون بوها لخطرش النسب كانت عندو
قيمة يحوسو ديما يناسبو العائلات الكبيرة و المعروفة
وكانو الناس يتعارفو بيناتهم"

(المقابلة رقم 06)

" كانت الأم لما تبحت عن زوجة لإبنتها تبحت عن أصلها
وإبنة من حتى تعرف عائلتها لأن الناس كانت تتعارف
بالعائلات يقولون إبنة من ومن والدها لأن النسب كانت
له قيمة و مكانة كبيرة وكانوا دائما يبحثون عن نسب
العائلات الكبيرة و المعروفة وكان الناس يتعارفون بينهم "

وعند العودة إلى الماضي فإن العائلات كانت معروفة في مجتمعات البحث حيث في مدينة ندرومة وحتى يومنا هذا يتعارفون بالعائلات ، و يعتبر اسم العائلة المحدد لمكانتها الإجتماعية ونفس الشيء في مدينة وهران حيث عرفت بعض العائلات ذات الأصل الوهراني قديما و لكن بعد الإختلاط الذي عرفته المدينة أصبحت العائلات لا تعرف بعضها بعض .

وقد نصح الرسول (ص) بالزواج من الحسبية أي ذات الحسب حتى يكون ولدها نجيبا فإنه ربما سيشبه أهلها فقال " تحيزوا لنطفكم و إنكحوا الأكفاء و إنكحوا إليهم " و الأصل و المكانة الإجتماعية تحدد الفضائل و الصفات الحسنة و الأصل للفتى يمتاز بالطيبة و سمو الأخلاق و حسن المعاملة .

- مهارة الفتاة :

كان يشترط أن تكون الفتاة ماهرة تقوم بعدة صنائع و تستطيع أن تسير بيتها و كانت هذه الخاصية تختبر من طرف الأم أو إحدى النساء الخبيرات التي تأخذهن معها الأم عند زيارة الفتاة أو بالسؤال الذين يعرفون جيدا الفتاة

" كانت الأم تجرب لعروسة كي تمشي تخطبها
تشوفها كي تحط الصوالح ولا كي تتعامل مع الناس
ولا تقلبها في قوايمها باش تعرفها لا صحيحة و
لالا تميزها مليح في مشيتها لخفيفة ولا ثقيلة و في
هدرتها يلا تخف ولا تهدر بشويا ولا تهدر بزاف
يقولو مرجوفة وكانت تشوفها يلا تعرف تستقبل
الناس لخطرش بكري كانوا يحوسو على اللي
ترفد و تستحمل كانوا يجوهم بزاف الضياف والدار
كانت ديما معمرة " (المقابلة رقم 01)

" كانت الأم تجرب العروسة لما تذهب لخطبتها تراها
لما تضع الأشياء أو في تعاملها مع الناس أو تتحسس
أعضاء جسمها حتى تعرف إن كانت بصحة جيدة و
تدقق كثيرا في الفتاة في مشيتها إن كانت خفيفة أو ثقيلة
وفي كلامها إن كان موزونا ومتقونا أو كلاما عفويا
وتلاحظها إن كانت تفرح بالضيف لأن في الماضي
كان البيت لا يخلو من الضيوف لذلك كانوا يبحثون
عن التي تستقبل الضيوف وتحسن إكرامهم "

فالمهم قبل إختيار العروس أن يسأل عنها لمعرفة مميزاتا و شيمها التي تتصف
بها .وهذا ما أكدته المبحوثة

" خطرات كانت الأم قبل ما تشوف البنت تسقسي عليها
اللي يعرفوها باش يقولولها لاشاطرة ولا شابة ولا
عاقلة" (المقابلة رقم 15)

" أحيانا كانت الأم قبل أن ترى الفتاة تسأل عنها الذين
يعرفونها لإعطائها نظرة عنها إذا كانت جميلة و طيبة
و تحسن عمل البيت "

ولهذا كان يفضل الزواج من الأقارب حيث أنه تكون الفتاة معروفة لدى الأهل
و حتى لدى أم العريس حيث تكتشف مهارتها من خلال معاشيتها .

- السن :

كان الزواج في الماضي يتم في سن مبكرة وكان ذلك منتشرا عند جل
المجتمعات العربية نتيجة الأسرة الممتدة التي كانت تجعل الإبن دائما تابعا لها

و بذلك يكون الأب هو العائل لكل أفراد الأسرة حيث بإمكان الإبن أن يتزوج في سن مبكرة ، لأن والده هو الملزوم بالإئفاق عليه مادام هو صاحب السلطة و الإئفاق على كل أفراد العائلة ، وبالتالي لعب عامل التبعية الإقتصادية دورا مهما في الزواج المبكر إضافة إلى خوف العائلات من عنوسة البنات و التي كانت في الماضي من العيوب و ما يدخل في مبدأ " الحشومة " .

" بكري كانوا يزوجوا البنت صغيرة ما يخلوهاش تقعد في دار والديها كانوا يزوجوها صغيرة يخافو عليها يلا تكبر وما تتزوش كانوا يقولو لمرأ سترتها في دارها ويخافو من العار اللي تجيبه لهم البنت يلا قعدت لخطرش الزواج عندهم هو اللي يحفظ شرف المرأ على بيها يخافو يلا تكبر وتبور وباش تاني تولد بكري و يكون عندها الطاقة تربي ولادها "

(المقابلة رقم 16)

" في الماضي كانت الفتاة تتزوج في سن صغيرة لا تبقى في بيت أهلها لأنهم كانوا يخافون عليها من العنوسة لأنهم إعتبروا المرأة لا يحميها إلا بيتها ويخشون العار الذي تجلبه الفتاة إذا لم تتزوج لأن الزواج بالنسبة لهم هو الذي يحفظ شرف المرأة لذلك يخشون عليها الكبر و كذلك حتى تلد وهي صغيرة وتكون لها القدرة على تربية أولادها "

كما أن هذا الزواج المبكر مقترن بفكرة أن الأولاد يلدون في شبابهم حتى إذا كبر أولادهم كانوا قوة لهم و عوننا ولأن المجتمع كان حرفيا و زراعي فكثر اليد العاملة كانت مرغوبة وفكرة الميراث كانت مجسدة أكثر خصوصا عندما تدور

الفكرة حول الملكية الخاصة . لذلك كان الزواج في سن مبكر حتى يولد الأطفال في سن مبكرة و يكبرون لمساعدة الآباء لذلك كان سن الزواج يتحدد بين 15 سنة و 14 سنة بالنسبة للفتاة و 20 سنة و 22 سنة للذكور ، كذلك فكرة أن المرأة تشكل عارا تجسدت في ذهنية المجتمع العربي و الجزائري و المنحدرة عن الجاهلية ، حيث كانت توأد وهي حية خوفا من العار ، ولا ننسى أن الجهل و الأمية التي كانت سائدة في الماضي جعلت أفكار الناس محدودة وجعلت دور المرأة هو فقط إنجاب الأطفال و تربيتهم .

" كنا نتزوجوا صغارا كانت البنت غير تبلغ يزوجوها والديها أنا تزوجت مولات 14 سنة ، كانوا ما يعقدوناش حتى نقفلو 18 سنة ، كانت النية الناس بكري ما كانتش تخاف خطرات كانوا يزوجونا بلا عقد لخطرنا كنا صغار والبنت تتزوج غير بالفاتحة ومن بعد كي تبلغ السن تروح مع راجلها باش تعقد خطرات يكون عندها زوج دراري باش عاداك تعقد "

(المقابلة رقم 03)

" كنا نتزوج في سن صغير كانت الفتاة لما تبلغ يزوجوها أهلها أنا تزوجت وعمري 14 سنة لم تكن الفتاة تترك حتى تصل إلى 18 سنة كانت النية الناس في الماضي لم يكن ينتابهم الخوف أحيانا كنا نتزوج دون عقد لأننا كنا صغارا و الفتاة تتزوج فقط بالفاتحة ولما تبلغ السن القانوني تذهب مع زوجها لكي يعقدون و أحيانا يكون لديها طفلين حتى تعقد الزواج "

ويعود كل ذلك لظروف الحياة التي كانت سائدة، حيث أن الفتاة لم تكن تزاوّل الدراسة و كانت مأكثة في البيت لذلك كانت تزوج في سن صغيرة إضافة إلى أن الفتى كان يساعد والده في الأرض، أو في الحرفة لذلك كان تابعاً له في المسألة الإقتصادية وكان الأب هو الذي يتولى الإنفاق على عائلته بما فيها أولاده المتزوجون الذين يقطنون معه .

- الجمال :

كانت الأم في الماضي تبحث لإبنتها إضافة لفتاة ماهرة ومن أصل حسن فتاة جميلة وذلك حتى تشعر إبنتها أنها تحسن الإختيار و ذلك لما للجمال من أهمية في المخيال العربي الإسلامي خصوصاً الجزائري ، وكان العربي منذ القديم ولوعاً بالمرأة و شديد الإحساس بجمالها حيث كان الشعراء يتغنون بمفاتن المرأة و جمالها حيث يصف إمرؤ القيس محبوبته فاطمة في معلقته :

قفا نبك من ذكرى حبيب و منزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

و في الإسلام كذلك كان للجمال مكانة مرموقة و بقي الجمال عنصراً أساسياً في إختيار الأم لأبنتها زوجة حيث تركّز في ذلك على الجمال إرضاء لنفس إبنتها و حتى لا يعيب إختيارها .

" كانت الأم تختار مراه تكون شابة لولدها لخطرش

كانت تبغي تفرح ولدها وتبينلو بلي تعرف تختار

وباش تاني تفتاخر قدام الناس بلي جابت عروسة

زوينة و شابة لولدها " (المقابلة رقم 08)

" كانت الأم تختار زوجة جميلة لإبنتها لأنها كانت

تريد أن يفرح وتبين له أنها تجيد الإختياروكي

تفتخر أمام الناس وتظهر لهم بأنها أحسنت إختيار

العروس الجميلة "

و الجمال حبه الدين الإسلامي لقول الرسول (ص) في أي النساء خير للمرأة
" التي تسره إذا نظر و تطيعه إذا أمر و لا تخالفه في نفسها و لا في ماله بما
يكره " .

- الدين :

يشترط الإسلام في الزواج التجانس الديني لذلك يعتبر عامل الدين من أهم
العوامل التي كان يقوم عليها الإختيار في الزواج و ذلك لأن المتدين لديه عقيدة
و مبادئ سامية و قد حث الإسلام الزواج بذات الدين و فضلها على غيرها
حيث قال (ص) " تتكح المرأة لأربع لمالها و لحسبها و لجمالها و لدينها فأظفر
بذات الدين تربت يداك " و ذات الدين هي المرأة الصالحة ذات الخلق الكريم
حتى يتسنى عليها تربية أبنائها تربية صالحة و تنشئتهم تنشئة قوية .

" كانوا أماتنا مين يخطبولنا يحوسونا على بنت

مدينة وتصلي شاطرة تعرف الطيب وتقضي

و شابة وكان الدين هو الأساس نتاع الإختيار

لخطرش كانوا محافظين ويحوسوا على اللي

تصلي وتخاف ربي لخطرش ديما تقعد تتعامل

مع زوجها بشي ليرضي ربي وباش يخرجوا

ولادها مدينين " (المقابلة رقم 09)

" كانت الأم لما تذهب لخطبة فتاة لابنها تبحت

عن فتاة متدينة و تصلي تحسن الطهي و جميلة

وكان الدين عامل أساسي في الإختيار لأنهم

كانوا محافظين ويبحثون عن التي تصلي وتخشى
الله حتى تبقى مطيعة لزوجها وتتعامل معه بما
يرضي الله وحتى تربي أولادها على الدين"
ونفس الشيء بالنسبة للأنثى كان الوالد يشترط أن يكون الرجل متدينا .

" كانوا مين يجيوا يخطبونا والدينا يشرطوا غير
الراجل يكون يصلي و يعرف ربي لخطررش
كانوا يقولو المدين ديما يخاف من ربي وما
يغلطش في حق مرتو " (المقابلة رقم 15)
" كان الخطاب لما يأتون الأهل لا يكون لهم
شروط إلا أن يكون الرجل متدينا و يصلي لأن
في نظرهم المتدين يخشى الله ولا يخطئ في حق
زوجته "

فسواء بالنسبة للذكر أو الأنثى فإن الدين يعتبر أساس الإختيار للزواج .

ج- الإختيار الحر :

وفيه يختار الشخص الذي يعنيه الأمر الشريك المناسب للزواج دونما تدخل من
أحد أو بقبول أقل قدر من التدخل¹ ويعتمد الإختيار الحر على إختيار الشخص
المقبل على الزواج شريكة حياته دون أي سيطرة والديه ولكن في الوقت ذاته
لايتخلى عن الضوابط الإجتماعية و الأسس التي حددها له مجتمعه لذلك فهو
يدخل في إختياره عدة إعتبرات تتماشى مع قيم المجتمع و معاييرهِ .

1- سامية حسن الساعاتي ، الإختيار للزواج و التغيير الإجتماعي ، مرجع سبق ذكره ،
ص95

" دروك كلشي تبدل راهم يتعارفوا وحدهم و
يختاروا و حدهم بصح يخافو و ديما يشوفوا بنت
الفاميليا " (المقابلة رقم 14)
" حاليا كل شئى تغير أصبحو يتعارفون لوحدهم
ويختارون لوحدهم ولكن يخشون لذلك يبحثون عن
فتاة من عائلة حسنة"

فالإختيار الحر سمح و أعطى الفرصة للشباب أن يختار شريكة حياته و العكس
صحيح و كل هذا ناتج عن التغيرات التي عرفتها المجتمعات و التي نجمت عنها
عدة نتائج كخروج المرأة للعمل و التعليم و اللذان أتاحا لها الفرصة لتتعرف إلى
عالم الذكور الذي كان في الماضي محضورا عليها " من الملاحظ أن إتاحة
فرص التعليم أمام الشباب و الفتيات و فرص الإلتحاق بالجامعات في المدن
القريبة و إتساع مجالات العمل أتاح للشباب فرص التعارف فيما بينهم و خلق
جوا من التفاهم و العاطفة قبل الزواج "1 لذلك فإن جل الزيجات في الوقت
الحاضر أصبحت قائمة على مبدأ التعارف قبل الزواج بين الرجل و المرأة ،
و سواء في العائلة الندرومية أو الوهرانية فإن هناك من الشباب من أصبح
يفضل إختيار زوجته و ليس ذلك إطاحة بسلطة الوالدين و مركز الأب أو الأم
بل وعيا منهم بأن الزواج لا يكون إلا نتيجة التوافق الفكري أولا ثم الإجتماعي،
كما أنها أصبح معروفا في الحاضر أن الزواج هو مسألة شخصية و مصيرية
لذلك يجب على كل فرد أن يختار شريكة أو شريك حياته.

1- محمد عبده ، فاتن محمد شريف ، التراث الشعبي ، مرجع سبق ذكره ، ص192

" أنا عرفت راجلي من قبل ما نتزوجوا كان ولد
الحومة ومن كنت نخرج نخدم كان يشوفني
وهدر معايا ومن بعد ولينا نتلاقوا دروك راهم
يبغيوا المرأة الخدامة باش تعاونهم على
المعيشة و يختاروها وحدهم اللي تناسبهم
ماراهم يخمو ولا يحوسولا لترفدهم ولا ترفد والديهم
غير اللي تعاونم "

(المقابلة رقم 05)

"أنا تعرفت على زوجي قبل الزواج كان ابن الحي
ولما كنت أخرج للعمل كان يراني وتكلم معي وبعد
ذلك أصبحنا نلتقي حاليا أصبحوا يفضلون المرأة
العاملة كي تساعدهم في الحياة ويتكفلون بإختيارها
بمفردهم والتي تناسبهم فهم لا يختارون من تتكفل
بهم و بوالديهم بل التي تساعدهم "

فاعامل الجيرة من بين العوامل المؤدية للزواج الحر إذ غالبا ما يتقابل الناس
عندما يعيشون متقاربين لأنهم في إتصال يومي فيما بينهم ، لذلك القرب المكاني
يعبر عن تشابه سمات الحياة و المهنة و القيم و المبادئ السائدة ، كما أن خروج
المرأة للعمل أكسبها فرصة اللقاء بالذكور و أبرزها للعالم الخارجي .

و إذا كان الإختيار الوالدي قائم على بعض الإعتبارات فإن الإختيار الحر كذلك
يقوم على إعتبارات قد تختلف عن سابقتها و يعتبر التوافق الفكري و الشعوري
أول إعتبار حيث يشكل الحسب أول خطوة للزواج .

" أنا عرفت راجلي تسع سنوات و من بعد

تزوجنا كان يقرا فاليسي اللي كنت نقرا فيه وقعدنا
نتعارفو ومن بعد كي كملت قرائتي جا و خطبني "

(المقابلة رقم 13)

" أنا تعرفت على زوجي تسع سنوات وبعد ذلك

تزوجنا كان يدرس معي في الثانوية ولما أنهيت

تعليمي جاء و خطبني "

كما يعتبر العمل شرطاً أساسياً عند الشباب اليوم ، حيث أصبح الشاب يختار
المرأة العاملة حتى تساعده على متاعب الحياة و تشاركه مسؤولية البيت . و لعل
ظروف الحياة و غلاء المعيشة جعل الشباب يفكرون في إختيار شريكة الحياة
المناسبة لهم .

وتباين الزواج بين الماضي و الحاضر في مجتمع البحث ناتج عن تغير
الأوضاع التي فرضت على الإنسان تغيير مبادئه ، كما أن تغير البنية و الوظيفة
الأسرية أثرت على إختيار الإنسان لشريك حياته حيث إكتسب الإنسان مجموعة
من المؤهلات العلمية خوّل لكل فرد إنتهاج مسار حياتي معين . و لعل زوال
الوظيفة الإقتصادية للأسرة و تخصص الوظائف و تنوعها مع إنتقال مجتمع
البحث إلى صناعي ، كل ذلك كان سببا في إستقلالية الرجل عن والديه و بالتالي
تحمل نفقات أسرته النووية الجديدة حتى ولو لا زال يسكن مع والديه في بيت
واحد نتيجة الظروف المعيشية التي زادت من غلاء المساكن و ندرتها ، كما أن
إشتراك الأفراد في ثقافة معينة و درجة من التربية و التعليم ساهم في تغيير
ذهنيتهم فأصبح الرجل قادرا على إختيار شريكة حياته بنفسه دونما أن يقحم
طرفا آخر و يكتفي بموافقة أهله ، و تعليم المرأة سمح لها بأن تتمتع بقدر من
الحرية في الإدلاء بأرائها كأن تقبل أو ترفض من يتقدم لخطبتها كما ساعد
عامل التعليم للأنثى و العمل على رفع الحاجز الذي كان بينها و بين العالم

الذكوري و الذي كان يمنعها من التعارف بهذا العالم الذي كان بالنسبة لها عالما مجهولا و محضورا لا تعرف عنه شيئا إلا سلطته الذكورية " لم يعد للرجل السيطرة المطلقة إذ أصبح للمرأة مكانة جديدة تمكنها من المشاركة و إتخاذ القرارات " 1 . ولعل الملاحظ في مجتمعي البحث أن سن الزواج قد ارتفع مقارنة بالماضي حيث أصبحت المرأة تفرض وجودها من خلال التعليم و العمل الذي لا يسمح لها بالزواج في سن مبكرة .

فمعدل الزواج عند كل من الرجل و المرأة عرف هو الآخر تأخرا نسبيا وذلك بسبب الغلاء المعيشي و تعاضم تكاليف الزواج وكثرة مسؤولياته ، إلى جانب رغبة كل من الشباب و الشابات خاصة في إتمام الدراسة و التدرج بمختلف أطوارها و من تم البحث عن وظيفة مناسبة تكفل لكل واحد الإستقلالية المادية و تحقيق مكانة لائقة قبل الولوج في عالم الزواج .

" دروك راهم البنات مايتزوجوش حتى يكملو قرايتهم
و و يخدموا ما راهمش بيغيو الزواج ماشي كيما
بكري اللي كنا نتزوجو صغار و نحبسو لقرايا
دروك البنت راهي فاهمة و حتى الوالدين راهم يفهمو
و يخليو بناتهم يقرأو لخطرش الزمان تبدل دروك وراه
الراجل خطرات يخافو منو على بيها يقلك تجبر خدمتها
وقرايتها في دراعها لو كان ما ينجحش الزواج وثاني راهم
دروك راهم يخموفي المعاونة الوقت راه صعيب و يحوسو

1- نخبة من المتخصصين ، علم الإجتماع الأسري ، مرجع سبق ذكره ، ص484

باش لمرآ تعاون راجلها وتكون قاريا تعرف تعلم ولادها "

(المقابلة رقم 01)

" حاليا الفتيات لا يتزوجون حتى يكملوا دراستهم ويخرجون للعمل إنهم لا يريدون الزواج ليس كالماضي حيث كنا نتزوج صغيرات و نتوقف عن الدراسة حاليا الفتاة أصبحت واعية و حتى الوالدان أصبحوا يعون و يتركون بناتهم يدرسن لأن الزمن تغير وأصبحوا يخشون الرجل لذلك يقولون أن الفتاة تحمي نفسها بعملها إذ تجد عملها و دراستها في أوقات الشدة إذا لم ينجح الزواج وكذلك أصبحوا يفكرون حاليا في المساعدة حيث تساعد المرأة زوجها في شؤون البيت المادية وتستطيع تعليم أبنائها "

ومن هنا يظهر كيف أن التغير يمكنه أن يتحكم في بعض العادات و يغيرها و لكن في إطار الضوابط الإجتماعية و القواعد المسنونة داخل المجتمع و إن الفرد في العائلة الندرومية أو الوهرانية حتى و إن أصبح يعايش التحضرو التغير، إلا أنه لا زال تابعا لعادات مجتمعه و قيمه حيث أنه في إختياره الحر للشريك لا زال يولي أهمية لموافقة أهله، و هذا ما يؤكد أن السلطة العائلية حتى و إن خفت و بقيت رمزية فإنها لا زالت مسيطرة على الأفراد خصوصا في المجتمع الندرومي الذي مازال الإختيار الوالدي شائعا بينهم و الإختيار الحر لا زال في طور الإنتشار .

وعموما الإختيار الوالدي و الإختيار الحر يولدان ثنائية السلطة الجمعية / السلطة الفردية أو التبعية / الإستقلالية ، تبعية تامة في كل المجالات للأسرة و إستقلالية تامة تجسد سلطة الفرد على نفسه هذه الإستقلالية عن الأسرة

إقتصاديا و فكريا لذلك يظهر الإختيار الوالدي أن " السلطة التقليدية وفق
صلاحياتها تعتبر عريقة نتيجة العادات التي تضرب بجذورها في أعماق
الإنسان و التي ينبغي عليه إحترامها " 1 أما الإختيار الحر يمثل " سلطة تفرض
نفسها على مبدأ المساواة بمعنى أنها قائمة على أساس الطاعة الواجبة بمقتضى
إلتزامات قائمة على أساس نظام شرعي وضع بطريقة عقلانية " 2

1- Max Weber , Le savant et le politique , Plon, Paris, 1959, p102

2- باساغانا ، مبادئ في علم النفس الإجتماعي ، مرجع سبق ذكره ، ص108

2-الخطبة :

الخطبة بكسر الخاء و هي طلب الرجل الزواج بإمرأة أو هي إعلان رغبة الرجل في الزواج من امرأة معينة و يتم الزواج بعد الإستجابة لهذه الرغبة وفقا لمراسيم تختلف باختلاف العادات و التقاليد ، و الخطبة هي عقد تمهيدي لعقد الزواج يحدد فيه المهر و يتفق فيها على الشروط التي يتضمنها 1. وما الخطبة إلا فرصة يرى فيها الطرفان بعضهما البعض و قد أباح الإسلام ذلك كما أنها فرصة لتعارف الزوجان على بعضهما البعض و تعارف عائلتهما . لذلك هي تعتبر البداية الرسمية للزواج كما أنها فترة إعداد لإنفصال الرجل و المرأة عن نمط حياة إجتماعية مألوفة و بدء بناء روابط إجتماعية لها أدوار و علاقات مختلفة عن تلك التي مارسها من قبل .

و للخطبة عادات و تقاليد تتباين من الماضي إلى الحاضر، ففي الماضي كانت الأم بعد إختيارها للعروس تحدد يوم الخطبة و تذهب إلى بيت الفتاة المرغوبة مع قريباتها كأختها و أخت زوجها و أمها أو أم زوجها ،و يكن خبيرات بأمور الزواج كما كانت النساء تأخذ معهن امرأة معروفة تتصف بالرزانة و الحكمة و مختصة و معتادة على هذه الأمور و من العادة أن يحملن معهن حلويات مصنوعة في البيت .

" كانوا يمشيوا يخطبوا و يديو معاهم الكعك و لا

المسمن و من بعد ولاو يديو معاهم لاتارت كانوا

كلشي يخدموه في الدار ما كانش المشرا نتاع برا كنا

نورو حنة يدينا للعروسة و أهلها و هما تاني يحطونا

1- عبد السلام الترماني ، الزواج عند العرب في الجاهلية و الإسلام ، مرجع سبق ذكره ،

غير الصوالح المصنوعين في الدار ما يشريو والو
باش يبينو سجاوة بنتهم ويقولونا هي الي صنعت
هاد الصوالح "

(المقابلة رقم 03)

" كانوا لما يذهبون لخطبة الفتاة يحملون معهم حلويات
تقليدية مصنوعة في البيت وحاليا أصبحوا يأخذون
معهم حلويات عصرية حيث كانوا يصنعون كل الأشياء
في البيت ولا يشترون من السوق، لأنهم كانوا يريدون أن
تري العروس و أهلها مهارتهم و حتى أهل العروسة كانوا
يقدمون حلويات منزلية المصنوعة في البيت حتى يظهروا
مهارة إبتهم ويقولون أنها هي التي صنعت هذه الحلويات "

و ما هذه الأشياء المأخوذة إلا تعظيما من شأن العريس و أهله و تعزيز للعروس
و دليل على كرم أهل العريس ، ولكن حاليا قد دخلت مواضات جديدة و أصبح
الخطاب يأخذون معهم باقة و رود على الطرق الأوروبية .

" داروك راهم يجيبوا حتى الورد و صوالح واحدو
خرين الريحة و لا الحلوة و الشكولا كل واحد على
حساب طاقتو لاموضات خرجت وكل واحد راه يدبير
خير من لآخر و بنات دروك راهم يتفرجو المسلسلات
و يشوفو بلي كاين بزاف الصوالح جدد على بيها راهم
يبغيو الريحة و الورد"

(المقابلة رقم 13)

" الآن أصبحوا يأخذون حتى الورود و أشياء أخرى
قارورات الروائح و الحلويات و الشكولاتة
كل واحد حسب طاقته و ظهرت عدة موضات و أصبح
كل واحد يأخذ أحسن من الآخر ، كما أن الفتية حاليا
تتفرجن على المسلسلات ويرين ما وصل إليه المجتمعات
الأخرى و يتعرفن على عاداتهن لذلك أصبحوا يطلبون
الورود و قنينات العطور "

والملاحظ أن وسائل الإعلام أصبحت تنقل عادات و تقاليد مجتمعات أخرى ، من
خلال عملية تبادل الثقافات مما أدى إلى إستنباط هذه العادات و دمجها وبالتالي
فإن وسائل الإعلام تساهم بشكل أو بآخر في تغيير بعض العادات من خلال
المحاكاة و التقليد .

و بعد عرض المطلوب يطلب رؤية الفتاة من طرف الأم فتراها هي معها من
النسوة و هذه العادة موجودة في وقتنا الحاضر حتى في الإختيار الحر، و ذلك
حتى تتأكد الأم من حسن إختيار ابنها و يطلب بعد ذلك أهل العروسة مهلة
للتشاور مع بعضهم البعض و خصوصا مع الأب. و في حالة القبول يحدد يوما
آخر يعود فيه أهل العريس للتعاهم و إتمام العملية ليكون اليوم الأول هو يوم
تعارف فقط ليتبع بما يسمى عند مجتمعي البحث " بالكمال "، حيث يأتي الرجال
للتعاهم مع والد العروس لأنه كان لا يمكن إقرار القبول دون أن يلتقي الرجال
أب العروس و أب العروسة ويعتبر الكمال بمثابة الإرتباط الحقيقي و ما حضور
الرجال إلا لإعطاء لهذا الإرتباط شكلا رسميا يرتضيه المجتمع تبعا للقيم السائدة
فيه. حيث أن الإسلام يشترط في الزواج وجود الولي الوكيل على الفتاة و في
حين أن الرجل كان لا يقابل المرأة قديما فإنه كان من الواجب أن يلتقي مع
الرجال مثله ،وهنا تتجسد مرة أخرى الغلبة الذكورية التي لا تحل للعالم الأنثوي

أن تتخذ قرارات خصوصا فيما يخص العائلة " تتصف العائلة العربية ببنيته الهرمية الطبقيية و يحتل الأب رأس الهرم فالأب لا يزال يحتل مركز السلطة و المسؤولية " 1 ، و لازالت هذه العادة موجودة في الحاضر.

" كي نشوفوا البننت نتفاهموا على النهار اللي نوليو
نكملوا فيه و يجيبوا الرجال باش يتفاهموا و يهدروا
هدرتهم ماكانش كمال بلا رجال هما اللي يقروا و يقطعوا
الشروط لخطرش الرجال هما اللي يتفاهمو و على راسهم
الأب لخطرش هو اللي رايح يدفع الدراهم باش يزوج
وليد كانوا الولاد يخدمو عند باتهم و تاني البو كان هو اللي
يحكم " (المقابلة رقم 14)

" لما نرى البننت نتفاهم على اليوم الذي نأتي فيه لإكمال
المراسيم و يأتي الرجال للتفاهم لا زواج دون أن يلتقي
الرجال و يقررون و يشترطون و على رأسهم الأب لأنه
هو الذي سيدفع النقود كي يزوج إبنه لأن الأبناء كانوا
يعملون عند آبائهم وكذلك الأب كان هو صاحب السلطة"

فحضور الرجال كان مهما و ضروريا لإتمام الزواج ، لأن التبعية الإقتصادية التي كان يعيشها الفرد قبل زواجه نتيجة الملكية الخاصة جعلت الأب هو المقرر في هذه الأمور، و كذلك هناك تجسيد للسلطة الذكورية لأن الأم لا يمكنها إتخاذ القرارات دون وجود قرار الب لأنه يمثل السلطة الأعلى و الرسمية في العائلة

1- نخبة من المختصين ، علم الإجتماع الأسري ، مرجع سبق ذكره ، ص488

" كانت تجي لمرا مع الرجال الأب والللا العم
واللا الخال باش يهدرو على البنت ماكانش زواج
بلا رجال هما اللي يحكمو و يقرو "
(المقابلة رقم 15)

" كانت تأتي الأم مع الرجال الأب أو العم والخال
كي يتحدثوا عن الفتاة لا زواج دون رجال هم
الذين يحكمون و يقررون "

" إن تدخل الأم أو إحدى نساء العائلة أو إحدى النساء المتصلعات في مسألة
الإختيار للزواج هو الذي حدا ببعض الدارسين إلى إعتبار الزواج في المجتمع
الجزائري التقليدي قضية نساء فلا يتدخل رب الأسرة إلا لإقرار الإتفاقيات
المبرمة " 1

و الملاحظ في مجتمعي البحث أن العائلة الندرومية مازالت محافظة على هذه
العادة و ذلك حفاظا منها على تلك السلطة الذكورية ، في حين العائلة الوهرانية
منها ما يزال يحافظ على تلك العادة و منهم من أصبح يقوم بما يعرف بالكمال
يوم الخطبة نفسه و ذلك بحكم تعارف الرجل و المرأة و بمقتضيات الإختيار
الحر إذ يتفاهم كل من العروس و العريس وما يتدخل الأهل إلا لإتمام مراسيم
الخطبة و تحديد موعد الزفاف .

" دروك راهم يتعارفوا ويتفاهموا و يروحوا الأهل
غير باش يكملوا و يعطيو للخطبة شكلها الرسمي
مراهمش بيغيو باش والديهم يختارولهم و بصح

الوقت تبدل ودروك الراجل راه يحوس على اللي
تتفاهم معاه و تناسبه و يقدر يكون معاه الدار الواحد
راه يبعد على المشاكل هذا الوقت الزواج راه صعب
خطرات يعرفها وتعرفه من قبل ومن بعد الزواج يصراو
المشاكل "

(المقابلة رقم 12)

" حاليا أصبحوا يتعارفون و يتفاهمون والأهل يذهبون
فقط لإعطاء الخطبة طابعا رسميا إنهم يرفضون إختيار
الوالدين وتدخلهما لقد تغير الزمن وحاليا الرجل أصبح
يبحث عن الفتاة التي تناسبه و تفهمه ويستطيع أن يكون
معها بيتا ، أصبح الإنسان يريد تفادي المشاكل لأن صعب
الزواج فأحيانا قد يتعارفان قبل الزواج ولكن بعده يحدث
بينهما مشاكل "

وعند التدقيق في ذلك نجد أنه حتى في وقتنا الحاضر و إن لم يصبح تدخل
الوالدين في كل الأمور إلا أنه لا زال الأبناء وفقا للعادات و التقاليد و القيم
يعطون أهمية للأولياء و لا يمكنهم تجاوزهم ، لأن المجتمع لا يسمح بذلك فرغم
التحضر و التغير فإن ذهنية الأفراد لا زالت لا تتقبل الانفصال التام عن الأولياء
فلا يمكن للرجل أن يخطب لوحده و لا يقبل أهل العروسة أن يأتي العروس
لوحده دون أهل . ومنذ أن تخطب العروس يطلق عليها اسم المخطوبة فكان
يحضر عليها عدة أمور أولها أنها لا تخرج بمفردها .

" كانت بكري المرا كي تنخطب ما توليش

تخرج وتروح الحمام مع مها ولا ختها لكبيرة

ما تقدرش تخرج برا لخطرش راهي مرت راجل
دروك ولازم تحافظ على اسم العائلة نتاعو وثاني
يخافو عليها و على شرفها باش حتى واحد ما يهدر
فيها ومايقولوش غير نخطبت راهي تخرج كيما
تبغي "

(المقابلة رقم 17)

" في الماضي كانت الفتاة إذا خطبت لايجوزلها
أن تخرج بمفردها بل تذهب إلى الحمام برفقة
أمها أو أختها الكبيرة لا تستطيع الخروج لأنها
زوجة رجل الآن وعليها المحافظة على اسم
عائلته وكذلك يخشون عليها و على شرفها
حتى لا يتكلم عنها الناس و يقولون أنها بمجرد
أن خطبت أصبحت تخرج للشارع كما تريد "

فخروج المرأة قبل الخطبة قد يكون هدفه لتظهر نفسها بغرض الزواج و يراها
الناس لذلك لم تكن تتقبل الذهنيات في الماضي خروج المرأة بعد خطبتها و ذلك
لأنها قد أخذت نصيبها من الحياة و تحصلت على زوج و لم يعد من الضروري
خروجها و ظهورها كما أنه كان خروج المرأة بعد خطبتها بمفردها من باب ما
يسمى بالحشومة و يتنافى مع العادات و التقاليد خصوصا و أنه كان الوالدين
يخافان أن تلتقي العروس مع عريسها هذا ما جعل الأب يوكل إلى الأم مرافقة
إبنتها المخطوبة في كل مكان ، أما في الحاضر فإنه قد تغيرت الأوضاع
و أصبح العريس يرى عروسه في فترة الخطوبة و يلتقيان معا للاتفاق على

لوازم العرس من جهة و زيادة التعارف بينهم من جهة أخرى بحثاً عن الإنسجام
الفكري و العاطفي .

" دروك راهم يتلاقوا المخطوبين كل مرة ويتفاهموا
مع بعضهم البعض على صوالح العرس و صوالح
الدار ويتشاوروا أنا كنت نتلاقي مع راجلي كي
كنت مخطوبة ونروحو نشرو الصوالح نتاع العرس
مع بعض لخطرش ما كنتش عارفة عاداتهم هما كانوا
من ندرومة و أنا من شرشال على بيها كان يروح معايا
باش نشري الصوالح ونحمر وجهي هو كان يوريلي
شنشري و يعاوني حتى لموبل شريناه في رحبا
أنا ختاريت لي يناسبني وثاني كنا خايفين ما نتفاهموش
على بيها خرجنا مع بعض باش نتعارفو كثر في العقليات"
(المقابلة رقم 11)

" الآن أصبح المخطوبان يلتقيان في كل مرة ويتفاهمان
مع بعضهما البعض على عدة أمور تخص العرس والبيت
ويتشاوران أنا كنت ألتقي مع زوجي في فترة الخطوبة
ونذهب لشراء لوازم الزفاف لأنني كنت أجهل عاداتهم هم
كانوا من مدينة ندرومة و أنا من مدينة شرشال لذلك كان
يذهب معي كي نشترى ما يلزمنا و حتى أرفع من شأني
أمام أهله ، كان يساعدي في الشراء حتى الأثاث إشتريناه
معا لقد إخترت ما يناسبني وكذلك كنا نخشى أن لا نتفاهم

معا لذلك كنا نخرج معا حتى نتعارف أكثر وتتناسب

أفكارنا "

فشباب اليوم أضحى لا يتقيد بمبدأ الحشومة لأن مقتضيات التحضر أصبحت ترفض ذلك و أصبح المجتمع كله يسلك نفس السلوك و لا يوجد فيه الإستثناءات عكس الماضي الذي كان إذا خرج العروس مع عروسته يعتبر إستثناء يقابل في المجتمع بالرفض و الزجر، لأن ذهنية المجتمع كانت ترفض ذلك و كان الكل على السواء . ويمكن القول بأن تقليد فترة الخطوبة يعد من أبرز شواهد التغير الذي حدث في ميدان العادات و التقاليد ذلك أن الخطوبة في الماضي كانت هي في الواقع بمثابة عرض الزواج بحيث إذا وافق أهل العروس على الشاب المتقدم فإنه يعقب ذلك عقد القران دون فترة الخطوبة ،و كانت الأسر تحرص حرصا شديدا فيما مضى على أن لا يرى العريس عروسه قبل ليلة الزفاف. أما حاليا فأصبح العروسان يلتقيان في فترة الخطوبة يتناقشان حول أمورهما المستقبلية في أماكن العمل إذا كانا يعملان معا أو في الدراسة إذا كانا يدرسان معا ، لذلك أصبحا يقضيان وقتا طويلا معا قبل الزواج أو يخرجان للتنزه .و يتبادلان الهدايا في فترة الخطوبة .

3-المهر:

المهر كلمة من أصل سامي موهار و إنتقلت إلى العربية بإسم مهر، و يسمى الصداق بفتح الصاد و كسرهما و قد أكده الشرع لقوله تعالى " و ءاتوا النساء صدقاتهن نحلة فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئاً مريئاً " 1 وقد وضع الإسلام الصداق شرطاً من شروط الزواج إذ لا يكون عقد الزواج صحيحاً دون وجود صداق، و الصداق كلمة شائعة في المجتمعات العربية الإسلامية وهو يعتبر قيمة مالية يدفعه العريس لعروسه إكراماً لها و إعتزازاً بمنزلتها عنده و مكانتها . و دعاه الإسلام صداقاً لإشعار الزوج بصدق رغبته في الزواج و دعاه نحلة و هو الغطاء بغير عوض، كما دعاه حباء و هو ما يعطى من مال لتكريم صاحبه و قد عرفت الشعوب كلها المهر ، ففي العهد اليوناني كان يتم شراء المرأة للزواج بعدد من الثيران أو ما يساويها، و عند الرومان كان إنتقال ملكية المرأة من أبيها إلى زوجها يتم بطريقة البيع بالقبض " المانسيباسيو " 2 و بها يدفع الزوج الثمن و يقبض المرأة كما يقبض أي مبيع، و عند عرب الجاهلية كان المهر ثمناً للمرأة يقبضه والدها أو وليها و يسمى النافجة ، وهو كل ما ينفج في مال الرجل أي يزيد فيه و بهذا المفهوم يصبح المهر يحمل دلالة " ثمن الشراء " و لكن بعد ذلك تغيرت الآراء حول ذلك . ويرى بريتشارد "E. Pritchard" في الوقت الذي يصبح فيه المهر يمثل قيمة منتجة و قيمة تبادل ولا يجب أن نجزم أن ببيكولوجيته تتعلق ببيكولوجية الشراء " 3

1- سورة النساء الآية 04

2- عبد السلام الترماني ، ، مرجع سبق ذكره ، ص146

3- Evans Pritchard , La femme dans les sociétés primitives et autres , essais d'Anthropologie sociale , traduction Claude Rivière ,Puf ,Paris, 1971, p169

إذ تحول معنى الصداق من ثمن شراء عند المجتمعات خصوصا البدائية منها إلى ثمن تكريم و إعراف بالمكانة و حق من حقوق المرأة . بذلك يعتبر " ما أوجبه الشارع من المال أو ما يقوم مقامه حقا للمرأة على الرجل في عقد الزواج و في مقابله الإستمتاع بها " 1 وقد أعتبر أيضا كمقابل لفض البكارة يقدمه الرجل لزوجته مقابل بكارتها " النموذج المثالي للمهر يظهر كثمن لفض البكارة و العذرية كمقابل المهر " 2 ، و يختلف الفقهاء في تحديد قيمة المهر إذ يترك حسب ما يقتضيه الزوج و ظروفه لذلك جعل الإسلام المهر رمزيا لقوله (ص) " إلتمس و لو خاتما من حديد " . و لا زالت بعض المناطق في الجزائر تعمل وفق هذا الحديث النبوي الشريف إذ يقوم المهر في الزواج وفق عرف "سيدي معمر" ب20 سنتيم و هو مبلغ رمزي ، و تتحدد قيمة المهر في مجتمعي الدراسة في مرحلة "الكمال " أين تقطع الشروط ، وكان المهر في الماضي دون شروط إذ لم تكن هناك مغالاة فيه و كان الإكتفاء أحيانا بتقديم حلي ذهبية .

" بكري ماكانوش يشرطو كانوا يطلبوغير لها كانوا يقولو
كرافاش بولحية و لا المسبيعات والدرهم ماكانوش
مطلوبين بزاف كان الصداق غير شي رمزي باش يحرو
الشروط نتاع الزواج ماكانش كايين التباهي كان كل واحد
يحوس غير لها لبنتو " (المقابلة رقم 06)

1- بدر أبو العينين بدران ، أحكام الزواج و الطلاق في الإسلام ، دار المعارف ، الإسكندرية ، ط3 ، 1966 ، ص168

2- Chafika Dib Marouf , Fonctions de la dot dans la cité algérienne , le cas d'une ville moyenne Tlemcen et son hawz , collection Almoujtamaa , Opu , Alger, 1984, p42

" في الماضي كانوا لا يطلبون الكثير من الشروط
ما كانوا يريدونه هو فقط العيش بسلام وكانوا
يطلبون بعض المجوهرات أما النقود لم تكن
مطلوبة بكثرة "

إن المهر كان رمزيا تأكيدا على قيمته الدينية إذ لم يكن مهما بقدر ما هو عليه
حاليا ، ولم يكن وسيلة للتباهي بل كان يوفي مكائته و دوره الذي تجلى في كونه
شرطا أساسيا في الزواج .

" كانوا يديروا اللويزات في خيط مور أحمر و لا
كحل و زويجتين مساييس و الخاتم و من بعد ولات
المسكية و لا سنسلا و المسييعات و لا الزروف و
كانوا يعطيو شويا دراهم على حساب العائلة بكري كان
الصداق قليل كانوا يشرطو الذهب وما كانوا يشرطو
بزاف كانوا يرضوا بالقليل "

(المقابلة رقم 15)

"كانوا في الماضي يصنعون عقدا من الذهب بقطع
تسمى اللويز و إسورتين و خاتم وبعد ذلك أصبحت
مايسمى بالمسكية أو عقداومجموعة من الأساور ويقدمون
بعض النقود في الماضي كان الصداق قليل كانوا يطلبون
الذهب ولم تكن شروطهم كثيرة لأنهم كانوا يرضون بما يقدم"
فالمهم في المهر هو تقديمه و ليست مهمة قيمته ، ولعل ذلك يعود إلى ذهنية
الأفراد و إلتزامهم بما هو ديني أكثر من الدنيوي و رضا العائلة بما يقدم إليها ،
إضافة إلى الظروف الإجتماعية التي كانت سائدة في تلك الفترة .

و الملاحظ أن قيمة المهر كانت رمزية حيث كانت العائلات تربط المهر بقيمته الدينية و كانت توفي مفهوم الإكرام للزوجة ، لذلك كانت تشتترط الذهب كمهر للعروس نظرا لما يعرف عن قيمة الذهب في ذهنية العرب و نظرا لحب المرأة للتزيين بالذهب . و حاليا فإنه بدأت المغالاة في المهور و أصبح المهر محل تباه بين العائلات .

" دروك راهم يشرطو بزاف و الصداق ولا صعيب
ولافيه الدراهم كاين اللي يطلب بزاف حتى 20
مليون ولاو يبيعو بناتهم ماشي يزوجهم وكل
واحد يحوس يعطيوه في بنتو كثر من لآخر
باش يبين بلي بنتو عندها قيمة كبيرة لمرا ولات كي
السلعة "

(المقابلة رقم 14)

" حاليا أصبحوا يشترطون كثيرا في الصداق أصبح
صعبا وأصبحوا يطلبون النقود هناك من يطلب كثيرا
حتى 20 مليون سنتيم ، أصبحوا يبيعون بناتهم ولا
يزوجهم وكل عائلة تريد أن يقدم إليها نصيب كبير
في إبنتهم حتى يبينوا أنها لها قيمة كبيرة الفتاة أصبحت
سلعة "

لقد فقد المهر حاليا رمزيته الدينية ، وظهرت المغالاة في المهور وحتى نوعية الذهب المقدم تغيرت و اختلفت ، كما عرف الذهب غلاء كبيرا وهذا ما جعلنا نقول أن المجتمع الصناعي أصبح مجتمعا براغماتيا ماديا حيث تراجعت لديه

مفاهيم القيم و تنامت بدلها داخله روح المادية و المصلحة . الأمر الذي جعله يرى الأفراد داخله بمثابة سلع محققة للربح .

" دروك راهم يشرطو البارير و الدراهم بزاف و الذهب راه غالي راه الولد باش يشري البارير يلم حياتو الدراهم الزواج ولا صعيب ومن قوت اللي صعاب ولاو المشاكل بزاف وكثر الطلاق ولا ساهل ، بكري كان الصداق قليل بصح الراجل يعرف قيمة لمرأ و الطلاق قاع ما نسمعوش بيه دروك الصداق راه غالي و المشاكل بزاف"

(المقابلة رقم 17)

" حاليا أصبحوا يشترطون طقما ذهبيا والنقود بكثرة فالذهب إرتفع ثمنه و أصبح الرجل كي يشتري هذا الطقم يجمع النقود لمدة طويلة من حياته الزواج أصبح صعبا إذ كثرت مشاكله وكثر الطلاق و أصبح سهلا ، في الماضي كان الصداق قليلا و لكن الرجل يعرف قيمة المرأة و الطلاق لا نسمع عنه البتة أما حاليا الصداق أصبح باهض والمشاكل كثيرة "

فرغم أن المهر كانت قيمته قليلة و رمزية إلا أن المشاكل لم تكن قائمة حيث كان الرجل يقدر زوجته ، وهذه المغالاة في المهور حطت من قيمة الزواج و أصبح ينظر إليه كعملية تجارية لذلك أصبح ينظر إليه على أنه من الأمور الصعبة .

فالمغالات التي أصبح يعرفها مجتمع البحث في المهور أبعدت المهر عن رمزيته و ربطته بقيمة إقتصادية برغماتية هدفها هو تحقيق الفائدة ، و في وقتنا

الحاضر يعود بنا المظهر إلى المجتمعات البدائية التي كانت ترى في المهر " ثمن شراء المرأة " فإن هذه المغالات في المهور تجعل من العروسة كأنها سلعة تحدث المساومة عليها في الثمن مما يفقد المهر هدفه ووظيفته و هي إكرام الزوجة ، كما أن هذه المغالات في المهور لا طالما جعلت الشباب يعزفون عن الزواج نظرا لعدم قدرتهم على توفير المال المطلوب إضافة إلى ما يستلزمه حفل الزفاف ، و قد ترجع هذه المغالات في المهور و إرتفاعها إلى إرتفاع المستوى المعيشي ويرجع عند البعض إلى محاولة تباهي بعض العائلات بنفسها لدرجة التنافس حول من يقدم مهرا كبيرا للعروسة حيث أن قيمة المهر الدينية الرمزية قد زالت مع تطور الزمن " لمصلحة لعبة إجتماعية تكمن في التنافس بين العائلات بحيث يحاول كل من الفريقين تأكيد فوقيته إزاء الآخر "1 وبذلك فإن المهر قد تلاشت قيمته الدينية كمبادلة رمزية و أصبح وسيبة للتنافس بين العائلات الجزائية . وهذه المغالاة تكون أحد بؤادر التحضر و التغيير الإجتماعي و الثقافي الذي يعرفه مجتمعي البحث .

وكان المهر في الماضي يقدم في المسجد في حين أصبح حاليا يقدم في البيت في إطار مناسبة الفاتحة أو في يوم آخر .

" كانوا بكري يعطيوا المهر في الجامع للأب نتاع
لعروسة وقاع الناس الحاضرين يشوفوه و يشهدو
عليه لخطرش كانت الفاتحة تنقرا في الجامع وكانت
هي عقد الزواج الحقيقي " (المقابلة رقم 20)
" في الماضي كانوا يقدمون المهر في المسجد لأب
العروسة وكل الحاضرين يروه ويشهدون عليه

1- نور الدين طوالي ، الدين و الطقوس و التغييرات ، مرجع سبق ذكره ، ص 115

لأن الفاتحة كانت تقرأ في المسجد وكانت هي بمثابة

"العقد الحقيقي"

كما أن من بين العادات التي جدت على المجتمع و خصوصا في مدينة وهران
إشتراط منزل مستقل للعروسة عن أهل الزوج ، بحيث تحاول الفتاة أن تعمل كل
ما بوسعها حتى تؤخر موعد الزفاف و البقاء في فترة الخطوبة مدة طويلة كي
يتمكن الرجل من توفير المسكن المستقل أو يشترك العروسان في كراء منزل
خاص للحياة فيه خصوصا إذا كانت العروسة تعمل فتساعد زوجها .

" راهم يشرطوا دروك حتى الدار مشرية ولا

مكرية واللي ما يقدرش ما يقبلوهش دروك

باش الواحد يعيش ترونكيل ولاو يشرطو الدار أنا

كي نزوج بنتي نطلبها باش نبعد على المشاكل

و الناس دروك راهم واعيين ماشي كي بكري "

(المقابلة رقم 19)

" أصبحوا يشترطون حاليا حتى البيت سواء شراء

أو كراء والذي لا يستطيع ذلك يرفض و لا يقبل

حاليا كي يعيش الإنسان مطمئنا أصبحوا يشترطون

البيت المنفرد أنا لما أزوج ابنتي سأشترط ذلك حتى

أبتعد عن المشاكل ، الناس حاليا أصبحوا مثقفين "

وتعود هذه العادة المتمثلة في الرغبة في الإستقلال عن أسرة التوجيه ، و الرغبة
إلى تكوين أسرة نووية مستقلة نتيجة الظروف الإجتماعية و الإقتصادية
خصوصا مع ظهور المجتمع الصناعي الذي أدى إلى إستقلال الولد عن والده
ماديا وخروج المرأة للعمل الذي جعلها تتمكن من مساعدة زوجها ، إضافة إلى

تطور الوعي عند الفتاة بما عايشته العروس لمشاكل نمط الأسرة الممتدة و تفاديا للدخول في صراعات بين الكنة و الحماة إضافة إلى رغبة الزوجين الجدد في الإستقلالية و تكوين أسرة نووية منعزلة و قائمة بذاتها ، كما يشير ذلك إلى مدى تغير وضع المرأة في مجتمعي البحث و إتجاهها إلى إتبات شخصية مستقلة بدلا من الشخصية التابعة التي غرستها فيها عملية التنشئة الإجتماعية . وتظهر هذه العادة جليا في مدينة وهران بمقابل مدينة ندرومة التي لا تعرف كثيرا هذه العادة نظرا للنموذج العمراني أولا الذي تعتمد عليه المنازل في مدينة ندرومة و الذي يسع لعدة عائلات إضافة إلى ذهنية الأفراد التي لازالت تعترف بالأسرة الممتدة وطبيعة المجتمع كونه لا زالت بعض العائلات به تعتمد على الحرفة . كما أن إرتكاز الزواج في مدينة ندرومة على التعارف بين العائلات جعل تأخر إنتشار هذه العادة عكس مدينة وهران التي عرفت الإختلاط في العائلات بحكم الهجرة و النزوح إليها من كل المناطق ، مما جعل عادات تتداخل فيما بينها و خلق جو من التباعد بين العائلات نتيجة عدم معرفة العائلة الأخرى مما يسبب خوفا منها و الملاحظ أن رغم إختلاف العادات من منطقة لأخرى ، إلا أنها تتفق كلها في المضمون و الشكل لوحده هو الذي يتغير ، كما أن لازالت بعض العائلات في مدينة وهران محافظة على عاداتها في المهر مثل العائلات التابعة لعرف سيدي معمر .

" مازلنا نحافظوا على عاداتنا كيجينا لوهرن هذا
ما منعناش باش نتخلوا على عاداتنا كما المهر
مازلنا نشرطو 20 سنتيم لخطرش نخافو لو كان
ما نديروش هذا الشرط يخرجنا في ولادنا كاين
عادات ما نقدروش نبدلوه لخطرش مرتابطة بالأعراف"

(المقابلة رقم 11)

" لازلنا محافظين على عاداتنا لما إنتقلنا لمدينة
وهران هذا لم يمنعنا عن التخلي على عاداتنا
فالمهر لازلنا نشترط 20 سنتيما لأنه شرطا
ضروريا في زيجاتنا ونخشى مخالفته فيصيب
أولادنا مكروها هناك عادات لا يمكن تغييرها
لأنها مرتبطة بالأعراف"

و إن كانت هذه العائلات لا زالت تقوم ببعض عاداتها رغم عامل الهجرة و لا
تغالي في المهور إلا إعتقادا منها في عرف سيدي معمر. وكما سبق ذكره طالما
تؤثر المعتقدات على العادات و تطبعها فيتأثر بها الفرد و بالتالي يصبح خاضعا
لها بحكم القدسية التي تعطى لها الذاكرة العامة أو الجمعية .

4- تجهيز العروس :

الجهاز هو كل ما تحتاج إليه العروس و بمجرد أن تخطب الفتاة تبدأ العروس في سباق ماراتوني لتجهيز نفسها و في الماضي كانت العائلات تبدأ في تجهيز بناتها منذ الصغر .

" بكري كانت الأم تبدأ تجهز بنتها من الصغر
من اللي تبدأ تكبر البنت و أمها تلملها وتدسلها
الصوالح باش كي تجي تتزوج يكون عندها
صوالحها وكانوا كتريتهم يخدمو الجهاز بيديهم
كانت البنت كل صبع بصنعة قاع صوالحها نتاع
جهازها هي اللي تخدمهم ما كناش نخرجو نشرو
والو غير الصباط و خطرات أماتنا بروحو يشروه
ويجييوه لنا "

(المقابلة رقم 14)

" في الماضي كانت الأم تجهز إبنتها منذ الصغر
فتجمع لها أمها و تخبيئ الأشياء التي تحتاجها
العروسة ، حتى تجدها عندما تريد الزواج وكانت
غالبية هذه الأشياء مصنوعة باليد كانت الفتاة تتقن
صنع كل الأشياء و تملك حرفة في يديها كل أشياء
الجهاز هي التي تصنعهم لم نكن نشترى الأغراض
من المحلات فقط الحذاء و كانت الأم تشتريه و تحضره "

و لعل ذلك كان نتيجة أن تجهيز العروس كان يكلف كثيرا في حين كانت العائلة غير قادرة على تحمل كل النفقات و العريس لم يكن يقدم مهرا كبيرا يساعد به العروس في شراء لوازمها ، كما أن الفتاة كانت تقوم هي و إخوتها بصناعة العديد من الأشياء منذ الصغر لأن الفتاة لم تكن تدرس و لا تعمل فكانت تقوم ببعض المهن اليدوية كالخياطة و الطرز ... كما أن الأسرة تريد دائما أن تفتخر ببنتها فتجهزها منذ الصغر حتى تحسن تجهيزها و لا زالت هذه العادة منتشرة و لم تعرف الزوال عند العائلات في مجتمعي البحث .

" ما زلنا ندسو الصوالح للبنت نتاع الجهاز ملي

تكون صغيرة باش يكون عندها كلشي نهار
اللي يجيو يخطبوها كثرا دروك الشئ راه غالي
و المعاندة راهي كل بنت تحوس تخرج خير من
لخرا على بيها لواحد لازم يدس للبنت منلي تكون
صغيرة ولاقدر يوفرها كلشي"

(المقابلة رقم 04)

" لازلنا نخبي الأشياء اللازمة للفتاة والتي تخص
جهازها منذ صغرها حتى تكون جاهزة إذا تقدم
أحد لخطبتها و بالأخص حاليا كل شيء أصبح
باهضا و التنافس وكل فتاة تحاول أن تجهز نفسها
أحسن من الأخرى لذلك يجب للعائلة أن تجهز لابنتها
منذ صغرها و إذا تمكن من توفير لها كل ما يلزمها "

خصوصا و أن غلاء المعيشة أصبح يكلف العروس في تحضير جهازها مما يجعل الأم تفكر دائما في التجهيز الباكر ، إضافة إلى رغبتها في تشريف العائلة

" تحمر وجه باباها كما يقال " كما يلعب عامل التنافس دورا مهما في الجهاز بين العائلات حاليا إذ تحاول كل العائلة القيام بالأفضل .

وفي الماضي كانت تجهز العائلة الفتاة من كل الحاجيات حتى الخزانة .

" كانت المرا هي اللي تخرج الخزانة نتاع

اللباس وكانت تخرج الفراش و اللبسات

على رأسها القرفطان وخطرات ما يخرجوش

خزانة بصح صندوق حنا الصندوق نتاع يما

خرجاتو ختي لكبيرة كي تزوجت وراه عاداك

باقي مدسوس وريناه لولادنا و بناتنا"

(المقابلة رقم 02)

" كانت المرأة هي التي تشتري خزانة الملابس

وتأخذ معها الفراش و الألبسة المتنوعة أولها

اللباس التقليدي القرفطان وأحيانا ليست خزانة

و إنما صندوقا نحن صندوق أمي أخذته معها

أختي الكبيرة لما تزوجت ولازال موجودا إحتفظنا

به و راه بناتنا و أولادنا "

فالمرأة كانت تجهز نفسها من كل اللوازم ، وليس شرطا أن تحمل معها خزانة

بل صندوقا هو كاف لتضع فيه ملابسها و أغراضها وهذا دليل على البساطة

التي كانت تطبع المجتمع في الماضي . كما أن جعل الخزانة من مقتضيات المرأة

وذلك حتى ترفع من شأنها و شأن أهلها .

" كانت لعروسة تجيب معاها الماريو و دير

الفراش بزاف باش تحمر وجها حدا لافامي
نتاع راجلها وما تحشمش روحها و تيين
بلي بوها خرجلها بزاف الصوالح وهكذا دير
قيمة لروحها و لبوها " (المقابلة رقم 16)
" كانت العروسة تجلب معها الخزانة و الفراش
الكثير حتى ترفع من قدرها أمام أهل زوجها
وتظهر أن والدها جهزها على أحسن وجه وبذلك
تكون قيمة لها و لوالدها"

ولا زالت هذه العادة متواجدة في مجتمعي البحث حيث لا زالت العروس تبتكر
في تجهيز نفسها و تشتري عدة أشياء حتى أصبحت هذه الأشياء تزيد جودتها
من عائلة لأخرى لتصل إلى الثلاجة أو غير ذلك من لوازم البيت وحسب مكانة
العائلة و قدرتها المادية. "يجهز الأب إبنته بثراء و بدخ في حين ما يوفره الزوج
يصبح جزءا لا يتجزء من المهر الذي يدفع نقدا قبل الزواج " 1
و لكن في الحقيقة أصبحت العروس تركز في تجهيز نفسها على ما هو ضروري
و تحتاجه في حياتها الزوجية

" راهي دروك العروسة تخرج الصوالح اللي
تحتاجهم لخطرش و لاو ما يلقاوش وين يسكنوا
و الضيق خطرات على بيها راهي تخرج بزاف
بصح غير اللي يهمها والي يصلح لها وثاني لغلا

1- Chafika Dib Marouf, Fonction de la dot dans la cité algérienne
opcit, p46

وراه بلوزة وحدة راهي تكلف الملايين بلا خياطتها
الصالون ثاني يكلف بزاف على بيها راهم يديرو
غير اللي يحتاجوه لخطرش من بعد ما يلقوش وين
يحطو الصوالح مع الضيق كثرا يلا كان الولد يسكن
مع والديه " (المقابلة رقم 17)

" حاليا أصبحت العروس تحمل معها ما تحتاجه
لأنهم أصبحوا لا يجدون السكن و ضيق المسكن
الذي يقطنون فيه جعل العروس تشتري ما يلزمها
وكذلك الغلاء مس كل الأشياء لباس واحد أصبح
يكلف الملايين دون خياطة ، و الصالون تكاليفه
باهضة الثمن لذلك أصبحت الفتاة تحمل إلا ما تحتاجه
لأنها لا تجد أين تضع أغراضها خصوصا إذا كان
المنزل ضيقا و كان الرجل يسكن مع أهله "

فبينما كانت العروس في الماضي تجهز نفسها بما تعرفه من مهارات يدوية
أصبحت بالمقابل في الحاضر تشتري لوازمها من المحلات جاهزة بعد خطبتها
و شراء فقط ما تحتاجه لغلاء المستلزمات ،في حين الخزانة أصبحت من
مستلزمات الزوج التي يجب أن يوفرها لعروسه قبل الزواج .و بين الماضي
و الحاضر أصبحت الفتاة تنوع بكثرة فساتينها التي تتباهى بها أمام الآخرين في
حفل الزفاف خصوصا و أن الحفلات عند العرس أصبحت تقام في الصالات .

و لكن هذا التجهيز ليس خاصا بالفتاة بل الذكر أو العريس هو كذلك عليه أن
يشترى تجهيزاته من غرفة النوم و الأثاث و الذهب الذي يكون من شروط
العروس .

"الراجل تاني يجهز روحه يشري شمبرا و الذهب
و يلم الدراهم باش يدفع و يدير العرس حتى هو
عندو المصروف غير كيما لمرأ ولا كثر على بيها
ملي بيذا الولد يخدم و امه تقول له أعطيني نملك باش
نزوجك تخاف يلا يضيع الدراهم على لصحاب "

(المقابلة رقم 20)

"الرجل كذلك يجهز نفسه بشتري أثاث غرفة النوم
و يجمع النقود كي يدفع مهره ويقوم بالعرس هو
كذلك له مصروف كبير مثل المرأة أو أكثر لذلك منذ
أن بيذا الولد العمل و أمه تحته على أن يعطيها النقود
حتى تدخرها له لكي تزوجه لأنها تخشى عليه أن يضيعها
على رفاقه "

فما ينطبق على العروس ينطبق كذلك على العريس و مع غلاء المعيشة أصبح
الشباب يعزفون عن الزواج في سن مبكرة حتى يتمكنوا من جمع ما يكفيهم من
نقود لإتمام نصف دينهم .

و بتغير عادات المهر تغيرت عادات الجهاز و ذلك وفقا للظروف التي أصبح
يعيشها الإنسان لذلك فالعائلة ملزمة بأن تكيف عاداتها وفق الظروف التي هي
تعيشها ووفق ما وصلت إليه من درجات التحضر و التغير و لاننسى عامل
التباهي الذي أصبح يتشربه المجتمع و الذي دفعهم إلى إبتكار عادات جديدة في
الصداق و جهاز العروس و غير ذلك .

5- ليلة الحناء :

سبق و أن رأينا رمزية الحناء في المجتمع العربي عموما و المجتمع الجزائري خصوصا و في مجتمعي البحث في طقس الختان حيث يخصص لها يوم محدد يجتمع فيه أفراد العائلة للاحتفال بوضع الحناء ، و تعتبر الحناء سنة الأسبقين لذلك فإنه يتفاعل بها الناس في إحتفالاتهم و طقوسهم و معتقداتهم " الحناء هي رمز خاص للعرب مرتبط بإعتقاد شعبي يقول أن نبات الحناء يجلب الحظ السعيد و يدفع عن الشر " 1 و كغيرها من الطقوس فإن طقوس الزواج تعتمد أساسا على يوم يسمى " بيوم الحناء " بالدارجة في مجتمعي البحث سواء للعروس أو العريس .

فبالنسبة للعروس كانت في الماضي قبل يوم الحناء التي تحددتها العائلة في مدينة ندرومة فتدعى كل الفتيات في يوم معين لربط الحناء مع العروسة و ذلك في إعتقادهم حتى تتبع هذه الفتيات العروسة و تتزوجن .

" كنا ندقوا الحنة في المهرار نتاع اللوح
و الأحد تبدأ ربطة الحنة كل البنات نتاع
المدينة يجيو يربطو الحنة مع العروسة و
من بعد النساء و الكبريات و من بعد
يروحو للحمام و تروح غير العازبات
مع العروسة " (المقابلة رقم 03)
" كنا ندق الحناء في الهاون الخشبي ويوم

1- كريستينا سكار جينيسكا ، وحدة التراث الشعبي العربي مدخل تاريخي للوحدة العربية
الملاحم العربية المشتركة في الزواج ، مرجع سبق ذكره ، ص38

الأحد يبدأ الإحتفال بربط الحناء يأتي كل
البنات لوضع الحناء مع العروسة وبعد ذلك
النساء و العجائز ثم يذهبون للحمام وتذهب
فقط العازبات مع العروسة "

فالطريقة كانت تقليدية في تحضير الحناء و الملاحظ أن هذا الطقس هو أنثوي
محض لا مجال لوجود الذكور فيه إذ تغيب كل سلطة ذكورية أما الإناث ، كما
أنه طقس مخصص للعازبات فقط بغرض الدخول إلى عالم الزواج، إذ تحرص
العروس التي مرت من مرحلة العزوبة إلى مرحلة الزواج على أن تضع كل
العازبات حنتها التي هي فال عرس حتى تتمكن من الدخول للقفس الذهبي
و الإلتحاق بعالمها الجديد الذي هي بصدد الإنتقال إليه لذلك فالمرأة المتزوجة
محضور عليها أن تذهب مع العروس للحمام في هذا اليوم .

" كان عيب يروحوا النساء المتزوجات مع
العروسة للحمام هذ النهار مخصص غير
للعزبات باش يفرحوا مع لعروسة و يلحقوها
يحمو معاها في حمامها باش يكونوا عرايس
كيفها " (المقابلة رقم 01)

" في الماضي كان من الحرج أن تذهب المتزوجات
من النساء مع العروسة للحمام لأن هذا اليوم مخصص
للعازبات كي يفرحن مع العروس و يلحقنها في الزواج
يذهبن معها للحمام حتى يكن عرائس مثلها "

والملاحظ في الماضي كانت تضع العروس الحناء في كامل يديها و تعمل على أن تكون هذه الحناء مصدر زينتها .

" كانوا يخدمو الحنا مليح باش تخرج كحلة كي

لفحم في يد لعروسة كانت هذيك هي الزينة

نتاع لعروسة بيها تبان ما كانواش يعرفو لماكياج

كانو غير الصوالح التقليديين كما لكحول و الحنة

على بيها كانوا يخدموها مليح باش تخرج شابة "

(المقابلة رقم 04)

" كانوا في الماضي يصنعون الحناء جيدا كي

تصبح سوداء كالفحم في يد العروسة كانت

تعتبر زينة العروسة كي تظهر بها لم تعرف

المرأة الزينة الإصطناعية كان هناك فقط ما

هو تقليدي مثل الكحول و الحناء لذلك كانوا

يصنعونها جيدا كي تظهر جميلة "

مهما كان دور الحناء في تجميل العروس إلا أنه يمكننا أن نخمن أنه ينبغي أن

تتواجد طريقة خاصة لوضع الحناء في يدي العروس مما يؤكد أن لهذا معنى

رمزيا و سحريا قديما و طقوس وضع الحناء بهذه الأشياء معنى رمزي

بغرض السحر الأبيض يعني جلب البخت السعيد إلى الأسرة الجديدة .1

فالحناء في يدي العروس ما هي إلا فال جيد و التطلع للحظ السعيد في الحياة

1- كريستينا سكار جينيسكا ، مرجع سبق ذكره ، ص 40

الجديدة إضافة إلى الزينة التي تجلبها الحناء للعروس .
و بعد ذلك تقام حنة العروسة التي يأتي فيها أهل العريس محمّلين بالمأكولات
المتنوعة بغرض الإحتفال بعروسهم .

" كانوا يجيوا لافامي نتاع لعريس و يجيوا
معاهم الأكل من السميد ، البيض الزيت و
السكر و يبقاوا للرقص و الزهو هاذ الصوالح كانوا
يعاون بهم لافامي نتاع لعروسة و يبينو قدر الراجل
و قيمتو حدا نسابو الجدد" (المقابلة رقم 05)
" كان أهل العريس يأتون و يجلبون معهم الأكل
من سميد وبيض و زيت ،سكر و يمكنون للرقص
والترويح عن النفس وهذه الأغراض كانوا
يساعدون بها أهل العروس و يظهرون لهم قدر
ومكانة إبنهم "

وما هذه المأكولات التي يقدمها أهل العريس إلا مساعدات لأهل العروس حتى
تتمكن من إقامة حفل الزفاف و لكن في الحقيقة فإن هذه المساعدات لها بعد
معنوي آخر و دلالي آخر إذ تبدأ نفقة الزوج على زوجته منذ هذا اليوم حيث
عندما يقوم بإرسال هذه المعونات إليها فما يريد من وراء ذلك إلا أن يبين لها
أنها قد أصبحت تحت نفقاته الإقتصادية إضافة إلى ذلك ما هذه المساعدات إلا
تعزيز لعائلة العريس و تبيان لمكانتها الإجتماعية .

وفي المساء تعود النساء من أهل العريس و العازبات فقط من أهل العريس هن
اللاتي يأتينا في الليل و هن الوحيدات اللاتي يحضين بهذه الميزة حتى يظهرن
للعيان و يخطبن .

" في الليل كانت تجي غير العزبات ماكانش
المتزوجات ما يجوش و يجيو معاهم زوج
كبارات باش زعما يعقلوهم وما يحشموهمش
مع لافامي نتاع لعروسة زعما يعسوهم باش
ما يديروش لهبال حداهم ويقولو عليهم عزباتهم
خفافات وباش تاني هما يخطبوهم " (المقابلة رقم 02)
" في الليل تأتي فقط العازبات لا يوجد المتزوجات
وتأتي معهن عجوزتين حتى تنهاهن عن فعل
الحماقات أمام أهل العروسة أي يحرسونهن كي
لا تقمن بأشياء تثير الإزعاج كي لا يقال عنهن أن
عازبات أهل العريس غير منضبطات وأيضا حتى
يخطبن هن كذلك "

وكانت أم العريس أو أخته هي التي تضع الخاتم في يد العروسة و لازالت
هذه العادة موجودة في مدينة ندرومة وعند بعض العائلات في مدينة وهران ،
وهنا يبرز دور الأم و مكانتها في الهرم الإجتماعي للعائلة بصفتها السلطة
الرمزية الثانية بعد الأب . إذ لها كل الحق في التدخل في الأمور حتى وضع
الخاتم في يد العروسة ، وفي الواقع إن تكليف الرجل أمه بوضع الخاتم في يد
زوجته ما هو إلا تعزيزا لكرامتها و تقديرا لمكانتها أمام زوجته المستقبلية حتى
تعمل هذه الأخيرة على إحترامها و طاعتها .

وما يجدر الإشارة إليه أن قراءة الفاتحة كانت في الماضي طقس ذكوري إذ
يلتقي الرجال في المسجد حيث يقرؤون الفاتحة ، وهذا ما يركز سلطة الذكور في
إتخاذ القرارات و أولها عقد الفاتحة التي لا يمكن للمرأة أن تتولاه بحكم طبيعتها

الأنثوية ، كما أن الدين الإسلامي لم يعطيها هذا الشرف بل تركه للذكور ،
والفاتحة في الإسلام هي العقد الذي بموجبه تصبح المرأة زوجة شرعية لزوجها

" كانوا يديروا الفاتحة في الجامع وما زال كايين
اللي يديرها في الجامع غير شي وحدين لي راهم
يديروها في الدار ويحطو الماكلة لخطرش الإمام
نتاع الجامع هو اللي كان يفتح للزواج ويشهدو عليه
الناس و الجامع كانت عندو مكانة كبيرة ، وثاني كانت
لمرا تتزوج صغيرة ماكانوش يعقدولها غير هاذ الفاتحة
هي اللي كانت تفر الزواج عليها يديروها في الجامع "

(المقابلة رقم 06)

" كانوا يقرؤون الفاتحة في المسجد ولا زال يوجد من يقوم
بها هناك فقط مجموعة قليلة التي تقوم بالفاتحة في البيت
و يقدمون المأكولات لأن إمام المسجد هو الذي كان يقرأ
الفاتحة للزواج ويشهد الناس على ذلك و المسجد كانت له
مكانة كبيرة ، وكانت المرأة تتزوج في سن صغير لأنها
ليس بمقدورها أن تعقد فقط الفاتحة هي التي كانت الضمان
الوحيد لهذا الزواج لذلك كانت تقام في المسجد "

و يختار الناس المسجد كرمز من رموز الإسلام المقدسة إذ و نظرا لقدسيته يتم
فيه عقد أهم رباط في الدين الإسلامي و أنقاه هو عقد القران ، كما أننا لا يمكن
أن نغفل الدور الذي كان يلعبه المسجد في الماضي إذ كان مقرا سياسيا
و إجتماعيا و إقتصاديا ، حيث فيه كانت تعقد إجتماعات الرسول (ص) مع
صحابته لإتخاذ قرارات الغزوات و كان بيت مال المسلمين كما انه تقضى فيه

كل أمور الحياة كالزواج و ما زال المسجد يحتفظ بدوره في الزواج الإسلامي حتى يومنا هذا . " كان المسجد المحور الأساسي الذي تقوم عليه المدن لأنه كان يمثل سلطة روحية و إجتماعي في آن واحد " 1

والعريس كذلك له يوم الحناء إذ يذهب إلى الحمام مع رفقائه ثم ليلة يوم العرس تكون يوم حنّته إذ يدعو كل رفقائه و أفراد عائلته من ذكور و تطلّى يديه بالحنّة

" حتى الرجل كان عندو نهار يديرو له فيه الحنة

و يروح للحمام كيفو كيف لعروسة حتى هو

يفرح كيفها وماكانش يحشم كان يدير الحنة باش

بيان بلي عريس دروك راهم يحشمو حتى يديرو لحنة "

(المقابلة رقم 07)

" حتى الرجل كان لديه يوم معين يضعون له فيه

الحناء و يذهب للحمام مثله مثل العروسة هو كذلك

يفرح مثلها لم يكن يخجل من وضع الحناء في يديه

كي يظهر أنه عريس حاليا أصبحوا يخجلون من

وضعها "

و تسمى هذه الليلة "بالتقصيرة" حيث يودّع الرجل أو العريس حياة العزوبية و يودع أقرانه ليدخل في عالم جديد عالم المتزوجين و عالم المسؤولية لذلك الزواج كذلك يعتبر طقس مرور من حياة العزوبية إلى حياة المتزوجين مثله مثل طقس الختان الذي يمر فيه الطفل من عالم الطفولة إلى عالم الرشد لذلك هناك

1- فائزة إسعد ، المدينة و المقدس مدينة وهران و أولياؤها نموذجا ، رسالة ماجستير ،

في علم الاجتماع ، جامعة وهران ، 2007 ، ص32

علاقة وطيدة بين الزواج و الختان ، إذ يعتبر الختان الزواج الأصغر إذ من خلاله يدخل الذكر إلى عالم الرجولة التي تجعله قادرا على ممارسة دوره الجنسي . كما أن الختان هو الذي يؤهله للقيام بالزواج .

وتقدم المأكولات في ليلة الحناء للناس و المدعوين لذلك مدة العرس في مدينة ندرومة و غيرها من المدن كانت تستغرق أسبوعا كاملا أو أكثر و لكن مع تغير الأوضاع هناك تقليص لبعض العادات مثل ليلة الحناء التي أصبحت تقتصر فقط على العائلة المقربة . و قد يعزى السبب في ذلك إلى غلاء المعيشة ونقص المساعدات التي أصبحت تفرض على الناس تقليص مدة إحتفالاتهم و إقتصارها على المقربين فقط لدرجة أنه أصبحت هذه الحفلات تقام في يوم واحد وتقام فيه كل طقوس الزواج .

وفي مدينة وهران لا تختلف عادات الحناء كثيرا عن مدينة ندرومة إذ تدعو العروسة زميلاتهن للذهاب إلى الحمام ثم في المساء تحتفلن بذلك في البيت

" كانت العروسة تروح للحمام مع صحاباتها

ومن بعد يجيو للدار يديرو التقصيرة في الليل

يرقصو و يغنيو ويفرحو معاها ويودعوها نهارها

التالي نتاع عزوبيتها " (المقابلة رقم 15)

" كانت العروسة تذهب للحمام مع صديقاتها وبعد

ذلك يأتين للبيت ويقمن حفلا ساهرا في الليل

يرقصن و يغنين ويفرحن معها ويودعنها إنه

آخر يوم لها مع العزوبية "

و الملاحظ في مدينة وهران أن الفاتحة لازالت تتم في يوم واحد مع الحناء

" يربطو للعروسة الحنة في الصباح و على 12 يقرؤا
الفاتحة و يجو الرجال و النساء من أهل لعريس
و العشية تبدأ حنة لعروسة يحضرو فيها الناس
من لافامي نتاع العريس و العروسة "
(المقابلة رقم 17)

" تضع العروس الحناء في الصباح على الساعة
الثانية عشر تقرأ الفاتحة و يأتي الرجال و النساء
وفي المساء تبدأ حنة العروس و التي يحضر فيها
أهل العروس و العريس "

إن حنة العروس تمزج مع الفاتحة في يوم واحد ، حيث قبل قراءة الفاتحة أو بعدها توضع الحناء للعروس وما ذلك إلا تفاؤلاً بسعادتها لما تحمله الحناء من دلالات رمزية ، إضافة إلا أن الفاتحة ضرورية في الإسلام وهي بمثابة عقد الزواج و بموجبها يصبح العروسان متزوجان .

" كانت الحنة نتاع لعروسة مع الفاتحة على 12
يديرؤا الفاتحة و لعشيا تلبس لعروسة الشدة و
تديرلها الحنة مرا كبييرة و لا عزوجتها و
تلبسلها الخاتم ما كانش يجي الراجل و ما تشوفهش
لمرا حتى نهار العرس " (المقابلة رقم 16)

" كانت حنة العروس تقام مع الفاتحة على الساعة
الثانية عشر يقومون بالفاتحة و في المساء ترتدي
العروس اللباس التقليدي التلمساني و تضع لها
عجوز كبييرة الحناء أو أم العريس و تلبسها

الخاتم ولم يكن يراها الزوج حتى يوم العرس " ويظهر أن الفاتحة تقام في مدينة وهران في البيت ثم تؤخذ العروس لبيت زوجها

" كانت لعروسة تربط لحنة في الصباح ومع نص نهار يفتحو يجو الرجال و النساء من أهل العريس وعلى 12 بيل لازم يحطو الماكلة و كثرتهم يديرو الطعام بالمرقة واللحم و القهوة ولاتاي و القاتو كاين عايلات يدو لعروسة غير مين يربطو لها الحنة تلبس بلوزة بيضة وعلى لوحدة ونصف يدوها لدار راجلها و شي مرات تلبس لبسة بيضة وتكون دايرة لحنة "

(المقابلة رقم 15)

" كانت العروس تضع الحناء في الصباح وفي منتصف النهار يأتي الرجال و النساء من أهل العريس لقراءة الفاتحة وعلى الساعة 12 يجب أن يقدم الطعام وأكثر الناس يقدمون الكسكس باللحم و القهوة و الشاي و الحلويات وهناك من العائلات من يأخذ العروس بعد وضع الحناء لها فترتدي لباس أبيض و على الواحدة والنصف يأخذونها لبيت زوجها وأحيانا ترتدي الفستان الأبيض وفي يدها الحناء" أما بالنسبة للعريس يكون له يوم يسمى في الدارجة الوهرانية " العامة " و المقصود بها أنه يدعي فيها عامة الناس من أصدقاء و أقرباء العريس حيث يحتفل معهم بهذا اليوم و يضع الحناء في يديه .

" كنا بكري نديروا نهار قبل العرس (الأربعاء)

العامّة يتلايمو غير الرجال صحاب لعريس وجيرانه
وفاميليته و يديروا له الحنة ويسهرو معاه حتى لصباح
يزهاو و يغنو و يرقصو وهو ثاني يودع لعزوبية نتاعو"

(المقابلة رقم 18)

" كنا في الماضي نلتقي يوما قبل العرس (الأربعاء)

فقط الرجال يجتمعون أصحاب العريس و جيرانه

و عائلته ويضعون له الحناء ويسهرون معه حتى

الصباح يرقصون و يغنون هو كذلك يودع عالم العزوبية "

و الملاحظ في مجتمعي البحث أن في الماضي لم يكن هناك ذلك الإختلاط بين
عالم الذكور و الإناث في حفلات الزفاف إذ كل من الجنسين يحتفل بمفرده ومرة
أخرى يظهر كيف كان يفصل بين عالم الذكور و عالم الإناث إذ كان من العار
أن يختلط الجنسين و كان ذلك من القيم الأخلاقية التي يعود عليها الوالدين
أبناءهم .

ولكن في وقتنا الحاضر قد تغير طقس الحناء و عاداته حيث أصبحت المرأة
ترفض أن تطلّى كل يديها بالحناء و ذلك لأنها تعمل أو تدرس و أصبحت تخرج
للشارع يوميا و ذلك يزعجها فأصبحت تكتفي بوضع دائرة على يدها اليمنى أو
اليسرى أو تنقش الحناء على يديها في أشكال جميلة تضعها لها امرأة مختصة
تسمى " النجافة " . *

" دروك ما راهمش يديرو الحنة وحدهم راهم

يروحو عند الحفاة ولا النجافة هي اللي راهي

* أنظر الملاحق الصورة رقم 03

تزوقلهم الحنة في يديهم كلشي تبديل حتى الحنة ولات

تتزوق وعندها اللي يديرها ماشي غير من طرف "

(المقابلة رقم 17)

" حاليا أصبحت الفتيات لاتضعن الحناء بمفردهن

بل أصبحن يذهبن عند الحلاقة أو عند امرأة متخصصة

هي التي تزين الحناء في أيديهن حتى الحناء تغيرت طريقتها

و أصبحت تنقش و تزين وهناك من هي خبيرة في وضعها"

فخروج المرأة للعمل جعلها تغير من عادة الحناء التي كانت تطلى في كل يديها

و يظهر من ذلك كيف تتحكم الظروف الإجتماعية في العادات و التقاليد .

و قد تقلصت مدة الزواج مما أدى بالعائلات في مجتمعي البحث إلى إدماج كل

الطقوس في يوم واحد .

" رانا دروك كلشي نديروه في نهار واحد لخطرش

ماراهمش يديرو سبع أيام كيما كانو بكري راهم

يلمو قاع الأيام في نهار واحداش ما يكثرش الشقا

و التعب ولافامي كبرت و المصروف راه بزاف

على بيها كلشي راه يندار في نهار ماراهمش ينجمو "

(المقابلة رقم 10)

" حاليا أصبحنا نقوم بكل الأشياء في يوم واحد لأنهم

لا يحتفلون بذلك في سبعة أيام كما كانوا في الماضي

أصبحوا يجمعون كل الأيام في يوم واحد كي لا يكثر

عليهم التعب و المشقة و العائلة حاليا زاد حجمها و

زادت المصاريف لذلك كل الطقوس أصبحت تقام

في يوم واحد "

كما أن حفل الزفاف كان يقام يوم الخميس فقط في حين أصبح حالياً يقام كل أيام الأسبوع خصوصاً و أن العائلات أصبحت تفضل القيام بالأعراس في الصالات لذلك أصبحت الصالة هي التي تحدد يوم العرس خصوصاً في مدينة وهران .

" بكري كنا حنا نقرو نهار العرس و كان باين

بالخميس دروك الصالة هي اللي راهي تحكم وهما

يعطونا نهار العرس ودروك العرس راهم يديروه

قاع ليام نتاع الأسبوع ماشي غير لخميس على

حساب الصالة كي تكون خاوية " (المقابلة رقم 20)

" في الماضي كنا نحن من يقرر يوم العرس وكان

ظاهراً يوم الخميس أما حالياً الصالة المستأجرة هي

التي أصبحت تتحكم وهي تعطينا يوم العرس و حالياً

العرس أصبحوا يقومون به في كل الأيام ليس فقط

يوم الخميس وذلك حسب فراغ الصالة "

و أضحى الزوج هو الذي يلبس الزوجة خاتم العرس بدل والدته وهنا يظهر كيف تقلص دور الأم إلى التجهيز فقط للإحتفال ، كما ظهر عامل الإختلاط حيث أصبح النساء يختلطون مع الذكور في حفلات الزفاف و غيرها و زال ذلك الحاجز الذي كان بين عالم الذكور و عالم الإناث لأن هذا الإختلاط عم مختلف أنشطة الحياة اليومية ،سواء في المدرسة أو العمل و حتى اللعب أصبح الذكور يلعبون مع الإناث و لم يعد الفصل بين الذكور و الإناث أمراً زاجراً كما كان في الماضي ، كما أن عالم الذكور لم يعد بالنسبة للمرأة ذلك العالم المجهول

و المحضور الذي تخافه خصوصا مع ظهور معالم التحضر و التغيير التي فرضت على الفرد تغيير سلوكاته و طرق تفكيره و أصبح يختار شريك حياته و يلتقي به و يؤسس لحياته كما يريد لها هو لا كما يريد لها غيره .

" كلشي راه مخلط دروك في لعراس راهم
يتخلطو ماشي كيما بكري لخطرش الإختلاط
و لاشيء عادي مرهش حشومة الراجل راه
يتخلط مع المرا في الخدمة في بيس وبرا مشي
غير لعراس و بكري لمرا ما كنتش تخرج "

(المقابلة رقم 12)

" كل شئ أصبح مختلطا إذ في الأعراس أصبحوا
يختلطون ليس كالماضي لأن الإختلاط أصبح شيئا
عاديا لم يعد من العار فالرجل أصبح يختلط مع
المرأة في العمل و في الحافلة و في الشارع ليس
فقط في الأعراس و في الماضي المرأة لم تكن
تخرج "

ولكن في مدينة ندرومة لا زالت بعض العائلات تحتفظ بعاداتها في عدم الإختلاط بالذكور حتى و لو تقلصت مدة الإحتفال و مازالت العائلات تعتمد على بيوتها في القيام بهذه الحفلات ، و ذلك بحكم الشكل العمراني لهذه المنازل التي لها باحة و سطح عكس مدينة وهران التي أصبحت الأعراس فيها تقام في الصالات و تقتصر على يوم واحد .

" دروك ماشي كما بكري الناس راهي دير
لعراس نتاعها في الصالات و حتى المدة

نتاع العرس نقصت ولاو يديروهم في نهار واحد
لخطرش لعرس ولا يكلف و الصالة غالية على بيها
يكروها غير نهار ما ينجموش كثر وحتى الناس المعروضين
يجو لصالة نيشان ما يروحوش لدار و كي يكمل العرس كل
واحد يروح لداره على بيها العرس ولا غير نهار "

(المقابلة رقم 19)

" حاليا لم يعد الأمر كالماضي أصبح الناس يقيمون
أعراسهم في الصالات و حتى مدة العرس تقلصت
وأصبحت يوما واحدا لأن أصبح العرس يكلف أموالا
و الصالة باهضة الثمن لذلك يستأجرونها ليوم واحد
لا يمكنهم إستأجارها أكثر من ذلك وحتى المدعويين
يأتون للصالة مباشرة لا يذهبون للبيت ولما ينتهي الفرح
كل مدعو يذهب لبيته لذلك العرس أصبح يوما واحدا "

و يعزى السبب إلى شكل المنازل بمدينة وهران و التي يعيش أغلبية سكانها في
عمارات ضيقة شققها لا تكفي حتى لإجتماع أفراد العائلة الواحدة ، وهنا يظهر
كيف يؤثر الشكل العمراني للمنازل على تغيير بعض العادات و التقاليد، حتى
ومن لهم منازل واسعة أصبحوا يحتفلون بحفلاتهم في الصالات وذلك لتوفرها
على كل أمور الراحة و حتى تنقص عليهم المشقة و التعب المصاحب للحفلات
و لعل غلاء هذه الصالات هو الذي جعل العائلات تقلص مدة الإحتفال
في مدينة وهران . ومما يجدر الإشارة إليه هو أنه عرس الماضي يعد من
أبرز الشواهد على وجود النظام الأمومي و التبعية فقد كانت الأم هي التي
تتولى أمور الزواج من خطبة وحتى وضع الخاتم في يد العروسة .

ومما يلاحظ كذلك أن الموسيقى كانت تصاحب ليلة الحناء و الزفاف حيث كانت هناك فرق موسيقية نسوية تسمى " المداحات " بالدارجة كن ينشطن الأعراس في الماضي و يأخذن أجرا على ذلك .

" كانوا يديروا المداحات من يديروا الحنة للعروسة
ولا لعرس و يوروا للناس شاداروا لبنتهم و يديروا
المحضر اللي يبغي يحط الدراهم و يكلفوا وحدة تكتب
مقدار الهدية لخطرش هذ الدراهم يعاونو بيهم روحهم
و يخلصو المداحات و كل واحد يحط على حساب ما
يقدر " (المقابلة رقم 15)

"كانوا في الماضي يحضرون فرقة موسيقية نسوية لإحياء
حفلة الحناء للعروسة أو العرس ويطلعون الناس الحاضرين
على ما قدموه لإبنتهم العروس و يقوم الناس بوضع النقود
وتكف إحدى النسوة بكتابة مقدار الهدية وهذه الأموال يساعدون
به أنفسهم و يدفعون أجره الفرقة الموسيقية وكل واحد يضع
ما بقدرته من نقود"

وكانت يوم الحناء فرصة لعرض العروسة ما قدمه لها والدها من جهاز كما هو
فرصة لجمع النقود و الهدايا التي تسجل حتى تتمكن العروسة و أهلها من
إرجاع هذه الهدايا لأصحابها في الحفلات ،أي إعادة إكرامهم بالهدايا وما هذه
العادات إلا من باب المجاملات التي تحدث بين العائلات و دليل على
المساعدات التي كانت تقدم في الماضي للتهوين و التخفيف من حدة المصاريف .
و هنا مرة أخرى تظهر روح الجماعة التي كانت متواجدة و التي كانت تساهم
في زيادة الرباط الإجتماعي بين الجماعات، و لكن هذه العادات لم يبقى منها إلا

أثارا في ذاكرة الأفراد إذ إندثرت و أصبحت الموسيقى تعتمد على أشرطة الكاسيت ،و عرض جهاز العروس أصبح شيئا لا يخص إلا العائلة لا يراه الناس خصوصا و أن الأعراس أصبحت تقام في الصالات و لا زالت الهدايا قائمة كرمز للمحبة و إكرام للعروسين و نوع من تقديم المساعدات .

ولكن الأساس في كل هذه الإحتفالات هم المدعويين حيث كانت أم العريس و أم العروسة تذهبن لدعوة الناس في منازلهم وتكون الدعوة شفوية ،و كانت هذه العادة ضرورية لحضور المدعويين إلى الحفل و لكن أصبحت الدعوات تقدم في بطاقات خاصة تدعى " بطاقات الدعوة " و تعتبر هذه العادة الجديدة كسلوك حضري متطور كما هي محاذات للعادات الأوروبية .

" بكري كنا نروحوا نعرضوا الناس ندوا معنا زوج
نساء ومين تدخل لكل دار يعطونا شوية سكر و
يديروا لنا الريحة بصح كانت نهار العرضة
تنوض الأم بكري و تعجن المسمن و تعرض
الجوارين يشربوا عندها القهوة عادا باش تخرج
تعرض بصح دروك راهم يعرضوا بالكراتات "

(المقابلة رقم 17)

" في الماضي كنا نذهب لدعوة الناس ونأخذ
معنا إمرأتين ولما ندخل لكل بيت يعطوننا
قليلا من السكر و يضعون لنا العطر ولكن
كانت أم العريس في ذلك اليوم تنهض باكرا
وتصنع الحلوة التقليدية وتدعو الجيران لشرب
القهوة ثم بعد ذلك تخرج لدعوة الناس لحفل

الزفاف و لكن حاليا أصبحت الدعوة بإستعمال

البطاقات "

ولكن مما سبق يلاحظ أنه مهما إختلفت و تغيرت طقوس الإحتفال بالحناء و العرس إلا أن عادة الحناء لا زالت قائمة ولا زالت الفتاة تضعها على يديها
تفاؤلا بالخير .

6- يوم الزفاف :

يعتبر هذا اليوم أهم يوم في حياة العروسين إذ هو آخر يوم للعزوبية و الحياة المنفردة كما أنه اليوم الذي ستتكون فيه عائلة نوية جديدة تحت سقف واحد ، ففي هذا اليوم تتجهز العروس لتذهب إلى بيت زوجها و تودع بيت أهلها الذي ألفته و ترعرعت فيه لتنتقل إلى بيت جديد لا تعرف عنه شيئاً بيتاً مجهولاً تحوم حوله المخاوف و أول شئ يقومون به هو أخذ فراش العروسة في الصباح الباكر سواء في مدينة ندرومة أو في مدينة وهران إلى بيت زوجها وذلك حتى تتم العملية سرا تجنباً لعين الحسود .

" كنا نديوا الفراش في الصباح بكري في
السترة باش حتا وحد ما يشوفنا لخطرش السترة
مليحة و تبعد العين نتاع الحساد دروك راهم
يجيبو لفراش بالزيطا وكل واحد يسمع و يشوف
و يشهرو بيه"

(المقابلة رقم 03)

" كنا نأخذ فراش العروسة في الصباح الباكر
حتى لا يرانا أحد ونستر أمرنا لأن السترة حسنة
و تبعد عين الحساد حالياً أصبحوا يأخذون الفراش
بالبطل وكل الناس يسمعون و يرونه و يشهرون به "

يسبق الفراش العروسة دائماً و ذلك حتى تجده عند إنتقالها إلى بيت زوجها ، وحتى يراه أهل العريس ولكن يؤخذ هذا الفراش في الصباح الباكر وذلك حتى يذهب في الخفاء الكلي لا يراه أحد، و إبعاد لعين الحسود و تبقى إمرأتين لحراسة هذا الفراش في بيت العريس .

" كانوا يجيبوا الفراش نتاع لعروسة فصباح
بكري و يقعدوا في دار لعريس حتى لعشية
من يجيبوا لعروسة بصرح يقعدوا غير زوج نساء
من فامية لعروسة " (المقابلة رقم 15)
" كانوا يأتون بفراش العروسة قي الصباح الباكر
ويبقون في بيت العريس حتى المساء عندما تحضر
العروسة ولكن تبقي فقط إمرأتين من عائلة العروسة "
ويعتبر هذا الفراش لوازم العروسة و جهازها الذي قدمه لها والدها و يكون
متنوعا وهناك من يأخذ الفراش يوما قبل ذهاب العروس إلى بيتها .

" حنا في عاداتنا نديوا لفراش نهار قبل العرس
نقولولوا لوشي ويمشيو العرايسات لابسين
الشدة و اللباسات التقليدية و يمشيو زوج
نساء كبرات باش يطوو الفراش ويبقاو في دار
الراجل حتى يوكلوهم ومن بعد يطوو لفراش
ويفرشو للعروسة بيتها "

(المقابلة رقم 14)

" في عادتنا نأخذ فراش العروسة يوما قبل
العرس و اسمه "الوشي" و تذهب العرائس
باللباس التقليدي و تذهب معهن إمرأتين
كبيرتين في السن كي تقمن بطي الفراش
و ترتبيه ويبقين هناك حتى يقدمون لهن الأكل

ولما ينتهين يفرشن للعروسة غرفتها "

ويسبق الفراش العروسة إلى بيت زوجها وفي المساء يجهز الموكب الذي يأتي بالعروس حيث تأتي النساء في سيارات لأخذ العروس في موكب إحتفالي فتخرجها من بيت والدها أخته أو عمته أو خالته .

" بكري كانت تجي عمتو ولا أختو تخرج

لعروسة والأم عيب تجي ودروك راهم

يبغيو الراجل يجي يخرج العروسة و الأخت

تجي غير ترافق لعريس و الأم تقعد في الصالة

تقابل الناس دروك راه الكورتاج مخطط الرجال

و النساء و يديروك كورتاج مخطط وراهم يجيو

الرجال يرافقو لعريس " (المقابلة رقم 17)

" في الماضي كانت تأتي عمه أو أخت العريس

و تخرج العروسة اما الأم فمن العار أن تأتي

أما حاليا أصبحت الفتاة تريد عريسها يخرجها

من بيت أهلها و أخته ترافقه فقط أما الأم فتبقى

في الصالة لإستقبال المدعوين وأصبح موكب

العرس مختلطا رجال و نساء حيث يصطحب

الرجال العريس "

فأم العريس وظيفتها إستقبال العروس في بيتها و محضور عليها الذهاب لإحضارها ، و هنا تظهر جليا مكانة الأم في الماضي إذ التقاليد كانت تفرض أن لا تذهب أم العريس إلى عروسها بل العكس و ذلك حفاظا على مكانتها و سلطتها و التي تجعلها تستقبل عروسها التي تضي لها الولاء مستقبلا .وتقدم

للعروسة الحليب و العسل وذلك كرمز معبر عن إبعاد الحسد و تفاؤل خير
بالعروسة التي ستكون طيبة كالعسل .

" بكري كانتالناس تحشم وكانت الحرمة
كانت لعروسة تحشم و كانت أم لعريس ما
تمشيش تجيب عروستها تقعد تستقبلها في الدار
لخطرش الأم كانت عندها قيمة كبيرة على بيها
ما تمشيش عند عروستها وما زالت باقية هاذ
العادة "

(المقابلة رقم 04)

" في الماضي كان الناس يخلون وكانت الحرمة
وكانت العروسة تستحيي و كانت أم العريس لا
تذهب لإحضار عروستها بل تبقى في البيت
لإستقبالها كانت أم العريس لها مكانة كبيرة لذلك
كانت لا تذهب عند كنتها بل هي تأتي عندها ولا
تزال هذه العادة قائمة "

ولكن في مدينة وهران كانت تتولى الأم مسألة قدوم العروسة و هنا كذلك
تجسيدا لسلطة الأم التي لا يمكن أن تقابلها أي سلطة و لا يمكن لأي شيء أن يتم
بدون وجودها . هذه السلطة التقليدية التي لا يمكن تجاوزها و تستدعي التقدير

" كانت بكري لعزوج هي اللي تروح تجيب
لعروسة نهار لعرس لولدها باش تبين لها
بلي هي اللي تحكم وهي اللي لازم تجيب

لعروسة لو كان ما تروحش هي مكانش اللي

يجيبها " (المقابلة رقم 15)

" في الماضي كانت أم العريس هي التي تذهب

لإحضار العروسة لابنها كي تبين لها أنها هي

التي بيدها السلطة وهي المؤهلة الوحيدة لذلك"

ولكن تغيرت الأمور و أصبح الزوج يذهب لإحضار عروسه و يخرجان في

موكب واحد إذ تخرج العروس متبرجة دون غطاء عكس ما كانت عليه في

الماضي إذ كانت العروسة عند خروجها من بيت أهلها يغطونها ببرنوس أو "

الحايك " كما يقال له . * ولكن لازالت هذه العادة موجودة في مدينة ندرومة .

" كانت لعروسة بكري تتلحف من تجي

خارجة من دار بوها باش يدوها لدار راجلها

ما يشوفها حد و تنصرو تكون مستورة و بعيدة

على العين مازال العروسة تخرج متلحفة

و ما زال تخرج وحدها من دار بوها بلا ما

يجي لعريس مازالت عندنا الحشمة و الحرمة"

(المقابلة رقم 09)

" كانت العروسة في الماضي يغطونها

عند خروجها من بيت أهلها للذهاب إلى بيت

زوجها لا يراها أحد حتى تكون جميلة ومستورة

*أنظر الملاحق الصورة رقم 04

وبعيدة عن عين الحساد لازالت العروسة عندنا
تخرج مغطاة ووحدها من بيت أهلها لا يرافقها
عريسها بل أخته لازالت الحرمة في مجتمعنا و لازلنا
نستحيي "

حيث كانت التقاليد في الماضي لا تسمح بخروج العروس دون غطاء و ذلك
حماية لها من أعين الحساد و كذلك حتى تبقى محفوظة لا يراها أحد قبل زوجها
و لكن هذه العادة لا زال المجتمع الندرومي يحتفظ بها إذ لا زالوا يغطون
عروستهم عند خروجها من منزل والدها كما أنه قلما يذهب العريس ليحضر
عروسه من بيت والدها .

و الملاحظ أن العائلة الندرومية لا زالت تحافظ على بعض عاداتها كعدم كشف
زينة العروس إلا لزوجها خوفا من أعين الحساد أو حرمة للعريس و خوفا من
كلام الناس من باب ما يسمى " الحشومة " .

في حين في مدينة وهران أصبحت العروس تخرج دون غطاء و موكب العرس
يكون مختلطا رجال و نساء إذ و لأن العريس هو الذي يحضر العروس فهو
مصحوب بأفراد عائلته الذكور، و بينما في الماضي كانوا يحضرون سيارات
عادية لإحضار العروس أصبح التماهي و التباهي في شكل هذه السيارات التي
أصبحوا يؤجرونها بأثمان باهضة لقضاء حاجة لا تدوم إلا ساعة أو أقل .

" دروك راه يمشي لعريس يجيب لعروسة و يكري
لوطوشابة و غالية باش يجيبها فيها بالطبل و يمشيو
معاه صحابه بلواط و النساء نتاع لافامي و الكورتاج راه
مخلط نسا و رجال و العروسة راهي تخرج بلاغوب بلاش
ما تغطي روحها ما و الو لاخطرش راهي تلبس روبا غالية

شي خطرات تكومونديها يجيبوها لها من فرانس و راهم
يروحو لشيراطون يحبسوا للواط و تخرج العروسة
والعريس يتصورو لامود راهي جديدة و تتبدل "

(المقابلة رقم 12)

"حاليا يذهب العريس ليحضر العروسة و يستأجر
سيارة فاخرة كي يحضرها بها بالطبل و يذهب معه
أصحابه الذين يملكون سيارات و تذهب معهم نساء
العائلة و أصبح الموكب مختلطا نساء و رجال و
العروسة ترتدي الفستان الأبيض ولا تلتحف لأنها
ترتدي فستانا باهض الثمن تريد أن يراه الناس حيث
غالبا ما تطلبه من فرنسا ثم يذهبون أمام فندق الشيراطون
وتخرج العروس والعريس لأخذ الصور ،إنها الموضة
الجديدة و تتغير "

وحتما لا تسمى هذه عادة و إنما هي موضة جديدة تبناها المجتمع نتيجة ما
توصل إليه من تحضر و تغير .

وتذكر المبحوثات في مدينة ندرومة أن العروس كانت لا تراها إلا أخت العريس
و عند الدخول إليها و بعد أن تحييها تذهب عنها عين الحسود بإستعمال قطعة
ذهبية تسمى " لويزة " ،فتقول " خميست النصر عليك للا يا ليمرا طارت عين
الجار و الفار و العين اللي ما تصلي على النبي لمختار " وما هذا القول إلا
لحفظ العروس من عين الحسود في الإعتقاد الندرومي .ومفهوم تخمس مأخوذ
من العدد خمسة لأن الإعتقاد السائد أن هذا العدد يبعد الحسد .

"حتى واحد ما يشوف لعروسة كانت أخت لعريس

تدخل لعند ها تسلم عليها وتخمس للعروسة بلويزة
قبل ما يدخل عريسها باش ما تلحقهاش العين وتبعد
عليها الحساد"

(المقابلة رقم 05)

" لأحد يرى العروسة كانت أخت العريس تدخل
عند العروسة لتسلم عليها قبل مجيء العريس
و تحمل معها قطعة ذهبية تديرها خمس مرات
على العروسة حتى لا تلحقها عين الحساد "

وتسود النية في هذه العادة إذ تقترن هذه النية بالإعتقاد في مخزون الذاكرة
الشعبية و كل عادة تقترن بالمعتقد تأخذ شرعية أكثر ومصداقية ، وعندما تصل
العروسة لبيت زوجها تستقبلها أم العريس فتقدم لها العسل و الحليب و ما هذه
العادة إلا تقاؤلا بحسن العلاقة بين الحماة و الكنة " تستقبل أم العريس العروسة
و تقدم لها كأسا من الحليب فتقوم العروس بشربه ، و هناك من يقدم قطعا من
السكر و هذا من أجل أن تبقى العلاقة طيبة و حسنة و حلوة كالسكر بين الزوجة
و الحماة " 1 ثم تتوجه العروس إلى غرفتها حيث تمكت هناك تنتظر قدوم
زوجها و في هذا الحين يقوم زوجها بتحضير نفسه عند أحد أقربائه أو أصدقائه
حيث يكلف أحد أفراد عائلته بالباسه ثيابه .

" العريس يلبسه واحد من أهله يكون عداك كي
تزوج ويقعد معاه وهو اللي يديرله وزير يقعد غير

1- مسعودي أم الخير ، عادات و تقاليد الزواج في الأسرة الجزائرية ، مجلة آفاق لعلم
الإجتماع ، العدد رقم 01 ، ص 273

معاه يقابله حتى لغدوا نتاع لعرس " (المقابلة رقم 07)

"العريس يرافقه أحد أصدقائه أو أهله فيلبسه ملبسه

الجديدة و يكون هو كذلك عريسا جديدا حيث

الزواج ويبقى معه ليكون فيما بعد وزيره ويبقى

معه حتى اليوم الموالي من العرس "

ويجب أن يكون هذا الشخص حديث الزواج و ذلك تفاؤلا من المجتمع الندرومي بذلك لأنه في إعتقادهم فال خير ، وبعد ذلك يأتي العريس إلى بيت أهله و هو يركب الجواد العربي الأصيل لما للجواد من دلالة على الأصالة العربية ويصحبه أهله و أصدقائه في جو بهيج حيث يشعلون النار وما إشعال النار هذه إلا وسيلة منهم للإشهار بالعرس و إنارة الطرقات ولا زالت هذه العادة متواجدة في مدينة ندرومة *

" مين كان يدخل لعريس كانوا يشعلو النار

في الطريق كي يتمشاو معاه لخطرش ندرومة

فيها بزاف الدروبة منها نوروله الطريق وثاني

باش نشهرو بالعرس و اللي يشوف يعرف بلي

هذالك عرس هذه عادات جدودنا " (المقابلة رقم 06)

" تعتبر ظاهرة إشعال النار عند دخول العريس

عادة قديمة لازالت باقية و ذلك من أجل إنارة

الطريق و الإشهار بالعرس هذه عادات الأسلاف "

* أنظر الملاحق الصورة رقم 05

وعند دخول العريس إلى بيت أهله تضع الأم بصلة تحت قدميه ليمشي عليها وذلك إعتقاداً منها بجلب القوة لابنها .

" كي يدخل لعريس لدار يعفس على بصلة ومن
بعد يخالف على أمه اللي تكون تحمل رزمة
نتاع حوايجو اللي قلاعهم نهار الحنة على ظهرها
هذ الحوايج كي حمم جابوهم لها ودارتهم في حزمة
ديرهم في ظهرها وكي يدخل لعريس يخالف عليها "

(المقابلة رقم 04)

" لما يدخل العريس للبيت يطأ بقدمه على بصلة
ثم يقفز على ظهر أمه التي تحمل رزمة من
ملابسه التي نزعها عند دخوله للحمام "

إذ بعد ذهاب العريس للحمام فإنه يجمع ملابسه و يحملها لأمه التي تضعها في حزمة ويوم الزفاف تحملها على ظهرها ثم تطئ برأسها و تقف على شكل زاوية قائمة ليحبر عبرها ابنها ، و ما هذه العادة إلا إمتداد للولاء الذي يكنه الإبن لأمه ثم يدخل إلى الغرفة أين توجد زوجته و هنا تبدأ طقوس ما يسمى بليلة الدخلة أين يكون الجميع في إنتظار فض بكارة العروس و إتبات عذريتها. إذ يقف الشخص الذي تولى إلباس العريس وراء الباب ينتظر إتمام العملية و يسمى بالدارجة " الوزير " كعبارة معبرة عن أقرب الناس للعريس و يكون هذا الوزير بمثابة الوسيط بين الزوج و العالم الخارجي (أهله) ، و رغم زوال عادة الملابس التي تضعها الأم على ظهرها إلا أن دلالة البكارة لا زالت موجودة ولازال المجتمع الندرومي يعطيها الأهمية التي يعطيها لها المجتمع الوهراني ،

و العادات عند العائلات الوهرانية تتقارب نوعا ما مع عادات العائلات
الندرومية إذ كانت العروس تجلس مع المدعوات و عند قدوم العريس تؤخذ
إلى غرفتها.

" كانوا يخرجوا العروسة يشوفوها لغاشي
ومن بعد يدخلوها لبيتها حتى يجي لعريس
وما تعاودش تخرج تقعد تقارعه وهي مقلقة
هذ الليلة نتاعها وتخاف بزاف منها لخطرش
فيها بيان شرفها وتنتبث للناس عذريتها لوكان
حتى ماراهي دايرة والو تقعد خايفة ليلة صعبية
على العريس و لعروسة "

(المقابلة رقم 16)

" كانوا يخرجون العروسة حتى يراها المدعوون
ثم يدخلونها لغرفتها حتى يأتي زوجها ولا تخرج
بعد ذلك مرة أخرى تبقى في إنتظار العريس وهي
تعيش القلق هذه الليلة منسوبة إليها لتنتبث عذريتها
وتظهر شرفها حتى وإن لم تقم بشيء ينتابها هذا
الشعور بالخوف هذه الليلة تعتبر من أصعب الليالي
على العروس و العريس "

ولكن كانت العروس عند خروجها من بيت أهلها يوضع لها حبة بيض تحت
رجليها حتى تكسرها و كذلك تعبر هذه العادة عن نوع من الإعتقاد في ذهاب
السحر المرتبط بالعروس إذا وجد .

" كانت مين تجي خارجة لعروسة من دارهم

يديرو لها حبة بيض تعفس عليها باش يروح
قاع لي فيها و هذيك غير بالنية " (المقابلة رقم 15)
" كانت لما تريد العروس الخروج للذهاب إلى
بيت زوجها يضعون لها حبة بيض تطء بقدمها
عليها حتى يختفي عنها كل ما وضع لها من
سحر وما شابه ذلك وكانت تلك الأمور تسير
بالنية "

وهنا يظهر كيف كانت النية في الذاكرة الشعبية تؤثر على سلوكيات الأفراد .

" لكل مجتمع عاداته الخاصة به و التي يرى فيها أنها تمثل أساس قيام مجتمعه
فيخصها بالتقدير و التبجيل، و أحيانا يقدسها حتى و إن كانت بعض العادات لا
تجد لها شرعية في المجتمعات الأخرى و الثقافات الأخرى لأن كل ثقافة لها
عاداتها الخاصة بها و التي يجدها أفرادها طبيعية في حين يجدها أفراد مجتمع
آخر غير طبيعية " 1 وهناك من العائلات في مدينة وهران ما تضع البصلة
تحت رجل العريس و هذه العادة سبق و أن رأيناها في مدينة ندرومة وما هي
إلا إعتقاد بجلب القوة للإبن إذ تمثل البصلة رمز القوة و الرجولة و كانت الأم
عند دخول إبنها إلى غرفته تضع رجلها على الباب ثم يمر الإبن من تحت
رجلها وما هذه العادة كما سبق ذكره إلا طريقة للولاء المومي إذ تتجسد من
خلالها عملية الطاعة و يبقى الإبن دائما يطيع أمه كما أن هذه العادة هي تجسيد
لمكانة الأم في الماضي .

1- فوزية ذياب ، مرجع سبق ذكره ، ص136

" كانت بكري أم العريس توقف على لباب
الغرفة نتاع ولدها ودير كر عيها في الباب
باش يفوت العريس تحتها هذا غير باش تبين
للناس بلي ولدها يطيعها و يقدرها "

(المقابلة رقم 17)

" كانت في الماضي أم العريس تقف على
باب غرفة إينها و تضع رجلها على الباب
ويمر العريس تحتها كي تظهر للناس أن إينها
يطيعها و يحترمها "

وقبل دخوله إلى غرفته كانوا يمسخون وجهه بقطعة من قماش و هذه العادة تعبر
عن رفع الحياء عن الرجل عند دخوله على عروسه و هذه العادة موجودة في
مدينة ندرومة و لا زالت باقية إلى وقتنا هذا .

" كانوا بكري يوجدو قطعة من القماش
شال نتاع أمه و لا جداته و توقف أمه
ولا أخته لكبيرة عند الباب و كي يجي
داخل عند لعروسة تمسح له وجهه
باش يقلعوا لو الحشمة "

(المقابلة رقم 18)

" كانوا في الماضي يأخذون قطعة قماش
خمارا للأم أو الجدة و تقف الأخت الأكبر
أو الأم عند الباب و لما يهم العريس

بالدخول عند العروسة تمسح له وجهه

بتلك القطعة من القماش حتى يذهب عنه

الحياء "

و لكن الملاحظ أن هذه العادات قد زالت عند العائلات في مدينة وهران، و ذلك راجع لكون الأعراس أصبحت تقام في الصالات مما يجعل العروسان يدخلان الصالة أحيانا معا ،فلا داعي لأن يمسخ وجه العريس لرفع عنه الحياء، كما أن العروس أصبحت لا تنتظر عريسها بمفردها في غرفة يشوبها القلق و الخوف من ليلة يحسم فيها مصيرها بل أصبحت تجلس إلى جانب زوجها و ترقص معه و يذهب الحياء بينهما و الخجل و حتى الخوف ، كما أن الشباب أصبح لا يعتقد و لا يرضى بعادة المرور تحت رجل الأم مما يجعل الأم تفقد مكانتها رمزيا و سلطتها ، إذ يعتبر الشباب هذه العادة حاليا نوعا من التخاريف التي ليس لها أساس من المعقول كما أنهم يخجلون بفعل ذلك و عليه يمكن إعتبار زوال بعض العادات بفعل الخجل منها لأنها لم تعد تتماشى مع وعي الناس و ثقافتهم الحضرية .

" دروك لو كان الأم تقول لولدها يفوت تحت كرعيا

ما يبغيش يقولها تحشميني حدا الناس مارهيش لامود

و يضحكو عليه ماشي كيما بكري كانوا قاع يديرو كيفكيف

وفهذاك الوقت الناس ماكانوش قاريين كانوا كيما يقولولهم

يديرو دروك راهم فاهمين ويحشمو من هاذ الصوالح ما

بقاتش لامود تبدلت كاين شي عادات ولاو ما ينداروش

لخطرش ما يتماشوش مع وقتنا "

(المقابلة رقم 13)

" حاليا لو قالت الأم لإبنتها يمر تحت رجلها يرفض ذلك لأنه يعتبره سلوكا غير حضري و أنها تخجله أمام الناس ليس كالماضي حيث كل الناس كانوا يقومون بنفس العادات ولم يكن الناس على درجة عالية من التعليم لذلك كانوا يفعلون ما يؤمرون به أما حاليا أصبح الناس واعين و بخجلون من القيام بهذه الأمور لم تعد هذه العادات موضحة بل وهناك بعض العادات قد تولى عنها الأفراد لأنها لم تعد تتماشى ما هذا الزمن "

إذ بعض العادات القديمة أصبحت تجلب السخرية و الإستهزاء لذلك يتفادها الشباب حاليا و بذلك يتركونها مما يؤدي إلى زوالها وهنا تظهر جليا كيف غابت سلطة الوالدين التي كانت تمد بجذورها على كل شئ و الملاحظ أن غالبا ماكانت تقام الأعراس في مجتمعي البحث يومي العطلة التي كانت قديما السبت ثم الأحد وتغيرت لتصبح الخميس و الجمعة حتى يتم حضور أغلبية الناس " يقام العرس يوم الخميس و هذا لإكتساب عطلة نهاية الأسبوع في الجزائر "1

وفي إطار يوم الزفاف هناك طقسان لا يمكن تفادي الحديث عنهما لأنهما من الطقوس المهمة لإتمام مراسيم الزواج في المجتمع الجزائري وهما ليلة الدخلة و المحضر، كما يعتبران أمرا ضروريا و حتميا لأنهما يكتسيان أهمية بالغة في الذاكرة الجمعية للمجتمع ، و الزوجين لأنهما يشيران إلى دخول المرأة فعليا في

1- Camille Lacoste Du Jardin, Des mères contre des femmes , éd Bou chène ,Alger, 1990, p27

عالم الزواج و بالتالي تتم من خلالهما عملية الدمج الإجتماعي داخل الأسرة.

أ- الدخلة :

يعبر مفهوم الدخلة في المخزون العام للذاكرة الجمعية على إثبات عذرية الفتاة أو العروسة لذلك ينتظر جميع الناس هذا الطقس سواء أهل العروس أو أهل العريس ، كما ينتظره العروسان نفسيهما و قبل التطرق لهذا الطقس يجب تحديد رمزية البكارة في المجتمع العربي الإسلامي . لقد كانت بكارة الأنثى على مر العصور تمارس تأثيرات متنوعة على الرجل و ذلك لكونها كانت مرهوبة مرغوبة إذ فرضت نفسها على منظومة التمثلات الجماعية و ذلك لأنه ينظر إليها على أنها علامة أنثوية و خصوبة الزوجة ففي الديانة المسيحية بني الإعتقاد كله حول فكرة العذرية إذ كان يركز على تصور ديني عن مفهوم البكارة من خلال قصة مريم العذراء ، كما أن العرب يولون أهمية خاصة لهذه العذرية فلا نتجاهل الأدب القديم و تراث العرب المليئ بالدلائل على ذلك إذ كان من الشعراء العرب من يتغنون ببكارة المرأة لأنها كانت تعتبر رمز العفة باعتبارها قيمة أساسية في الأنثى المكتملة ، وقد رمزت البكارة للطهارة مما جعلها تأخذ صفة القدسية لدى المجتمع العربي عموما و المجتمع الجزائري خصوصا لذلك تبقى البكارة في هذه المجتمعات ينظر إليها باعتبارها خاصية مميزة لشخصية الزوجة الكاملة الأوصاف¹ لذلك تشكل البكارة حجر الزاوية إذ أنها شرط أولي للزواج لا يمكن مناقشته مما يجعل من هذا الطقس شيء مقدس و يجعل من عضو المرأة أمرا هو بذاته مقدس أي إجتماعيا يشكل شيئا مقدسا مما يجعل من البكارة " تابو " تحيط به المحرمات و الممنوعات و يجعل من ليلة الدخلة طقس عبور أو مرور تنتقل من خلاله المرأة من عالم

1- مالك شبال ، مرجع سبق ذكره ، ص79

العزوبة إلى عالم الخصوبة و الزواج " ليلة الدخلة هي إمتحان حقيقي للمرور أين كل الناس يختبرون من خلاله الزوجان لأنهما مجبران على أن يبرزوا برهان على أهليتهم و مصداقيتهم القانونية (القدرة /عذرية) " 1 و في الحقيقة ما البكارة إلا رمز للرجولة في الوسط الإجتماعي و دليل على الإنجاز الذكوري و القوة الذكورية إذ يمنح هذا الطقس الرجال ميزة ينفردون بها كونهم الفئة الوحيدة التي بإمكانها فض البكارة و هذا ما يزيد من تقويمهم و تأكيد مكانتهم و هذا ما يجعل من الزواج في حد ذاته طقس مرور حيث يمر فيه كلا الزوجين من حياة عادية تتميز بالفردية ليس فيها مسؤوليات إلى حياة مشتركة مليئة بالمسؤوليات لكل فيها حقوقه و واجباته و هذا كطقس مرور إبتداء من ليلة الدخلة التي تمر من خلالها الزوجة من جماعة العازبات إلى جماعة المتزوجات و تصبح تحس ذاتها و تدركها ، كما أن الرجل في هذه الليلة يمر إلى حقل إنبات الذات من خلال فض البكارة " الزواج هو في الحقيقة طقس مرور الذي يغير جذريا قانون حياة العروسين الجديدين " 2، نظرا لهذه الأهمية كلها التي يوليها المجتمع للبكارة فإنها يصاحبها طقوسا متنوعة في مجتمع البحث فبعد دخول العريس عند عروسه و بعد فض بكارتها كان في الماضي يتبث عذريتها لأهله فيقدم لهم قطعة من القماش مليئة بالدم الذي ينتج عن عملية الفص " ترجع عادة الإعلان عن البكارة إلى جذور إجتماعية عميقة في المجتمع الجاهلي " 3

1- Faouzi Adel , La nuit de nocés ou la virilité piégée, Insaniyat , n°4, janvier- avril 1998 , revue algérienne d'Anthropologie et de sciences sociales , Crasc ,Oran, p04

2- Guy Rocher , L'organisation sociale , opcit , p96

3- كريستينا سكار جينيسكا ، مرجع سبق ذكره ، ص41

" مين يخرج لعريس كان يعطي لقمجة للوزير باش يعطيها

لأم العريس تشوفها وتوريها للنساء و يرقصوا عليها

ويفرحو وهنا يبدأ العرس نتاع بصح لخطرش لعروسة

بينت عذريتها و العريس بين بلي راه قادر و راجل"

(المقابلة رقم 19)

"لما يخرج العريس يعطي لوالدته القماش الذي يحمل

دم فض البكارة حتى تراه و تريه للنساء الحاضرات

فيفرحن و يرقصن على ذلك وهنا يبدأ العرس الحقيقي

لأن العروس قد أثبتت عذريتها و العريس قدرته و رجولته"

وما هذه الفرحة من أهل العريس أو العروسة إلا إستبشارا منهم و إفتخارا

بشرف إبتهم و بقدرة الرجل على فض البكارة إذ تصبح تلك القطعة من القماش

الدليل الرمزي على عذرية العروس "إن العفة النفسية غير كافية في غياب دليل

مادي و حجة ملموسة تؤكدها يوم الزفاف أو ليلة الدخول " 1 ، مما يدفع بأهلها

للتباهي و الإفتخار بشرف إبتهم التي حافظت عليه " و بنفس القدر كانت الفتاة

المثالية التي لم تأت بما يمس شرف أبيها أو أخيها مجالا من مجالات تفاخر

الناس " 2 ، وما فرحة أهل العريس إلا إيماننا منهم و إفتخارا بقوة إبتهم الذكورية

و إبتاه لرجوليته . وعليه فإن في ليلة الدخلة تزوج فرحتان فرحة بالحفاظ على

الشرف و فرحة بإتبات الرجولة ومنه فإن الدخلة تجمع بين ثنائية

الشرف/الرجولة وفي مدينة ندرومة كانت تبقى إحدى القريبات للعروس في بيت

1- مالك شبال ، مرجع سبق ذكره ، ص81

2- كريستينا سكار جينيسكا ، مرجع سبق ذكره ، ص41

أهل العريس لتحمل معها تلك القطعة من القماش أو دليل العذرية إلى أم العروسة التي تكون تنتظرها في قلق و خوف وبعد تأكدها من عفاف إبنتها تقوم بحفل بهيج و يرقصون معبرين عن فرحتهم .

" مين كانوا يجيبوا القمجة كانت الأم و فاميليت
لعروسة يديروا عرس في دارهم و يفرحوا
بيها لخطرش رفعت لهم راسهم و يباتو يغنيو
بنتهم تهنات و هناتهم حافظت على شرفهم
وطلعت لهم راسهم حدا الناس " (المقابلة رقم 14)
" لما كانوا يحضرون القماش الذي يحمل دم
البكارة كانت أم العروسة و أهلها يقيمون عرسا في
بيتهم و يفرحون لأن إبنتهم حافظت على شرفها
و رفعت همة أهلها وقد إرتاحت و أراحت أهلها "

فما هذه الفرحة من أهل العروس إلا تعبيراً منهم عن إبتهاجهم و إفتخارهم بكون إبنتهم لم تحط من شأنهم و اثبتت عفتها و طهارتها، كما يعتبر هذا الطقس الأساس الذي يمكن من خلاله للمرأة أن تحضى بقبول المجتمع و بذلك هو طقس إنتماء إلى العضوية الإجتماعية " من جهة التمثلات و القيم الجماعية المغاربية السائدة فنلاحظ أن هذا التابو قطب و ركن أساسي من أركانها ، و دعامة قوية يقف عليها صرحها يرمز تابو البكارة إلى شهادة القبول داخل المجتمع و يرمز إلى المثل الأعلى الإجتماعي "1 قدم العذرية هو بمثابة التضحية التي تقدمها

1- مالك شبال ، مرجع سبق ذكره ، ص106

المرأة مقابل الإعراف الإجتماعي، و بذلك فض البكاره هي لحظة ميلاد ثانية للمرأة ويقدم العريس لعروسه هدية إكراما لها على حفاظها لعذريتها و ذلك يوم صباح العرس تسمى التصحيح بالدارجة و تكون قطعة من الذهب عادة .

" يعطي لعريس للعروسة قطعة من الذهب تكريما
لشرفها و الصبح من يجيو حبابها تعطيم الهدية
باش يعطيوها لأمها تشوفها وتوريها للفاميلية باش
يعرفو بلي بنتها حافظت على شرفها و رفعت راس
العائلة " (المقابلة رقم 04)

" يعطي العريس لعروسه قطعة من الذهب تكريما
لشرفها و محافظتها عليه، وفي الصباح لما يأتي
أهلها تعطيم الهدية حتى تراها والدتها وتريها
لكل العائلة كي تعلمهم أن إبننتها حافظت على شرفها
ورفعت رأسهم"

وما هذه الهدية إلا شكرا و إمتنانا من الرجل للمرأة وتقديرا لها على حفظها
لشرفها ، كما أن فرحة الأهل بعذرية إبننتهم ما هو إلا دليل للقبول الإجتماعي
و الإنتماء للمرأة فعليا للمجتمع الذي برهنت له على حسن سلوكها وشرفها

" كان لعريس يصبغ للعروسة هدية نتاع الذهب
باش يشكرها على اللي حافظت على نفسها
وعلى شرفها و يكرمها بها ويبين لها بلي راهي
عزيزة عندو لخطرش كانت غير ليه وخلات روحها
نقية عفيفة و شريفة " (المقابلة رقم 20)

" كان العريس يقدم لزوجته هدية من ذهب في

صباح العرس حتى يشكرها على حفاظها على
نفسها و شرفها و يكرمها بها حتى يظهر لها أنها
عزيزة عنده لأنها كانت له فقط وتركت نفسها
شريفة عفيفة "

و بالنظر إلى هذه الهدية نجدها تعتبر ثمنا لتقديم المرأة نفسها للعريس يجازيها
به و يشكرها على إعطائه فرصة فض بكارتها و متعته بها و هبة الصباح هذه
كانت متواجدة عند أميرات أوروبا ، و بعد فض البكارة يخرج العريس إلى
اصدقائه و عالمه الذكوري ليتباهى بينهم بقوته الرجولية و الذكورية ففي مدينة
ندرومة كانوا و لا زال البعض يحضر جوقا موسيقيا يسمى " الهالة "، يقوم
بإحياء السهرة و خلالها تقدم النقود و يسمى هذا الطقس " بالغرامة " و يسمى
الشخص الذي يشهر بهذه النقود بالبراح " المنشط الأساسي يسمى البراح
ووظيفته تنشيط الحضور ليظهر في المزاد الهدف غير المعلن عنه و هو لجمع
و إسترجاع و لو قدر من النقود المصروفة في الحفلة " ، فهذا البراح يلعب
دورا أساسيا إذ هو الذي يحي في نفوس الحاضرين رغبة تقديم الغرامة، و بذلك
يحي روح التنافس بينهم كأنهم في مزاد علني و لكن الغرض الأساسي من ذلك
هو جمع تلك النقود لمساعدة العريس لإسترجاع جزء من نفقات العرس .

" كنا بكري نجيبو الهالة في العرس واحد
يغني مع الجوق نتاعو و يبرح و يحيي
الحفلة وما زال هذه العادة كايئة في ندرومة
حتى لأن كاين بزاف اللي يجيبو الهالة دروك

1- Faouzi Adel , La nuit de nocés ou la virilité piégée ,opcit, p6-7

راه إسماعيل الندرومي مشهور في لعراس "

(المقابلة رقم 05)

" كنا في الماضي نحيي العرس بفرقة موسيقية

والمغني كان يقوم بدور البراح ولازالت هذه

العادة موجودة في ندرومة حتى الآن إذ لازال

الكثير من الناس يجلبون هذه الفرق الموسيقية

و أصبح إسماعيل الندرومي مشهورا"

وخلال هذه الحفلة و أثناء قيام البراح بعمله يجمع نصيبا من النقود الذي يعتبر
كنوع من المساعدات و الهدايا المقدمة .

" كانوا الهدايا و مازالو ماشي موجودين في

لعراس لخطرش كي نديرو لغرامة هذيك

المساعدات تعوض الهدايا اللي يقدموها

للعريس على بيها حنا في ندرومة مازال

لدروك ما نديوش الكادو لخطرش في الغرامة

نحطو الدراهم " (المقابلة رقم 08)

"كانت الهدايا و مازالت غير موجودة في

الأعراس لأن الغرامة تعتبر مساعدات

وتعوض الهدايا التي تقدم للعريس لذلك نحن في

مدينة ندرومة لازلنا حتى يومنا هذا لا نأخذ الهدية

وإنما في الغرامة نضع النقود"

وفي مدينة وهران يخرج العريس ليجلس مع أصدقائه في نفس ظروف العريس في مدينة ندرومة وذلك تباها منه برجولته و فرحته بإتمام فض البكارة .

" كي يخرج لعريس القمجة ويعطيها لأمه
يخرج يسهر مع صحابه ويقعد حتى للصبح
باش يبين لهم بلي راه راجل و ثاني الفرحة
بروحو تخليه مقصر ومن بعد يدخل لبيته
بصح لعروسة تقعد في بيتها وما تخرجش
يدخلو عندها للبيت يشوفوها " (المقابلة رقم 18)
" لما يخرج العريس القماش الذي يحمل دم
البكارة يعطيه لأمه و يذهب ليسهر مع
أصحابه ويبقى حتى طلوع الصبح كي يبين
لهم أنه رجل وكذلك الفرحة بنفسه وقدرته وبعد
ذلك يدخل لغرفته ، أما العروس لا تخرج من
غرفتها ولا تبرحها بل يدخل الأهل إلى الغرفة
لرؤيتها "

و لكن إجتماع العالم الذكوري هو تعبير عن قوة خفية يتباهى بها هذا العالم قوة معبرة عن إمتداد للسلطة الذكورية التي هي من حق الرجال فقط " إن قانون الدم الذي تتحقق هوية الزوجة المغاربية من خلاله ما عاد فقط دليلا ماديا على جودة أنوثتها بل هو أيضا مناسبة تسمح لما هو ذكوري بالبروز فهو مكان يظهر فيه للعموم صلاحيته الإجتماعية و في الوقت نفسه قدرته الذاتية على الإنجاز " 1

ولكن حالياً رغم أنه بقي تابو البكارة يشكل ضرورة حتمية في طقس الزواج إلا أنه ولأن العراس أصبحت تقام في الصالات ، و لضيق الوقت كونها تقام في يوم واحد جمع فيه كل الطقوس فإن البكارة لم تفقد شرعيتها بل فقدت مدلولها، إذ أصبح العروسان يزفان أولاً قبل أن يقومان بطقس فض البكارة، إضافة إلى أنه أصبحت مسألة البكارة شخصية لا تتعدى الزوج و الزوجة و أفراد عائلتهم المقربين لا تعني الناس جميعاً. لذلك أصبح الزوج لا يشهر بها أمام الملاء خصوصاً و أن العروسان و بعد خروجهما من الصالة قد يتوجهان إلى فندق أو إلى بلد آخر لقضاء شهر العسل .

" دروك ما رهمش يورو لقمجة لخطرش هديك "

حاجة شخصية بين الزوجين أنا و مرتي رحنا

للفندق مورلعرس و ريحنا باش عاداك تمت

فض البكارة ماشي شرط هداك النهار لواحد

يكون عيان يريح و الدنيا ما تهريش وما شي

شرط يشوفوها الناس أنا المعني بالأمر كي

عرفت بلي مرتي شريفة ماكان علاه يعرفوها

الناس" (المقابلة رقم 12)

" حالياً أصبحوا لا يخرجون القماش الذي يحمل

دم البكارة لأنه أصبح مسألة شخصية بين الزوجين ،

أنا و زوجتي ذهبنا إلى الفندق يوم العرس إرتحنا

وبعد ذلك تم فض البكارة ليس شرطاً أن تقام العملية

في ذلك اليوم فالإنسان يكون تعب عليه أن يرتاح وليس

شرطاً أن يراها الناس أنا المعني بالأمر وحين عرفت

أن زوجتي شريفة فلا داعي أن يعرف ذلك الناس "

وعدم الإشهار في الوقت الحالي بالعدزية و التي أصبحت مسألة شخصية بين الزوجين أصحاب الشأن ذلك وعيا منهم بأن مسألة الزواج هي شخصية وكل ما يتعلق بها هو كذلك ، كما أن ذلك دليل على إستقلالية الأبناء عن كل ما هو يربطهم بالجماعة ليصبح شيئاً فردياً مما يكون القطيعة بالماضي .

" إبتاث العذرية ما يقاش يخص الناس راهي حاجة

بين الراجل و المرأة أنا كي تزوجت خبرت غير ما
وأختي بلي راني تهنيت بلا ما نوري لقمجة راجلي
ما بغاش قال السترة مليحة ماكان علاه يعرفو
الناس هاذ الصوالح بناتنا حتى واحد ما لازم يشوفهم
هاذو بين الراجل ومرتو صوالح الدار مشي لازم
يعرفوهم الناس" (المقابلة رقم 13)

" إبتاث العذرية أصبح مسألة شخصية وليس جماعية
مسألة تخص الزوجين ، أنا لما تزوجت أعلمت فقط
أمي و أختي بفض بكارتي ولم أريهم شيئاً لأن زوجي
رفض ذلك حيث إعتبر هذه المسألة شخصية لا داعي

أن يعرفها الناس لأنها من أسرار الزوجين "

و تسمى عملية فض البكارة بالدارجة " تهنات " و هي دليل على هناء العروس
و زوال قلقها و إطمئنانها بعد تأكدها من سلامة بكارتها و إبتاث شرفها .ولكن
حتى و لو لم يشهر بالبكارة حالياً لازالت تشكل مسألة ضرورية و مسألة إبتاث
هوية بالنسبة للمرأة و مسألة قدرة بالنسبة للرجل حتى ولو في سره و أمام
زوجته فهو يفتخر بقوته الذكورية .

ب- المحضر :

يأخذ المحضر في المجتمع الجزائري عدة تسميات " التصديرة " ، " التقييل " ، " الحزام " ، إذ أن لكل منطقة تسمية خاصة بها و لكن يبقى المظهر الإحتفالي بهذا اليوم نفسه و الهدف واحد في كل المناطق وهو تحزيم العروسة و لهذا اليوم طقوسه و عاداته الخاصة تختلف باختلاف المناطق ، و المتشابه فيه هو أن العروس في هذا اليوم ترتدي مختلف الألبسة و الأزياء و كأنها عارضة و الحزام هو اليوم الموالي ليلة الدخلة .

ففي مدينة ندرومة تدعو أم العريس كل النساء المعروفات و أقارب العروس لحضور حفل " التقييل " كما يسمونه في المنطقة، و لكن الملاحظ أن هذا الحفل لا تدعى له إلا النساء المتزوجات و ليس العازبات و يبدأ الإحتفال على الساعة الثانية زوالا .

" كنا نعرضوا النساء المتزوجات و كانت لعروسة

تبدل كسوتها و تلبس قاع صوالحها و الغدوة

منداك يولوا لا فامي نتعها باش يحضروا للحزام

نتاعها " (المقابلة رقم 01)

" كنا ندعو النساء المتزوجات و كانت العروسة تغير

ملابسها و ترتدي كل ما جلبته معها وفي اليوم

الموالي يعود أهلها بحضور حزامها"

ففي الماضي كان يوم التقييل غير يوم الحزام إذ في اليوم الأول ترتدي العروس ملابسها المتنوعة التي أتت بها من بيت والدها متباهية بما حملته معها، لتريه للناس ثم في اليوم الموالي يتم تحزيم العروس و تقوم غالبا بذلك عجوز تفاؤلا بها إذ تقوم بتحزيم العروسة بعمامة بيضاء على لباس تقليدي ما يسمى " الردا "

" حنا في عادتنا نحزموا لعروسة بالعمامة كي
تلبس الردا ومرا كبيرة هي اللي تحزم لعروسة
ومن بعد تكرمها لعروسة كانوا بكري يجيبو النساء
الطبلات باش يغنيو نهار الحزام نتاع لعروسة "

(المقابلة رقم 03)

" نحن في عادتنا تحزم العروسة بالعمامة بعد
إرتدائها لباس تقليدي وتقوم بذلك عجوز كبيرة
وبعد الحزام تكرمها العروسة كانوا في الماضي
يأتون بنساء مختصات في الطبل و الغناء لإحياء
حفل الحزام "

وفي حفل الحزام كانت تأتي أم العريس بما يسمى " الطبلات " وهن جوق
غنائي نسوي .

كما كانت تقدم حلويات و كانت مقتصرة على الكعك و المقروض و يطعمون
الكسكس .

أما حاليا أصبح الحزام و التقييل في يوم واحد إذ بعد إرتداء العروس لملابسها
تقوم عجوز بتحزيمها .

" دروك الحزام و التقييل راحنا نديرهم في نهار
واحد بصرح ما زلنا محافظين على عاداتنا و غير
المتزوجات اللي يجو " (المقابلة رقم 05)
" حاليا أصبحوا يقومون بكل الطقوس في يوم
واحد ولكن لازلنا محتفظين بنفس العادات و التقاليد

وتأتي فقط المتزوجات يوم الحزام "

أما في مدينة وهران فإنه يقام حفل المحضر أو التصديرة على نفس منوال مدينة ندرومة إذ بعد أن ترتدي العروس مختلف ألبستها تقوم عجوز أو أخ الزوج بتحزيمها .

" بعد ليلة الدخلة لافامي نتاع لعريس يديروا التحزام
باش يحزموا لعروسة يعرضوا فاميليتهم و شوية
من لافامي نتاع لعروسة و يجيبوا ولد صغير باش
يحزمها و تكون لابسة بلوزة بيضاء و لا الردا "

(المقابلة رقم 15)

" بعد الدخلة يقام حفل الحزام في بيت أهل العريس كي
يتم تحزيم العروس فيدعون العائلة و قليلا من أهل العروس
لحضور الحفل و يقوم ولد صغير بتحزيمها بعد أن ترتدي
لباسا أبيضاً أو ما يسمى بالردا وهي زي تقليدي "

فمن العادة في مدينة وهران أن يقوم بوضع الحزام للعروس ولد صغير أو أخو زوجها و إختيار الولد الصغير تفاؤلاً بأن يكون للعروس أبناء أما أخو الزوج فهو يمثل السلطة الذكورية التي تتدخل كموجود دائماً في كل إحتفالية أو مناسبة إذ ما يمثله أخو الزوج في المخيلة العامة يجعله ذو مكانة تؤهله إلى أن يقوم بهذه الأمور ، كما أن عادة الملاحق التي ترميها العروس تعطيها المخيلة عدة تفسيرات إرتباطاً بما هو سائد في إعتقادهم فمنهم من يعتقد فيها دلالة على بقاء العروس مجتمعة بأهل زوجها و منهم من يعتقد فيها أنها أولادها الذين ستنجبهم و لكن مهما اختلف مدلولها إلا أنها تبقى عادة متداولة بين العائلات و لا زالوا

يتمسكون بها .*

و لكن عندما ترمي العروس الحلويات فإنها بهذا التصرف تقوم بجعل الناس ينشغلون بجمعها فتصرف أعين الحساد عن النظر إليها حتى لا تصاب بالعين .
وذلك كله يكون بحضور الجوق الموسيقي الذي يسمى " المداحات "

و الملاحظ هو أن هذا الطقس الإحتفالي هو طقس أنثوي لا محالة لا مجال لتواجد الذكور فيه إذ و يرمز ذلك إلى تباهي النسوة و إفتخارهن بعفة العروس و طهارتها و إبتاث شرفها كما هو حفل تتبث من خلاله النساء مكانتهن في المجتمع فهو حفل لإبتاث الذات النسوية داخل مجتمع ذكوري يمتاز بالسلطة و القدرة ، ولكن في وقتنا الحاضر أصبحت الأعراس تقام في الصالات و أصبح الحزام يقام في يوم واحد مع ليلة العرس و أمام جمهور الذكور نتيجة الإختلاط الذي أصبحت تعرفه الأعراس و بعد ذلك يتقاسم العروسان كعكة العرس و هذه عادة تعود إلى قدماء اليونان و الرومان حيث كان الخاطبان يقتسمان كعكة مصنوعة من دقيق القمح و يقدم كل منهما قطعة إلى الآخر و هذا دليل على إقتسامهم الحياة الزوجية بمشاكلها و مسؤولياتها ثم توزع هذه الكعكة على المدعوين . و بعد إنتهاء طقس الحزام كانت تحدد والدة العريس يوماً تأخذ فيه العروس للحمام و بذلك تدعو أهل العروس في ذلك اليوم و يأخذن معهن الحلويات للحمام لتوزعها على النساء .

* أنظر الملاحق الصورة رقم 09

" الغدوة يدو لعروسة للحمام يعرضو بعض
الأهل و يدو معاهم القاتو و المشروبات يوزعوها
على الناس اللي فلحمام وتبدل تلبس بلوزة بيضاء
وتزوق روحها يسموه هذا حمام لعروسة وديره
عزوجتها ويخلصه راجلها " (المقابلة رقم 14)
" في اليوم الموالي يأخدون العروسة للحمام ويدعون
بعض الأهل و يأخدون معهم الحلويات و المشروبات
والتي يوزعونها على الناس في الحمام ثم ترتدي لباس
أبيض و تقوم بتجميل نفسها ويسمى هذا بحمام العروس
تقوم به حماتها و يدفع ثمنه الزوج"

وكان الحمام أحد الطقوس التي يحتفل بها في الزواج ، إذ من واجب أهل
العريس أخذ عروسهم الجديدة إلى الحمام .

" نهار من بعد كانت أم لعريس ترسل لأهل لعروسة
باش يجيو يديوها للحمام وترسل معاهم القاتو والمشروبات
باش يقدموها في الحمام وتقول لهم يجيو يشربو القهوة
و يتغداو مور الحمام عندها في الدار " (المقابلة رقم 01)
" بعد إنتهاء حفل الزفاف كانت أم العريس تدعو أهل
العروسة كي يحضروا لأخذها إلى الحمام وتعطيهم
الحلويات و المشروبات كي يقدمونها في الحمام ثم
تدعوهم لشرب القهوة عندها بعد العودة من الحمام "

و إن كانت هذه العادة موجودة لدى البعض بعض العائلات الندرومية و الوهرانية حاليا إلا أنها قليلة، إذ أصبحت الفتيات لا تترددن كثيرا على الحمام بل تفضلن القيام به في البيت خصوصا و أن المنازل العصرية مجهزة بحمامات عصرية أنيقة . و في مدينة ندرومة تقول العائلات أنه كانت هناك عادة مشهورة لديهم تسمى " بوسة الراس " إذ من خلالها يتعرف العريس على أهل زوجته من رجال و نساء، إذ تجمع أم العروس في بيتها كل أهلها و تدعو أهل العريس و إبنتها أي العروس ثم تجتمع النساء و الرجال كل في غرفة و يقوم أب العروس بتقديم كل رجال العائلة للعريس ثم نسائها . و هذه العادة هدفها تعرف العريس على أهل زوجته و يتقرب منهم حتى لا يصبح غريبا عنهم و يذهب عنه حيأؤه .

" بولعروسة يعرض بنته و لافامي نتاع راجلها باش
يجيو عنده و يعمل بوست راس و يتعرف العريس
على لافامي نتاع مراتو يدور عليهم وبوها يعرف
له كل واحد منهم الرجال ومن بعد النساء ويسلم
عليهم وتم يتعرف على أهل العروس باش يولي
ما يحشمش منهم و يدخلها عليهم "

(المقابلة رقم 09)

" أب العروسة كان يدعو إبنته و أهل زوجها كي يأتون
عنده و يتعرف العريس على أهل و عائلة زوجته حيث
يقوم أب العروس بتعريفه على كل فرد من العائلة رجال
ونساء فيسلم عليهم وفي هذا اليوم يصبح عضوا منهم إذ
يذهب عنه الحياء و يتعود عليهم "

وقد زالت هذه العادة في يومنا هذا حيث أصبحت العروس تزور أهلها أي وقت شاءت ، وذلك نتيجة ما وصلت إليه المرأة مع خروجها للعمل و الدراسة .

خلاصة الفصل :

يكشف الدور الوظيفي لممارسة العادات و التقاليد في أي بناء ثقافي خاص بالمجتمع عن حقيقة العلاقة بين نمو مختلف الظواهر الثقافية و تطورها، و بين العمليات الثقافية المتضمنة في الأنماط السلوكية التي يمارسها الأفراد الحاملين لهذه الثقافة ، و لما كان البناء الثقافي لأي مجتمع من المجتمعات يتعلق بتلك المجموعة من القيم و المعتقدات و الأفكار و موجهاً السلوك التي يتشربها الأفراد في حياتهم من خلال عملية التنشئة الإجتماعية ، فقد تضمن البناء الثقافي للجماعات الندرومية و الوهرانية على الكثير من العادات و التقاليد و التي ينظر إليها على أنها تمثل جوانب أساسية في إستمرار النمط الثقافي المتميز داخل بنية تلك الجماعات . و ذلك لما تنطوي عليه من أدوار و وظائف بنائية هامة يتأثر بها مجمل البناء الثقافي في حالة عدم ممارستها و أدائها ، و قد يسبب ذلك أحيانا إختلال في جوهر تلك الثقافة نظرا لإرتباط تلك الممارسات و السلوكات بالحياة العائلية و البناء الإجتماعي . و حتى و إن دخلت بعض العصرية على تلك الممارسات فإنها مستمرة لحفظ الكيان الثقافي و الإجتماعي و بالتالي الحفاظ على الهوية الثقافية و الإجتماعية .

خاتمة عامة :

تتعرض الهوية العربية الإسلامية إلى مجموعة من التناقضات و الرهانات الثقافية التي تمارس عليها ضغطا من أجل إعادة صياغتها و تحويلها و ذلك في إطار إعادة إنتاج الثقافات تحت إسم الحداثة .مما أنتج صراع هويتي قيمي و معياري جعل العائلة تتخبط في صراع بي- ثقافي ظل فيه الفرد يبحث عن هويته الحقيقية قصد إثبات ذاته و يعيش صراعات تفرض عليه العودة إلى الماضي و معايشة التحديث في آن واحد ، في إطار الإعتزاز بالتراث الشعبي لأنه ضمان لكيان العائلة و إستمرارية المجتمع و بقائه .لأن التراث الشعبي لأي مجتمع هو أساس قيامه لأنه الضابط لسلوكيات الأفراد و الموجه لهم من خلال عملية التنشئة الإجتماعية و التي بواسطتها يتم تناقل هذا التراث ، ومع تناقله تمكنت العائلة أن تنقل لأفرادها تلك العادات و التقاليد التي تنسبت بها و لها خصوصيتها والتي تحاول من خلالها أن تحقق الإنتماء للجماعة و الارتباط بها، مما يحفظ تماسك أعضائها . و لأن العادات الإجتماعية تنبثق من حاجات الناس لذلك فحركية العائلة دائما تفرز عادات و تقاليد تضمن بها إستمرارها داخل المجتمع و تؤكد بها ذاتها، إذ أن مقياس الحضارة و هوية العائلة هي بمقدار ما تنتج من عادات و تقاليد التي تعمل العائلة على تعزيزها في نفسية أفرادها عن طريق عملية التنشئة الإجتماعية و الثقافية و جعلها مقياسا لضبط الذات و حماية الهوية الثقافية و الإجتماعية ،التي تكون مرجحة للتعرض لإهتزازات نتيجة ما يعرفه المجتمع من تؤد مؤد إلى الحداثة . و في إطار ذلك كله حاولت العائلة الوهرانية و الندرومية الحفاظ على عاداتها و جعلها تساير الحاضر و تواكبه كما تمكنت من تكييف ماضيها و حاضرها في مجال ممارسة العادات و التقاليد المتعلقة بالزواج و الختان، و ذلك بإعطائها طابع العصرية وفق ما تعيشه العائلة من تغيرات في بنيتها ووظائفها، لأن هذه العادات و التقاليد تشكل في الواقع أحد المكونات الأساسية للثقافة و جزء هام من التراث الإجتماعي

و الثقافي خوفا منها على فقدان هويتها و ذاتها و بحثا داخلها على الأمن و الإطمئنان مما يعرفه المجتمع في إطار عملية التحضر و التغيير . مما يؤكد قدرة الملامح الثقافية على الانتقال من جيل لآخر و من بينها العادات و التقاليد و التي تحتفظ بكيانها و إن مسّ المجتمع بعض التغيير ، فإن هذه العناصر تبقى مستمرة و لكن بطابع يتناسب مع الظروف الإجتماعية للعائلة و المجتمع . و تتحكم في ذلك عدة عوامل كإنتقال الحياة الإجتماعية بمختلف مظاهرها و تحولها من البساطة إلى التعقيد خصوصا مع ظهور الحضرة التي أدت إلى تحول كبير في الأنماط السلوكية مع تغير بنية الأسرة من ممتدة إلى نووية حيث أصبحت هذه الأخيرة تتقبل الحياة الحضرية و تندمج معها و جعلها تختار أنماطا سلوكية جديدة تتناسب مع حياتها المتغيرة ، هذا التغيير في الأنماط السلوكية يعود إلى عملية الإنحلال في البناء الإجتماعي و الثقافي المقيد للأفراد خصوصا بعد إنفصالهم عن الأسرة الممتدة ، كما أن المستوى المعيشي يؤدي إلى التخلي عن بعض العادات المكلفة أو الحفاظ على أخرى تقل تكلفتها، إضافة إلى الشكل المعماري للمنازل و الذي أصبح بشكل أو بآخر يتحكم في ممارسة العادات و التقاليد إذ أصبح المعمار يضبط عامل الوقت حيث تقلص زمن الإحتفالات من 7 أيام إلى يوم واحد في الختان و الزفاف، خصوصا في مدينة وهران حيث أصبحت الأعراس تقام في الصالات عوض البيت الذي أصبح ضيقا بمقتضى عملية التحضر و الأبنية الجديدة في حين و بالمقابل لا زالت العائلة الندرومية تفضل القيام بأفراحها في البيت نظرا للشكل المعماري للمنازل الندرومية ، كما تلعب الهجرة من منطقة لأخرى دورا كبيرا في تغير العادات و الحفاظ عليها حيث تؤدي الهجرة إلى إمتزاج العادات التي يحملها الفرد المهاجر الحامل لثقافة مجتمعه و طرحها على المجتمع الجديد، و تبنيه لعادات و تقاليد هذا المجتمع و تمثله لقيمه التي تتناسب مع الظروف الإجتماعية للجماعة الجديدة الوافد إليها و قد لعبت الهجرة دورا أساسيا في تغيير الكثير من مظاهر الحياة

و النظم الإجتماعية و الثقافية و الطقوس الإحتفالية في مناسباتي الختان و الزواج حيث أن الإنتقال إلى منطقة جديدة و مجتمع جديد يحمل قيما و معايير جديدة تختلف عن معايير الجماعة التي ينتمي إليها الفرد، إذ تمثل هذه الجماعة الرقيب على سلوكيات الأفراد مما أدى إلى ضعف الروابط الإجتماعية بين الفرد و جماعته و بالتالي ضعف الضبط الإجتماعي التي تمارسه تلك الجماعة على سلوك أفرادها. لذلك تتغير العادات و التقاليد عندما يهاجر الفرد من منطقة لأخرى لأنه دائما يبحث عن سبل التكيف مع المجتمع الجديد ، و خروج المرأة للعمل ساعد على إثبات التغيير في ممارسة العادات و التقاليد كما له دور في نقل هذه العادات إلى الأجيال اللاحقة، إذ بعدما كانت الأم هي الحاملة للتراث و الحريصة عليه من خلال عملية التنشئة الإجتماعية فإنه أصبحت تشاركها في ذلك عدة مؤسسات أخرى تعمل على تربية الطفل و تنشئته . و بذلك تتغير عملية نقل التراث ، و لكن السبب الرئيسي في تغير بعض العادات يعود إلى عامل التباهي الذي أصبحت تتبناه جل العائلات في حياتها و النابع عن الرغبة في التجديد تحت إسم الموضات . ويمكن تحديد هذه العوامل المساهمة في تطور و تغير العادات فيمايلي :

- نشأة المدن و هجرة الأفراد إليها جعلهم يتخلصون من الحياة الريفية حيث كان الخضوع لسلطة الدين و العرف و العادات و التقاليد ، و بالتالي تغير الإطار المرفولوجي العام الذي كان يطبع حياة الأسرة .
- تقدم وسائل الإتصال و تعددها حيث أدى ذلك إلى الإحتكاك الإجتماعي و التداخل بين مختلف الأشكال الإجتماعية لذلك تغيرت العادات و التقاليد .
- تطور نظم الإنتاج و ظهور الوظيفة التي أدت إلى الإستقلالية الذاتية .
- ظهور المرأة و بروزها كعامل فعال و عنصر منتج يساعد الرجل في مختلف شؤون الحياة .

- العامل الثقافي الحضري الذي أدى إلى إنتشار الثقافات و تبادل الحضارات و تفاعلها حيث تطورت نظم الأسرة و مظاهر الحياة فتغيرت العادات و التقاليد و سايرت التطور الثقافي و الحضاري.

فسرعة إيقاع الحياة و تفكك الترابط الأسري القديم و ضعف العلاقات القرابية الواسعة و تغير الهيكل الإجتماعي للمدن أدى إلى تغيير العادات و التقاليد ، و أفرز تغير عادات و تقاليد الزواج و الختان الناتجة عن تغير الظروف الإجتماعية و الإقتصادية العامة للمجتمع .

و عوما فإن العائلة الوهرانية و الندرومية عملت على الحفاظ على بعض عاداتها و تقاليدها بما يلائم ظروفها الإجتماعية الحالية، من خلال إدخال بعض العصرية عليها حتى تواكب الحضرية و الحداثة التي يعرفها المجتمع و من أجل أن تحافظ على هويتها الجمعية في إطار المحافظة على تراثها و ثقافتها. و بذلك تصبح هذه التقاليد المسير الحقيقي و الضابط للسلوكيات العامة للأفراد من أجل تحقيق الإنتماء الإجتماعي و تحقيق التماسك العام و خوفا من التهميش الإجتماعي، حيث أصبح الشباب حاليا يدأب على القيام بهذه العادات و التقاليد إحتراما للجيل القديم و لكن بطرق جديدة تتناسب مع مبادئ الحداثة و لا تتنافى مع قيم الجيل السابق . و من هنا يظهر حتى و إن غير الوسط الحضري من بعض الأنماط السلوكية و الفكرية إلا أن الفرد داخله دائما يجد الوسائط التي تمكنه من التكيف مع وضعيته الجديدة للحفاظ على إنتمائه ، الأمر الذي يؤدي إلى ظهور البدائل و يجعل من التراث كيان متغير و غير مستمر له طابع إعادة الإنتاج .

المراجع

قائمة المراجع :

المراجع باللغة العربية

- 1- أبو شعيرة خالد محمد ، غباري ثائر أحمد ، الثقافة و عناصرها ، مكتبة المجتمع العربي للنشر و التوزيع ، عمان ، 2008
- 2- أبو طاحون عدلي ، التغير الإجتماعي ، المكتب الجامعي الحديث ، الإسكندرية ، 2008
- 3- أبو العينين بدران بدر ، أحكام الزواج و الطلاق في الإسلام ، دار المعارف ، الإسكندرية ، 1966
- 4- أبو زيد أحمد ، البناء الإجتماعي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الإسكندرية ، 1976
- 5- ابن خلدون عبد الرحمان ، المقدمة ، كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر ، الدار التونسية ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984
- 6- إبراهيم محمد عباس ، التحديث و التغيير دراسة في مكونات القيم الثقافية ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 2009
- 7- إبراهيم محمد عباس ، التحديث و التغيير في المجتمع القروي ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 2006
- 8- الأخرس صفوح محمد ، تركيب العائلة العربية ووظائفها ، دراسة ميدانية لواقع العائلة في سوريا ، منشورات وزارة الثقافة و الإرشاد القومي ، دمشق ، 1980
- 9- البعيني حسن أمين ، عادات الزواج و تقاليد في لبنان ، بيسان للنشر و التوزيع ، بيروت ، 1998
- 10- الترماني عبد السلام ، الزواج عند العرب في الجاهلية و الإسلام ، دراسة مقارنة ، عالم المعرفة ، الكويت ، 1984
- 11- الجوهري محمد ، علم الفلكلور ، دراسات في الأنثربولوجيا الثقافية ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1988

- 12- الجوهري محمد ، شكري علياء ، دراسات في علم الاجتماع الريفي والحضري ، دار الكتاب للتوزيع ، الإسكندرية ، 1979
- 13- الجوهري محمد ، شكري علياء ، الدراسة العلمية للعادات و التقاليد الشعبية (دورة الحياة) ج3 من دليل العمل الميداني الجامعي ، التراث الشعبي ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1993
- 14- الجابري محمد العابد ، حنفي حسن ، إشكالية التراث و الحداثة في الفكر العربي المعاصر ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، بدون تاريخ
- 15- الحسن إحسان محمد ، علم الاجتماع العائلي ، دار وائل للنشر ، الأردن ، 2005
- 16- الحسن إحسان محمد ، العائلة و القرابة و الزواج ، دار الطليعة ، بيروت ، 1981
- 17- الحسن عيسى ، موسوعة الحضارات ، الأهلية للنشر و التوزيع ، بيروت ، 2007
- 18- الخولي سناء ، الأسرة و الحياة العائلية ، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ، 1987 ،
- 19- الخولي سناء ، التغير الاجتماعي و التحديث ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 2003
- 20- الخولي سناء ، الأسرة و الحياة العائلية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1984
- 21- الخشاب أحمد ، الضبط الاجتماعي أسسه النظرية و تطبيقاته العلمية ، مكتبة القاهرة الحديثة ، القاهرة ، 1968
- 22- الخشاب مصطفى ، علم الاجتماع و مدارسه ، تاريخ الفكر الاجتماعي و تطوره ، مطبعة لجنة البيان العربي ، القاهرة ، 1957
- 23- الخشاب سامية مصطفى ، النظرية الاجتماعية و دراسة الأسرة ، الدار الدولية للإستثمارات الثقافية ، القاهرة ، 2008

- 24-الدسوقي كمال ، الإجتماع و دراسة المجتمع ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 1976
- 25- الرشدان عبد الله ، علم الإجتماع التربوية ، دار الشروق للنشر و التوزيع ، الأردن ، 2004
- 26- الزعبي محمد أحمد ، التغير الإجتماعي ، دار الطليعة للطباعة و النشر ، بيروت ، 1978
- 27- الزاقوت عطا الله ، العادات و التقاليد في جبل العرب ، منشورات دار علاء الدين ، دمشق ، 2000
- 28- السويدى محمد ، مفاهيم علم الإجتماع الثقافى و مصطلحاته ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1991
- 29- الساعاتى سامية حسن ، الإختيار للزواج و التغير الإجتماعي ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر ، بيروت ، 1984
- 30- الساعاتى سامية حسن ، الشباب العربي و التغير الإجتماعي ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، 2003
- 31- الساعاتى حسن ، علم الإجتماع القانوني ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 1968
- 32- الشرقاوي عفت ، في فلسفة الحضارة الإسلامية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، 1985
- 33- الصالح مصلح ، الضبط الإجتماعي ، الوارق للنشر و التوزيع ، الرदन ، 2004
- 34- الطنوبي محمد عمر ، التغير الإجتماعي ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، 1995
- 35- العمر معن خليل ، التغير الإجتماعي ، دار الشروق للنشر و التوزيع ، الأردن ، 2004
- 36- العمر معن خليل ، الضبط الإجتماعي ، دار الشروق للنشر و التوزيع ، الأردن ، 2006

- 37-العمر معن خليل ، علم الإجتماع الأسرة ، دار الشروق ، عمان ، 1994
- 38- العنتيل فوزي ، الفلكلور ما هو ؟ دراسات في التراث الشعبي ، دار المسيرة ، القاهرة ، 1987
- 39- الوردي علي ، طبيعة المجتمع العراقي ، بغداد ، 1965
- 40- بييري الوحيشي أحمد ، الأسرة و الزواج ، مقدمة في علم الإجتماع العائلي ، الجامعة المفتوحة ، الجماهيرية العظمى ، 1998
- 41- بتفنوشت مصطفى ، ترجمة دمري أحمد ، العائلة الجزائرية التطور و الخصائص الحديثة ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1984
- 42- باساغانا ، ترجمة أبو عبد الله غلام الله ، مبادئ في علم النفس الإجتماعي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1983
- 43- بيومي محمد أحمد ، عفاف عبد العليم ناصر ، علم الإجتماع العائلي ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 2003
- 44- بومخلوف محمد ، التحضر ، شركة دار الأمة ، الجزائر ، 2011
- 45- بن نابي مالك ، ترجمة عبد الصبور شاهين ، مشكلة الثقافة ، مطبعة الجهاد ، القاهرة ، 1959
- 46- تركي عبد الفتاح موسى ، البناء الإجتماعي للأسرة ، المكتب العالمي للنشر و التوزيع ، بدون تاريخ ،
- 47- حبيب رفيق ، في فقه الحضارة العربية الإسلامية ، إحياء التقاليد العربية ، دار الشروق للنشر و التوزيع ، الردين ، 2003
- 48- حسن محمود ، رعاية الأسرة ، دار الكتب الجامعية ، الإسكندرية ، 1977
- 49- ذياب فوزية ، القيم و العادات الإجتماعية مع بحث ميداني لبعض العادات ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1980
- 50- رشوان حسين عبد الحميد أحمد ، المجتمع ، دراسة في علم الإجتماع ، المكتب الجامعي الحديث ، الإسكندرية ، 2005

- 51- رشوان حسين عبد الحميد أحمد ، الثقافة دراسة في علم الاجتماع الثقافي ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، 2006
- 52- رشوان حسين عبد الحميد أحمد ، التربية و المجتمع ، دراسة في علم الاجتماع التربوي ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، 2005
- 53- رشوان حسين عبد الحميد أحمد ، المدينة ، دراسة في علم الاجتماع الحضري ، المكتب الجامعي الحديث ، الإسكندرية ، 1982
- 54- روشيه غي ، ترجمة دندشلي مصطفى ، مقدمة في علم الاجتماع العام ، الفعل الإجتماعي ، مكتبة الفقيه ، بيروت ، 2002
- 55- سعد عبد الحميد محمود ، المدخل المورفولوجي لدراسة المجتمع الريفي ، دار الثقافة للطباعة و النشر ، القاهرة ، 1980
- 56- شرابي هشام ، مقدمات لدراسة المجتمع العربي ، الأهلية للنشر و التوزيع ، بيروت ، 1977
- 57- شريف فاتن محمد ، الثقافة و الفلكلور ، دار الوفاء للطباعة و النشر ، الإسكندرية ، 2008
- 58- شتا السيد علي ، البناء الثقافي للمجتمع ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، 1995
- 59- شريف فاتن محمد ، الأسرة و القرابة ، دراسات في الأنثربولوجيا الإجتماعية ، دار وفاء لنديا الطباعة و النشر ، الإسكندرية ، 2006
- 60- شكري علياء ، الإتجاهات المعاصرة في دراسة الأسرة ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، بدون تاريخ
- 61- شبال مالك ، ترجمة عبد الله زارو ، الجنس و الحريم روح السراري ، السلوكات الجنسية المهمشة في المغرب الكبير ، أفريقيا الشرق ، المغرب ، 2010
- 62- طواليبي نور الدين ، الدين و الطقوس و التغيرات ، ترجمة البعيني وجيه ، منشورات المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1988

- 63- عطوي جودت عزت ، أساليب البحث العلمي ، مفاهيمه أدواته و طرقه الإحصائية ، الدار العلمية الدولية و دار الثقافة للنشر و التوزيع ، عمان ، 2000،
- 64- عماد عبد الغني ، سوسيلوجيا الثقافة ، المفاهيم و الإشكاليات من الحداثة إلى العولمة ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، 2006
- 65- عبد السلام سيهام ، ختان الذكور بين الدين و الطب و الثقافة و التاريخ ، رؤية للنشر و التوزيع ، القاهرة ، 2006
- 66- عبد العاطي سيد ، علم الإجتماع الحضري ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1995
- 67- عامر مصباح ، علم الإجتماع الرواد و النظريات ، دار الأمة للطباعة و النشر ، الجزائر ، 2005
- 68- عدنان رانيا ، بسام رشا ، التنشئة ، دار البداية ، عمان ، 2006
- 69- عبده محمد ، شريف فاتن محمد ، التراث الشعبي ، دراسة ميدانية في مجتمعات ريفية و بدوية ، دار الوفاء لندنيا للطباعة و النشر الإسكندرية ، 2007
- 70- غنيم محمد أحمد ، الضبط الإجتماعي و القانون العرفي ، دراسة في الأنثربولوجيا الإجتماعية ، عين للدراسات و البحوث الإنسانية و الإجتماعية ، 2008
- 71- غيث محمد عاطف ، دراسات إنسانية و إجتماعية ، دار المعارف ، القاهرة ، 1965
- 72- غيث محمد عاطف ، الموقف النظري في علم الإجتماع ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1977
- 73- غيث محمد عاطف ، علم الإجتماع الحضري ، مدخل نظري ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1979
- 74- غنيم رشاد ، التكنولوجيا و التغير الإجتماعي ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 2008

- 75- قباري محمد إسماعيل ، علم الاجتماع الحضري ومشكلات التجهيز والتغير والتنمية ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، 1986
- 76- كوش دنيس ، ترجمة السعيداني منير ، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية ، مركز دراسات الوحدة العربية ، 2007
- 77- لشرف مصطفى ، الجزائر ، الأمة ، المجتمع ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1983
- 78- لبيب الطاهر ، سوسيلوجية الثقافة ، دار محمد علي الحامي للنشر ، صفاقس ، 1988
- 79- ليلة علي و آخرون ، التغير الاجتماعي والثقافي ، دار المسيرة ، عمان ، 2010
- 80- ليش إدموند ، ستروس كلود ليفي ، البنوية مشروعها الأنثربولوجي ، ترجمة شاكر ديب ، دار النهضة العربية ، ط1 ، بيروت ، 1985
- 81- محجوب محمد عبده ، مقدمة في الإتجاه السوسيو – أنثربولوجي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الإسكندرية ، 1977
- 82- مصطفى فاروق أحمد ، بنية الثقافة العربية ، الأنثربولوجيا الثقافية ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 2007
- 83- محمد حسن عبد الباسط ، علم الاجتماع ، مكتبة غريب ، القاهرة ، 1982
- 84- مصطفى فاروق أحمد ، الأنثربولوجيا و دراسة التراث الشعبي ، دراسة ميدانية ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 2008
- 85- مجموعة من الباحثين و بإشراف الجوهري محمد ، التراث الشعبي في عالم متغير ، دراسات في إعادة إنتاج التراث ، عن الدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية ، الإسكندرية ، 2007
- 86- نخبة من المختصين ، علم الاجتماع الأسري ، الشركة العربية المتحدة للتسويق و التوريدات ، القاهرة ، 2008
- 87- نصر علاء علي حسين ، ختان الإنانث ، دراسة مقارنة في الفقه الإسلامي و القانون الوضعي ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، 2008

المعاجم باللغة العربية :

- 1- البستاني فؤاد إفرام ، منجد الطلاب ، دار المشرق ، بيروت ، لبنان ،
1973
- 2- دينكن ميشل ، ترجمة الحسن إحسان محمد ، معجم علم الاجتماع ، دار
الطبعة للطباعة و النشر ، بيروت ، 1981
- 3- هولتركرانس إيكه ، ترجمة الجوهري محمد ، الشامي حسن ، قاموس
المصطلحات الأنثربولوجيا و الفلكلور ، المفاهيم العامة في الإثنولوجيا ، دار
المعارف ، القاهرة ، 1973

المجلات و الدوريات :

- 1- بومخلف محمد ، نمط الأسرة الجزائرية و محدداته دراسة إحصائية و
تحليل نظري ، التغييرات الأسرية و التغييرات الاجتماعية ، فعاليات الملتقى
التالث لقسم علم الاجتماع 20-21 يناير 2004 منشورات كلية
العلوم الاجتماعية و الإنسانية ، جامعة الجزائر 2005-2006 ، العدد 02 ،
سلسلة الوصل .
- 2- سعدي محمد ، العائلة عاداتها و تقالدها بين الماضي و الحاضر ظاهرة
الإحتفالية بالأعياد نموذجاً ، مجلة إنسانيات ، العدد 04 ، جانفي – أبريل
1998،
- 3- سكار جينيسكا كريستينا ، وحدة التراث الشعبي العربي مدخل تاريخي
للوحدة العربية الملامح العربية المشتركة في الزواج ، التراث الشعبي ، مجلة
شهرية تصدر عن وزارة الثقافة و الإعلام ، دار الجاحظ ، العراق ، العدد 10 ،
1980
- 4- الكتاني محمد ، العادات و التقاليد و الهوية الوطنية ، العادات و التقاليد في
المجتمع المغربي ، ندوة لجنة القيم الروحية و الفكرية ، مطبوعات أكاديمية
المملكة المغربية ، سلسلة ندوات مطبعة المعارف الجديدة ، 2008
- 5- مسعودي أم الخير ، عادات و تقاليد الزواج في الأسرة الجزائرية ، مجلة
آفاق لعلم الاجتماعية ، العدد 01

6- حمدوش رشيد ، الأسرة و عملية التواصل الإجتماعية محاولة لتحديد مفهوم الأسرة ، التغييرات الأسرية و التغييرات الإجتماعية ، فعاليات الملتقى الثالث لقسم علم الإجتماع ، 20-21 يناير 2004 ، منشورات كلية العلوم الإجتماعية و الإنسانية ، جامعة الجزائر ، 2005-2006 ، العدد 02 ، سلسلة الوصل .
الرسائل و الأطروحات باللغة العربية :

1- إسعد فايزة ، المدينة و المقدس ، مدينة وهران و أولياؤها نموذجاً ، رسالة ماجستير في علم الإجتماع ، جامعة وهران ، 2007

2- حمداوي محمد ، البنيات الأسرية و متطلباتها الوظيفية في منطقة بنى سنوس في النصف الأول من القرن العشرين قرى العزائل نموذجاً ، دكتوراه دولة في، علم الإجتماع ، جامعة وهران ، جوان 2005

3- حيرش بغداد ليلي أمال ، المرأة و التحولات الحضرية ، رسالة ماجستير في علم الإجتماع ، جامعة وهران ، 2007

- 1- BALANDIER (G) ,Anthropologiques , librairie générale française , Paris,1985
- 2- BERGROS BAWIN (B), STASSEN(J F) Sociologie de la famille, le lien familial sous questions, Deboeck université , ouvertures sociologiques ,Paris, 1996
- 3- BOUHADIBA (A) ,Sexualité en islam , Puf,Paris, 1975
- 4- BOURDIEU(P) , Le sens pratique, le sens commun , maison des sciences de L'homme , éditions de Minuit , Paris , 1980
- 5-CHEBEL(M), L'imaginaire arabo- musulman , Puf ,Paris, 1993
- 6- DIB MAROUF(C) , Fonctions de la dot dans la cité algérienne le cas dune ville moyenne Tlemcen etson hawz , collection Almoujtamaa , Opu , Alger , 1984
- 7- FREUD (S) ,Moise et le monothéisme , éd. Gallimard ,Paris, 1967
- 8- GOFFMAN(E) ,La mise en scène de la vie quotidienne , les relations en publique , Les editions de Minuit,Paris , 1973
- 9- GRAF MEYER (Y) ,Sociologie urbaine , Nathan ,Paris , 1994
- 10- GRAWITZ(M) , Lexique des sciences sociales , éd. Dalloz , 7eme édition , Paris,1999.
- 11- HALBWACHS (M), La mémoire collective ,2eme edition, Presses universitaires de France , Paris , 1968
- 12- KATEB(k), La fin du mariage traditionnel en algerie 1876-1998,une exigence d'égalité des sexes ,ed Bouchénes,Alger,2001
- 13- LACOSTE DU JARDIN(C) , Des mères contre desfemmes , éd. Bouchène , Alger , 1990
- 14- LALLEMENT(M) ,Histoire des idées sociologiques des origines a Weber , 3eme édition Armand colin édition , Paris , 2006

- 15- LALONDE(M) , Comprendre la société , ridact sociologie ,Paris, 1994
- 16- LINTON(R) , De L'homme , le sens commun , traduction Yvette delant , les éditions de Minuit ,Paris , 1967
- 17- MAUSS(M) ,Les fonctions sociales du sacré , ed Minuit , Paris , 1968
- 18-MOUSSAOUI (A) ,Logiques du sacre et modes d'organisation de l'espace dans le sud- ouest algérien , CNRS édition , Paris , 2002
- 19- MUMFORD(L) , La cité à travers l histoire, traduit par Guy Gérard Durand , édition Le seuil ,Paris, 1961
- 20-- PRITCHARD(E), La femme dans les sociétés primitives et autres essais d'Anthropologie sociales , traduction Claude rivièrè , Puf ,Paris, 1971
- 21- REYSSO(F),Pèlerinage au Maroc , éditions de la maison des sciences sociales , Paris , 1991
- 22- ROCHER (G) ,Introduction a la sociologie générale l'action sociale , t1 éd. HMH, Montréal, 1968
- 23- ROCHER (G) ,Introduction a la sociologie générale, l'organisation sociale ,t2, edition HMH , Montréal, 1968
- 24-TILLON(G) , Le harem et les cousins , éd. le seuil , Paris , 1966
- 25-TOUALBI(N) , La circoncision blessure narcissique ou promotion sociale , entreprise nationale du livre , Alger , 1983
- 26- WEBER(M) , Le savant et le politique , Plon , Paris , 1959

المجلات و الدوريات باللغة الفرنسية :

- 1- ADEL(F) , La nuit de noces ou la virilité piégée , Insaniyat , n°4 , janvier – avril ,Crasc, Oran, 1998.

2- ADEL(F) , La crise du mariage en algerie,, Insaniyat , n°4 , janvier – avril ,Oran ,Crasc, 1998.

3-DURKHEIM (E) , La famille conjugale , revue philosophique , janvier – fevrier , Paris , 1921

4- RIVIERE (C) ,Pour une théorie du quotidien ritualisé , la ritualisation du quotidien , Ethnologie française XXVI ,Armand colin , Paris , 1996

الملتقيات باللغة الفرنسية :

1- BOUHADIBA(A) et CHEVALLIER(D) , La ville arabe dans l'islam , histoire et mutations , actes du 2eme colloque de l'a.t.p.,1979

المعاجم باللغة الفرنسية :

1-SUMF (J) , et HUGES(M) , Dictionnaire de sociologie , librairie Larousse , Paris , 1973

الملاحق

دليل المقابلة :

السن :

الجنس:

المستوى التعليمي :

الأصل الجغرافي :

- ماهي الكلمات المستخدمة للتعبير عن الختان في المنطقة ؟ لماذا ؟
- إلام يرمز الختان لديكم ؟
- ماهي الأوقات التي يتم فيها ؟
- من يقوم بهذه العملية عادة ؟
- ماهي مظاهر الإحتفال بالختان و العادات المصاحبة لها ؟
- ماذا يمثل الزواج لديكم ؟
- ماهي عادات الزواج لديكم ؟
- هل مازلتم تحافظون على هذه العادات ؟ (إختيار العروس ، مدة العرس ، المهر ، الخطبة ، مكان إقامة العرس ، ليلة الحناء و الدخلة)
- ما هو الشيء الذي تغير فيها ؟ لماذا ؟
- من هو الحريص على القيام بهذه العادات القديمة ؟
- هل لازالت الأم تحرص على القيام بهذا الدور في نقل العادات و التقاليد ؟
- هل تناسبكم العادات الجديدة في حفل الزواج ؟لماذا ؟
- وإن قمتم بالعادات القديمة ما السبب الذي يدفعكم إلى ذلك ؟
- ماهو الشيء الذي جعل هذه العادات تتغير ؟

معطيات المقابلة الميدانية :

رقم المقابلة	السن	الجنس	المستوى التعليمي	الأصل الجغرافي	مكان الإقامة
المقابلة رقم 01	54 سنة	أنثى	إبتدائي	ندرومة	ندرومة
المقابلة رقم 02	62 سنة	أنثى	متوسط	ندرومة	ندرومة
المقابلة رقم 03	77 سنة	أنثى	إبتدائي	ندرومة	ندرومة
المقابلة رقم 04	38 سنة	أنثى	ثانوي	ندرومة	ندرومة
المقابلة رقم 05	48 سنة	أنثى	ثانوي	ندرومة	ندرومة
المقابلة رقم 06	59 سنة	ذكر	ثانوي	ندرومة	ندرومة
المقابلة رقم 07	62 سنة	ذكر	إبتدائي	ندرومة	ندرومة
المقابلة رقم 08	88 سنة	ذكر	تعليم قرآني	ندرومة	ندرومة
المقابلة رقم 09	67 سنة	ذكر	متوسط	ندرومة	ندرومة
المقابلة رقم 10	50 سنة	ذكر	ثانوي	ندرومة	وهران
المقابلة رقم 11	35 سنة	أنثى	ثانوي	شرشال	وهران
المقابلة رقم 12	32 سنة	ذكر	ثانوي	وهران	وهران
المقابلة رقم 13	30 سنة	أنثى	جامعي	ندرومة	وهران
المقابلة رقم 14	72 سنة	أنثى	إبتدائي	تلمسان	وهران
المقابلة رقم 15	70 سنة	أنثى	متوسط	وهران	وهران
المقابلة رقم 16	34 سنة	أنثى	جامعي	غليزان	وهران

وهراڻ	وهراڻ	إبتدائي	أنثى	69سنة	المقابلة رقم 17
وهراڻ	مستغانم	ثانوي	ذكر	52سنة	المقابلة رقم 18
وهراڻ	القلعة	جامعي	ذكر	48سنة	المقابلة رقم 19
وهراڻ	سيدي بلعباس	ثانوي	ذكر	74سنة	المقابلة رقم 20



الصورة رقم 01



الصورة رقم 02



الصورة رقم 03



الصورة رقم 04



الصورة رقم 05



الصورة رقم 06



الصورة رقم 07



الصورة رقم 08



الصورة رقم 09



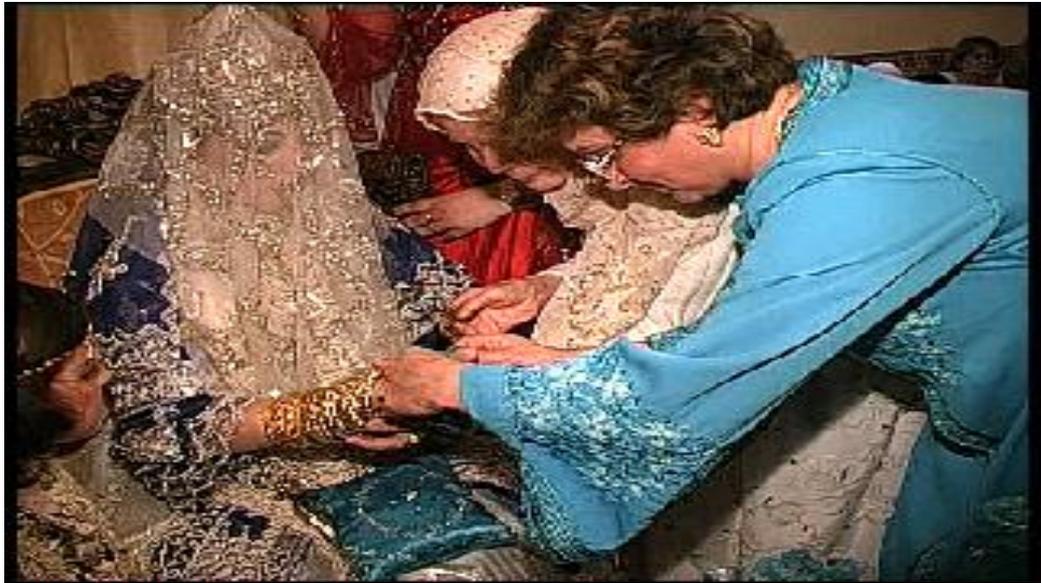
الصورة رقم 10



الصورة رقم 11



الصورة رقم 12



الصورة رقم 13



الصورة رقم 14

الملخص

تعتبر العادات و التقاليد إرثا اجتماعيا – ثقافيا لأي مجتمع يتمكن من خلالها الحفاظ على إستمراريته ، تتوارثها الأجيال كلغة رمزية تمكنهم من الاتصال على مر العصور كما تعبر عن هويتهم الجماعية ، وتشكل عاملا أساسيا لتوحيد الذهنيات حول مبدأ المحافظة على التراث و الاتصال بالماضي . و تعتبر العائلة أحد التركيبات الأساسية التي تفرز في حركيتها هذه العادات و التقاليد كمارسات ناتجة عن الوجدان الشعبي تحفظها الذاكرة الجمعية وتحببها في كل مناسبة ، كما أن العائلة تلقن أفرادها ثقافة المجتمع و معاييره و قيمه مما يظهر وجود رباط روحي يربط العائلة بعاداتها و تقاليدها ، لأنها تعتبرها وسيلة أساسية في الضبط الاجتماعي وبذلك هي تمارس سلطة رمزية على أفراد المجتمع ،ولكن قد تتخلل هذه العادات مكتسبات جديدة ضمن تجليات التغيير و الحداثة تؤثر عليها ، مما يوقع العائلة في صراع بي –ثقافي صراع بين عادات قديمة يجب المحافظة عليها و عادات جديدة نعيشها دائما ضمن حركة التغيير .. ولكن مع ذلك لازالت تمارس داخل المجتمع الجزائري عادات و تقاليد حافظ عليها الأجيال ، فتتجدد في مناسبات كالزواج و الختان ويعود إليها الفرد و يمارسها خوفا من عقوبة المجتمع ، و لأنها تشكل الوشاح الذي يجد فيه الاطمئنان و الحماية لذاته و هويته الاجتماعية و الثقافية خصوصا في عادات الزواج و الختان لأنها أكثر العادات تعرضا للتناقضات التي يفرضها مبدأ المحافظة و التمسك بالماضي و تبني الحديث ومحاولة التشبث به ..

الكلمات المفتاحية :

العادات؛ التغيير؛ الزواج؛ الثقافة الشعبية؛ التقاليد؛ العائلة؛ الختان؛ المدينة؛ التراث؛ الثقافة.